



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

جريدة مسائية... ونسبة مسيرون

واحدين

روية من كل

قهار النبي

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

مهاجر

# أفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الحادية والعشرون : العدد الحادي والثمانون - جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ - مارس (آذار) ٢٠١٣ م

(الرامزة) - أو: القصيدة الخزرجية في العروض  
المؤلف: عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ)



(Al Ramzah) - or: Al Qasedah Al Khazragiah  
By: Abdullah ben Mohammed Al Khazragi Al Andalusi (D. 626 AH)

تأليف الأديب

تأليف الأديب

تأليف الأديب

تأليف الأديب

تأليف الأديب

## شروط النشر في المجلة

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
  - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
  - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون البحث جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصلية، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل بحث مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون البحث مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً على الآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية مبيناً، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

## ملاحظات

- ١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ٢ - لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- ٤ - تستبعد المجلة أي بحث مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أي أعمال فكرية.
- ٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.





مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث  
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ،  
فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد ( ٨١ ) من مجلة آفاق الثقافة والتراث.  
راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.  
مع خالص شكرنا وتقديرنا لحسن تعاونكم معنا  
و تفضلوا فائق الاحترام والتقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No ( 81 ). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.  
Thank you for your kind cooperation  
We remain

Gift

☐

إهداء

Exchange

☐

تبادل

Subscription

☐

اشتراك

قسمة اشتراك

Subscription Order Form

عدد السنوات  
of Years

☐

أكثر من سنة  
More Than One Year

☐

سنة  
One Year

☐

of Copies: ..... عدد النسخ :

Issues ..... للأعداد :

Subscription Date : ..... ابتداء من تاريخ :

☐

حوالة بريدية  
Postal Draft

☐

حوالة مصرفية  
Bank Draft

☐

شيك  
Check

Signature : ..... التوقيع :

Date : ..... التاريخ :

## إشعار بالتسلم Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ :

Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك

Exchange ☐ تبادل

Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع Date : ..... التاريخ :



تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية  
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث  
دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦  
هاتف +٩٧١ ٤ ٢٦٢٤٩٩٩  
فاكس +٩٧١ ٤ ٢٦٩٦٩٥٠  
دولة الإمارات العربية المتحدة  
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org  
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

# أفاق الثقافة والتراث

مجلة  
فصلية  
ثقافية  
تراثية

السنة الحادية والعشرون : العدد الحادي والثمانون - جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ - مارس (آذار) ٢٠١٣ م

## هيئة التحرير

### مدير التحرير

د. عز الدين بن زغبية

### سكرتير التحرير

د. علي عبد القادر الطويل

### هيئة التحرير

أ.د. حاتم صالح الضامن

د. محمد أحمد القرشي

د. أسماء أحمد سالم العويس

د. نعيمة محمد يحيى عبدالله

## رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردم ٢٠٨١ - ١٦٠٧

### المجلة مسجلة في دليل

أولريخ الدولي للدوريات

تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبها  
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه  
يخضع ترتيب المقالات لأمر فنية

#### خارج الإمارات

١٥٠ درهم

١٠٠ درهم

٧٥ درهماً

#### داخل الإمارات

١٠٠ درهم

٧٠ درهماً

٤٠ درهماً

المؤسسات

الأفراد

الطلاب

الاشتراك  
السنتوي

# الفهرس

## الإفستاجية

الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن (رحمه الله)  
تنعاه بغداد، والعرب تبكيه والعجم

## هيئة التحرير ٤

## المقالات

السِّيَاقُ القرآني في تفسير الزَّمَخْشَرِي (الكشاف)  
الدكتورة سناء عبد الرحيم عبد الله حلواني ١٨

جمالية التصوير في المثل النبوي

د. ليلي زيان ٦٠

شعر علي بن عرّام الأسواني (ت ٥٨٠ هـ)  
(صنعة وتقدير)

أ. د. عبد الرّازق حويزي ٧٠

الملامح التطريزية في الدراسات النحوية والصرفية  
القديمة ونظرية تكامل العلوم

د. أحمد البايبي ١٠١

(لماذا) مفتاح التحليل الدلالي

(دعاء الرسول محمد ﷺ في الطائف أنموذجاً)

د. عزّة عدنان أحمد عزّت ١٣٤

الحكم المدني الفرنسي في الجزائر وأثاره على  
"الأهالي" الجزائريين (١٨٧١-١٩٠٠ م)

حياة سيدي صالح ١٥٥

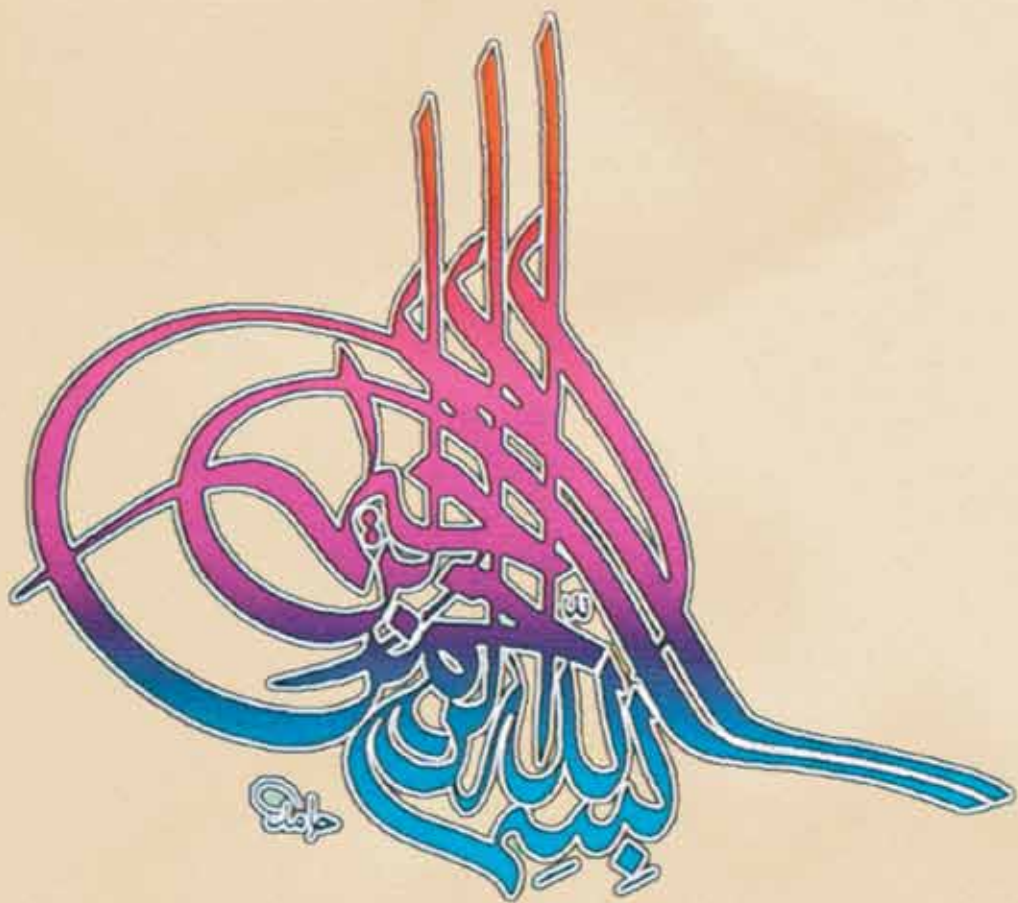
## تحقيق المخطوطات

المُفْرَدُ في الوُقُوفِ اللَّازِمَةِ من القرآن العظيم  
لأبي الفخر، محمد بن محمد بن الحسن الحَاجِي  
المَدِينِي، ثم السَّرْحَسِي (أحد علماء الجزيرة العربية)

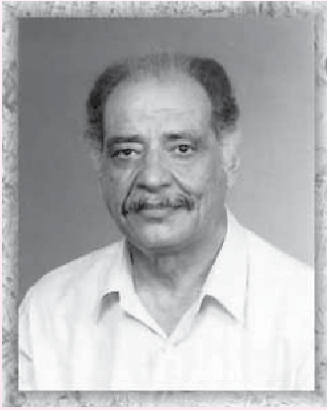
تحقيق د. محمد عادل شوك ١٧٣

## الملخصات

٢٠٢







## الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن

(رحمه الله)

### تنعاه بغداد، والعرب تبكيه والعجم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن البلاد أو القرى لا تُعرف قيمتها باتساع أرضها، ولا بثرائها وغناها، ولا بعمرائها وارتفاع مبانيها، ولكن تُعرف بقدر ما فيها من قمم وأعلام في الفكر والأدب والعلم، ولأن المكان يشرف بشرف أهله؛ كان أول عمل للنبي صلى الله عليه وسلم هو بناء الرجال، حتى وصفه الشاعر بقوله: يبني الرجال وغيره يبني القرى شَتَّانَ بَيْنَ قُرَى وَبَيْنَ رِجَالٍ! الموت مصير كل حيٍّ، وأقدارُ الله سبحانه - ليست من العبث، بل هي حكمٌ بالغة، وتقديرٌ محكم. وفي خضمِّ الحياة، وصخبها الموار، يبدو لنا الموت حدثاً غريباً، بل إيقاع حاد يكسر رقابة الحياة، ويغير من استمرارها الممل. نرى المغادرين منا يسيرون حثيثاً إلى آجالهم، والموتى يفدون سريعاً إلى قبورهم، فتقف هنيهة تسترجع ما حدث وتحول وتتمأمل، ولعلنا نبسم الآخرين.. ثم ما نلبث أن نعود إلى ما كنا فيه، وننخرط في خضم ما تركناه، ونرجع إلى ما غادرناه، ونحن في هذه الحالة جاءتنا لحظة عبوس مكفهرة، وساعة ذهول فاجعة، خيم فيها علينا سكون، وأطبق على الأفئدة منا ظلام، وكأن الدنيا أصاحت لتسمع نعي عالم جليل، تلك كانت أنباء وفاة أستاذنا الدكتور حاتم صالح الضامن - رحمه الله تعالى - ونحن بين مصدق ومكذب، هل حقاً رحل أستاذنا؟ وما مدى صحة تلك الأنباء؟ وهل أن مجلة آفاق الثقافة والتراث فقدت ركناً ركيناً لها في هيئة التحرير؟

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب لكنها الحقيقة التي ليس بعدها حقيقة، والحدث الذي يدمغ كل زيف أو تجاهل. ويظهر بارزاً صادقاً- في هذه اللحظات العصيبة- قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت...).

وشكلاً آخر كأن لم يمر علينا قبل، موت الآباء والأبناء والأحباب، لقد رأينا الأموات يوارون



التراب، ويمضون -بسنة معهودة- من ظاهر الأرض إلى باطنها، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب. أما أن نراه يعلو ويرتفع على طود شامخ، وجبل باذخ، فتلك حقيقة يعسر على المرء تخيلها؛ وإن بدت لنا كالشمس وضوحاً، لكننا ونحن في حالة ذهول؛ لم تستطع القوى احتماله، ولا الجوارح ارتياضه، ولا العقول تصديقه، إنها مصيبة الموت، وفقد الأحباب، وغياب العلم، ومواراة العلماء؛ في زمن اشتدت الحاجة إليهم، وعظمت المصيبة بهم، وانحسر عن جانب من الكون نورهم. لكنه أمر الله، والله غالب على أمره. هكذا، وفي يوم الخميس الموافق ٢٠١٣/١٢/١٣ تمام الساعة ١١:٣٠ ليلاً، وفي أمسية ظللتها الكآبة، ولَفَّها الحزن، وخيم عليها السكون؛ غادرنا إلى لقاء ربه عالم كان قبل زمن ملء السمع والبصر، وبحراً زاخراً لا ساحل له من الفضائل والمكارم، ووعاء جامعاً من المعرفة الراسخة، قلما يجتمع لإنسان مثلها في هذه الأيام بل تضيئ الليالي- التي يقال عنها حبالى - بشبيهه له، ومن هنا كان العلماء ورثة الأنبياء، والعلم خير عطاء يمنحه الباري لعبده من عباده.

لقد فجع العراق والعالم الإسلامي بأحد أفذاذه بهذا المصاب الجلل؛ لأنه كان من آخر علمائهم، والبقية الباقية من سلفهم الطيب علماً وفهماً.

لقد أجمع من خالط الأستاذ الدكتور حاتم الزامل - رحمه الله - أنه سمح الطباع، كريم النفس، سليم الصدر، محب للناس عطوف عليهم، يخضع للحق، لم تستهوه الدنيا الفانية بمباهجها وإغراءاتها الزائلة، فلم يهجر مدينته الحبيبة بغداد إلا مرغماً، ويعترف الكثيرون ممن عملوا في حقل التحقيق والتأليف بفضله وجهده ورأيه الصائب في كل الأمور وشتى المعضلات.

وما يلفت النظر ويشد الانتباه ثناء جمهور أهل العلم عليه في فكره ورأيه ومسعا، وذلك ممن شاءت الأقدار لهم أن يعيشوا معه، أو يحيطوا به أو يصحبوه، حيث لم يأل جهداً في أمانة العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، تدريساً وتعليماً؛ حتى انداح سعيه ذلك إلى تربية كثير من طلبة العلم الذين لازموا لفترات مختلفة أخذوا عنه المنهج القويم في الاختصاص، والرأي السديد في الحكم على الأمور العلمية، وكأننا بلسان حالهم الآن يقول:

أبكىك أم للعلم أبكى تأسفاً فليس لنا بعد الفراق قرين

كان مجلسه - رحمه الله - متميزاً بالعلم النافع، والفكر العميق الواسع، والدعوة المستمرة للعمل الدائب، ولقد كرّس جهده لتنشئة جيل من العلماء يحملون فكرة المناقحة عن العربية وأهلها.

الأستاذ  
الدكتور  
حاتم صالح  
الزامل  
(رحمه الله)  
تنعاه بغداد،  
والعرب  
تبكيه  
والعجم

عرفت مدينة (بغداد) هذا العالم الجليل كما عرفت غيره من أعلام في العلم والأدب، وها نحن اليوم قد ابتلينا بفقده، فقد كان له على العلم وأهله ما له من المنّة إذ يسّر الله تبارك وتعالى بسببه أن يغترف طلبة العلم من معين العلم، فكانوا على حظ وافر من المعرفة، حيث كان رحمه الله علماً شامخاً وسراجاً منيراً، يرشد ويعلم ويبين للناس المفاهيم الصحيحة في المعرفة والتحقيق. ففتح الله تبارك وتعالى بهذا العالم الرباني أعيناً عمياً وآذاناً صماً. مات - رحمه الله وأعلى مقامه - والموت حق، لكن طريق العلم مستمر.

اهتم فقيدنا بتاريخ الأمة الإسلامية، وتراثها الباذخ، وحضارتها الزاخرة، كما شغف بلغتها العربية الشريفة، فحفظ كثيراً من دواوين الشعر العربي، كما استظهر الكثير من النثر البليغ لعلماء العربية وخطبائها وبلغائها، وكان يتحدث في مسائل التراث على اختلاف علومها، وضروب مواضيعها كأحسن المختصين فيها، أو المهتمين في واحدة من علومها، ولذا تراه لا يطرح مسألة إلا ويضع لها كل الأسس التي انطلقت منها، والقواعد التي قامت عليها، بحيث لا تجد في بحثه في تلك الأمور أي ثغرة أو استدراك، وتصور معنا كيف ترى لوامع الفكر مع جوامع الكلم، وبلاغة الحديث في طلاوة وبيان..

لقد اهتم الدكتور حاتم الضامن - رحمه الله - كثيراً في تفسير القرآن الكريم، وقراءاته، وفصل فيه وأسهب في الكشف عن كثير من لطائفه، ومن يتصفح مؤلفاته، وتحقيقاته الكثيرة يجد ذلك واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار.

كان رحمه الله تعالى أبي النفس، عالي الهمة، شديد الاعتزاز بالكرامة، مهيب الشخصية، سريع البديهة، واسع الثقافة، كثير المطالعة، حاد الذكاء، كرس حياته كلها لخدمة العلم وطلبة العلم.

كما كان رحمه الله مرجعاً في اختصاصه، وكان كثير من الطلبة - داخل العراق وخارجه - لا يطمئن في مسائل العربية والتحقيق إلا إلى رأيه، حيث العلم الواسع، والرأس القاطع، والحجة الناهضة، وقلماً تدخل إلى بيته إلا وتجد مجموعة من الطلبة ينهلون من معين مكتبته العامرة، أو تحتكم إليه في أمر من أمور التحقيق، أو تطلب منه رأياً في قضية من قضاياها.

كان بيته - رحمه الله تعالى - مقصد أهل العلم، من جميع أنحاء العراق وغيرها من البلاد العربية للاستزادة من علمه، ولقد شغله هم العربية وتحقيق كتبها وواقعها المؤلم، فكان دائم الحديث في هذا الهم.

بكأك اليوم كل فتى وشيخ      فليتك شاهداً فينا سميعاً  
إذن لعرفت أن العلم أحياناً      قلوباً ثم لا تنسى الصنيعاً  
فلم في جنة الفردوس وأنعم      إلى أن نلتقي فيها جميعاً

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته، وجعله سبحانه وتعالى ممن أنعم الله عليهم من  
النبیین والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

وسلوناً أن نتذكر ما قاله حسان بن ثابت - رضي الله عنه - في رثاء سيد الأولين والآخرين سيدنا  
وحبيبنا محمد ﷺ:

اصبر لكل مصيبة وتجلد      واعلم بأن المرء غير مخلد  
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها      فاذكر مصابك بالنبی محمد

رحمك الله أيها العالم الجليل، لقد كنت أهلاً للأمانة وقمت بالمهمة خير قيام، وكنت جبلاً  
تتكسر تحته الصعاب. اهناً في قبرك يا معلم الناس الخير، فنهجك باقٍ مستمر، وصرحك  
ثابت شامخ، وسيبقى علمك فينا، وكذا نصائحك وإرشاداتك، افتقدك طلبتك يا شيخ التحقيق  
في عصرك ويا كوكب العرفان، وافتقدوا طلعتك البهية ونظراتك الدافئة التي لطالما  
غمرتهم بها حباً وعظفاً وحناناً، افتقدوك مربياً فاضلاً وعالماً جليلاً وأباً حنوناً، افتقدتك  
بغداد، الذي أرسيت فيها دعائم الخير وصروح المعرفة. نرجو الله عز وجل أن يتغمذك بعميم  
رحمته، وينعم عليك جزيل عطائه وكرمه، وأن يرفع من مراتبك ومقاماتك في عليين، وأن  
يسكنك الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

وُلد الفقيد الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ببغداد سنة ١٩٣٨م، وأنهى الدراسة  
الابتدائية في مدرسة الأعظمية الأولى سنة ١٩٥٢م، والمتوسطة في متوسطة الأعظمية ببغداد  
سنة ١٩٥٥م، والدراسة الإعدادية في ثانوية الأعظمية سنة ١٩٥٧م، وحصل على البكالوريوس في  
اللغة العربية من كلية الآداب، جامعة بغداد، سنة ١٩٦١م، وعمل مدرساً في وزارة التربية طوال  
تسع عشرة سنة، وحصل على الماجستير في النحو من كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٣م،  
وحصل على الدكتوراه في اللغة من كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٧٧م، وانتقل إلى كلية  
الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٨٠م مدرساً للمكتبة والنحو وفقه اللغة. رقي إلى أستاذ مساعد في  
١٩٨٣/١٢/٤م، وأصبح رئيساً لقسم اللغة العربية في ١٩٨٤/١/١٨م، فمعاوناً للعميد للدراسات  
العليا في ١٩٨٦/٣/٣م، وعين رئيساً لقسم اللغة العربية للمرة الثانية في ١٩٨٨/٢/١٤م، ومن



ثم رقي إلى أستاذ في ١٢/٣/١٩٨٩م. ثم ترك رئاسة القسم بتاريخ ١٥/١٢/١٩٩٠م.

أشرف على أكثر من خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه. أما مناقشاته للرسائل العلمية، فقد ناقش (١٨٨) ثماني وثمانين ومائة رسالة ماجستير ودكتوراه، وأما مؤلفاته فقد قاربت (١٦٠) ستين ومائة كتاب. وله بحوث كثيرة في المجلات العربية والعراقية أربت على المائة.

عمل خبيراً بالمجمع العلمي العراقي منذ سنة ١٩٨٣م، وكان عضو الهيئة الاستشارية لمجلة المورد التراثية ١٩٨٣ - ١٩٩١م، وعضو لجنة توحيد مناهج اللغة العربية للدراسات العليا في جامعات العراق، وعضو لجنة تأليف كتب قواعد اللغة العربية للدراسات المتوسطة والإعدادية ببغداد، وكان أمين سر هيئة تحرير مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، وعضو لجنة إحياء وتحقيق التراث العربي الإسلامي في بيت الحكمة ببغداد، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة كلية المعارف الجامعة في محافظة الأنبار، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة الشريعة والقانون (كلية الشريعة والقانون) بجامعة الإمارات العربية المتحدة، وأستاذ الدراسات العليا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، وعضو هيئة تحرير مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، وعضو هيئة تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث بدبي، وخبير المخطوطات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ١٩٩٩-٢٠٠٣م، كما شارك في ندوات كثيرة داخل العراق وخارجه.

وكان له - رحمه الله - كتاب (تصحيح الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري) الذي هو تحت الطبع في مؤسسة جائزة القرآن الكريم بدبي، حيث أخبر تلميذه الدكتور عبد الكريم مدلج وهو يودعه بمطار دبي متوجهاً إلى بغداد، وكان آخر لقاء معه، فقال له: (يا بني إذا تأخرتُ عليكم بالعودة إلى دبي فأرجو أن تصنعوا الفهارس الفنية لهذا الكتاب، وأنا أعتد عليك في هذا).

ومن الكتب التي كانت تحت التحقيق قبل وفاته هو: (ما رسم في القرآن الكريم من المقطوعات والموصولات)، وكان إخراج الكتاب متوقف على اطلاعه على نسخة من نفس المخطوط، قيل له إنها توجد في مكتبة رضا رنبفور في ولاية أوترا براديش بالهند، وقد طلب - رحمه الله - من السيد هاشم الندوي الموظف في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي صورة من هذه النسخة، وبعد محاولات متعددة تم الحصول على هذه النسخة، ولما وصلت هذه النسخة إلى دبي كان الدكتور حاتم رحمه الله قد سافر إلى بغداد سفره الأخير.

ومن الكتب التي كان يرغب - عليه رحمة الله - في تحقيقها ولكنه لم يتمكن من إنجازها هو كتاب (الضاد والظاء) في مجلدين مخطوطين حصل عليه من فؤاد سزكين، وهو نسخة وحيدة في العالم، وقال الدكتور حاتم عن الصعوبات التي تعترضه في هذا المخطوط: هو إن ترجمة مؤلفه لا تتجاوز سطرين في كل كتب التراجم، بالإضافة إلى أن المؤلف يذكر أشعاراً لا توجد في جميع الكتب والدواوين، وهو لا يقول قال فلان حتى يمكن التتبع، ولكنه يكفي بالقول: «قال الشاعر».

وهذا جدول بأهم مؤلفاته - رحمه الله:

| تسلسل | عنوان الكتاب                             | مكان الطبع وتاريخه                   |
|-------|--|--------------------------------------|
| ١     | شعر يزيد بن الطثرية                      | بغداد ١٩٧٣م                          |
| ٢     | شعر الخليل بن أحمد                       | بغداد ١٩٧٣م                          |
| ٣     | شعر المخبل السعدي                        | بغداد ١٩٧٣م                          |
| ٤     | ما لم ينشر من الأمالي الشجرية            | بغداد ١٩٧٤م بيروت ١٩٨٣م              |
| ٥     | رسالة الريح لابن خالويه                  | بغداد ١٩٧٤م بغداد ١٩٨٧م              |
| ٦     | شعر الكميت بن معروف                      | بغداد ١٩٧٥م                          |
| ٧     | شعر بكر بن النطاح                        | بغداد ١٩٧٥م                          |
| ٨     | مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١-٢) | بغداد ١٩٧٥م، بيروت ١٩٨٤م، دمشق ٢٠٠٣م |
| ٩     | شعر نهشل بن حري                          | بغداد ١٩٧٥م، بيروت ٢٠١١م             |
| ١٠    | شعر مزاحم العقيلي (بالمشاركة)            | القاهرة ١٩٧٦م                        |
| ١١    | ديوان معن بن أوس (بالمشاركة)             | بغداد ١٩٧٧م                          |
| ١٢    | المصنف بألف أهل الرسوخ لابن الجوزي       | بغداد ١٩٧٧م، بيروت ١٩٨٤م             |
| ١٣    | عشر رسائل للجاحظ                         | بغداد ١٩٧٨م                          |
| ١٤    | فرائد الفوائد للأنباري                   | بغداد ١٩٧٨م                          |
| ١٥    | رسالة البلاغة والإيجاز للجاحظ            | بغداد ١٩٧٨م                          |
| ١٦    | شعر سويد بن كراع                         | بغداد ١٩٧٩م                          |

| تسلسل | عنوان الكتاب                                     | مكان الطبع وتاريخه                    |
|-------|--|---------------------------------------|
| ١٧    | شعر قيس بن الحداية                               | بغداد ١٩٧٩م                           |
| ١٨    | قصائد نادرة من منتهى الطلب                       | بغداد ١٩٧٩م بيروت ١٩٨٣م               |
| ١٩    | نظرية النظم - تاريخ وتطور                        | بغداد ١٩٧٩م                           |
| ٢٠    | ما لم ينشر من تراث الجاحظ                        | بغداد ١٩٧٩م                           |
| ٢١    | الزاهر لابن الأنباري (١-٢)                       | بيروت ١٩٧٩م، بيروت ١٩٩٢م، دمشق ٢٠٠٤م  |
| ٢٢    | الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك         | بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٤م               |
| ٢٣    | المسائل السفرية في النحو لابن هشام               | بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٣م               |
| ٢٤    | الناسخ والمنسوخ لقتادة                           | بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٤م               |
| ٢٥    | منثور الفوائد لأبي البركات الأنباري              | بغداد ١٩٨١م، بيروت ١٩٨٣م، بيروت ١٩٩٠م |
| ٢٦    | المدخل إلى تقويم اللسان للخمى                    | بغداد ١٩٨١م بيروت ٢٠٠٣م               |
| ٢٧    | شاعران من فرسان القادسية (بالمشاركة)             | بغداد ١٩٨١م                           |
| ٢٨    | خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام             | بغداد ١٩٨١م بيروت ١٩٨٣م               |
| ٢٩    | ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي          | بغداد ١٩٨٢م بيروت ١٩٨٣م               |
| ٣٠    | معرفة الضاد والطاء للصقلي                        | بغداد ١٩٨٢م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣١    | كفاية الطالب لابن الأثير (بالمشاركة)             | الموصل ١٩٨٢م                          |
| ٣٢    | الحلبة في أسماء الخيل للصاحب التاجي              | بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣٣    | الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة للإعراب لابن عدلان | بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣٤    | السلح لأبي عبيد                                  | بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣٥    | الفرق لثابت بن أبي ثابت                          | بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣٦    | الأزمنة لقطرب                                    | بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م               |
| ٣٧    | سهم الألفاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي          | بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م               |



| تسلسل | عنوان الكتاب                                   | مكان الطبع وتاريخه                      |
|-------|--|---|
| ٣٨    | إصلاح غلط المحدثين للخطابي                     | بغداد ١٩٨٤ م بيروت ١٩٨٥ م               |
| ٣٩    | التذكرة الفخرية للأربلي                        | بغداد ١٩٨٤ م، بيروت ١٩٨٧ م، دمشق ٢٠٠٤ م |
| ٤٠    | ما لم ينشر من الحلبة                           | بغداد ١٩٨٥ م                            |
| ٤١    | أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي         | بغداد ١٩٨٥ م دمشق ٢٠٠٣ م                |
| ٤٢    | النخلة لأبي حاتم السجستاني                     | بغداد ١٩٨٥ م الموصل ١٩٩١ م              |
| ٤٣    | غلط الضعفاء من الفقهاء لابن بري                | بغداد ١٩٨٥ م بيروت ١٩٨٩ م               |
| ٤٤    | بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات للمهدوي     | الكويت ١٩٨٥ م                           |
| ٤٥    | نسب الخيل لابن الكلبي                          | بغداد ١٩٨٥ م دمشق ٢٠٠٣ م                |
| ٤٦    | الفرق لأبي حاتم السجستاني                      | بغداد ١٩٨٦ م                            |
| ٤٧    | شعر القحيف العقيلي                             | بغداد ١٩٨٦ م                            |
| ٤٨    | شعر الفنذ الزماني                              | بغداد ١٩٨٦ م                            |
| ٤٩    | ملاحظات على حاشية بن بري على المعرب            | بغداد ١٩٨٦ م                            |
| ٥٠    | قواعد اللغة العربية (الأول المتوسط) بالمشاركة  | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥١    | قواعد اللغة العربية (الثاني المتوسط) بالمشاركة | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٢    | قواعد اللغة العربية (الثالث المتوسط) بالمشاركة | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٣    | قواعد اللغة العربية (الرابع العام) بالمشاركة   | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٤    | قواعد اللغة العربية (الخامس العلمي) بالمشاركة  | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٥    | قواعد اللغة العربية (الخامس الأدبي) بالمشاركة  | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٦    | قواعد اللغة العربية (السادس العلمي) بالمشاركة  | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٧    | قواعد اللغة العربية (السادس الأدبي) بالمشاركة  | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٥٨    | الناسخ والمنسوخ للزهري                         | بغداد ١٩٨٧ م بيروت ١٩٨٨ م               |
| ٥٩    | دقائق التصريف للمؤدب                           | بغداد ١٩٨٧ م دمشق ٢٠٠٤ م                |
| ٦٠    | ديوان عدي بن الرقاع العاملي (بالمشاركة)        | بغداد ١٩٨٧ م                            |
| ٦١    | شرح مقصورة ابن دريد للجواليقي (بالمشاركة)      | بغداد ١٩٨٧ م                            |

| تسلسل | عنوان الكتاب   | مكان الطبع وتاريخه            |
|-------|--|-------------------------------|
| ٦٢    | أربعة كتب في التصحيح اللغوي للخطابي، وابن بري، وابن الحنبلي، وابن بالي | بيروت ١٩٨٧ م                  |
| ٦٣    | كتابان في الفرق للسجستاني وثابت  | بيروت ١٩٨٧ م                  |
| ٦٤    | شعراء مقلون  | بيروت ١٩٨٧ م                  |
| ٦٥    | كتابان في الخيل (بالمشاركة)  | بيروت ١٩٨٧ م                  |
| ٦٦    | ما لم ينشر من كتاب العشرات للقزاز                                      | بغداد ١٩٨٨ م                  |
| ٦٧    | الوجوه والنظائر في القرآن الكريم<br>لهارون بن موسى                     | بغداد ١٩٨٨ م، عمان ٢٠٠٢ م     |
| ٦٨    | البحث والمكتبة (بالمشاركة)   | الموصل ١٩٨٨ م                 |
| ٦٩    | رسالة الخط والقلم المنسوبة لابن قتيبة                                  | بغداد ١٩٨٨ م، بيروت ١٩٨٩ م    |
| ٧٠    | مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب   | بغداد ١٩٨٨ م، دمشق ٢٠٠٣ م     |
| ٧١    | المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاسي                                  | بغداد ١٩٨٨ م                  |
| ٧٢    | ظاءات القرآن للسرقوسي  | بغداد ١٩٨٩ م                  |
| ٧٣    | علم اللغة  | الموصل ١٩٨٩ م                 |
| ٧٤    | حصر حرف الظاء للخولاني   | بغداد ١٩٨٩ م، الموصل ١٩٩١ م   |
| ٧٥    | أربعة كتب في النسخ والمنسوخ  | بيروت ١٩٨٩ م                  |
| ٧٦    | الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب<br>الإيضاح لابن الطراوة           | بغداد ١٩٩٠ م، بيروت ١٩٩٦ م    |
| ٧٧    | مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني<br>لابن بري                  | بغداد ١٩٩٠ م                  |
| ٧٨    | كحل العيون النجل في حل مسألة الكحل<br>لابن الحنبلي                     | بيروت ١٩٩٠ م، بغداد ١٩٩٤ م    |
| ٧٩    | فقه اللغة  | الموصل ١٩٩٠ م، الشارقة ٢٠٠٧ م |
| ٨٠    | عشرة شعراء مقلون   | الموصل ١٩٩٠ م                 |

| تسلسل | عنوان الكتاب  | مكان الطبع وتاريخه                    |
|-------|---|---------------------------------------|
| ٨١    | بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص                     | الموصل ١٩٩٠م                          |
| ٨٢    | نصوص محققة في علوم القرآن                               | الموصل ١٩٩٠م                          |
| ٨٣    | الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة لابن عابدين    | بيروت ١٩٩٠م                           |
| ٨٤    | نصوص محققة في اللغة والنحو                              | الموصل ١٩٩١م                          |
| ٨٥    | الصّرف  | الموصل ١٩٩١م                          |
| ٨٦    | المستدرك على ديوان أبي الفتح البستي                     | دمشق ١٩٩١م                            |
| ٨٧    | المستدرك على شعر أبي هلال العسكري                       | دمشق ١٩٩٢م                            |
| ٨٨    | القادري في التعبير لنصر بن يعقوب الدينوري               | بغداد ١٩٩٢م                           |
| ٨٩    | ما لم ينشر من سهم الألفاظ لابن الحنبلي                  | عمان ١٩٩٣م                            |
| ٩٠    | شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن لمجهول    | دمشق ١٩٩٤م                            |
| ٩١    | مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ للسماتي القسم الأول | عمان ١٩٩٥م، عمان ٢٠٠٢م                |
| ٩٢    | كيفية أداء الضاد لساجقلي زاده                           | دمشق ١٩٩٥م                            |
| ٩٣    | شروط الحال وأحكامها لابن بري                            | دمشق ١٩٩٦م                            |
| ٩٤    | المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني                      | دمشق ١٩٩٧م                            |
| ٩٥    | أربعة كتب في علوم القرآن                                | بيروت ١٩٩٧م                           |
| ٩٦    | جر الذيل في علم الخيل للسيوطي                           | بغداد ١٩٩٨م                           |
| ٩٧    | المستدرك على الشعراء                                    | بيروت ١٩٩٨م                           |
| ٩٨    | ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري                         | دمشق ٢٠٠٢م                            |
| ٩٩    | الإنباء في تجويد القرآن لابن الطحان                     | دبي ١٩٩٩م، الشارقة ٢٠٠٧م              |
| ١٠٠   | مرشد القارئ لابن الطحان (بقسميه)                        | عمان ١٩٩٩م، عمان ٢٠٠٢م، الشارقة ٢٠٠٧م |



| تسلسل | عنوان الكتاب  | مكان الطبع وتاريخه |
|-------|---|--------------------|
| ١٠١   | رسالة في لو الامتناع لابن بري   | عمان ١٩٩٩ م        |
| ١٠٢   | أفراد كلمات القرآن العزيز لابن فارس                                       | الرياض ١٩٩٩ م      |
| ١٠٣   | أحكام كل وما عليه تدل للسبكي  | عمان ٢٠٠٠ م        |
| ١٠٤   | تسمية الشيء باسم الشيء لابن بري   | دبي ٢٠٠٠ م         |
| ١٠٥   | التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد   | بيروت ٢٠٠١ م       |
| ١٠٦   | فصول غير منشورة لابن بري  | دبي ٢٠٠١ م         |
| ١٠٧   | المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات  | دبي ٢٠٠١ م         |
| ١٠٨   | كتابان في النحو للنحاس ولابن الحنبلي                                      | دمشق ٢٠٠٤ م        |
| ١٠٩   | قطر السيل في أمر الخيل للبلقيني   | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٠   | الاكتفاء في القراءات السبع المشهورات<br>لإسماعيل ابن خلف                  | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١١   | التهذيب لما تقرد به كل قارئ من القراء السبعة<br>لأبي عمرو الداني          | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٢   | قراءة الكسائي للكرماني  | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٣   | معرفة الفرق بين الظاء والضاد لابن الصابوني                                | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٤   | خمسة نصوص محققة لابن بري  | دمشق ٢٠٠٣ م        |
| ١١٥   | الخيال للأصمعي  | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٦   | فوائد النيل بفضائل الخيل للطبري المكي                                     | دمشق ٢٠٠٥ م        |
| ١١٧   | الوجوه والنظائر في القرآن العظيم<br>لمقاتل بن سليمان                      | دمشق ٢٠٠٦ م        |
| ١١٨   | المفتاح في اختلاف القرأة السبعة المسمين<br>بالمشهورين لعبد الوهاب القرطبي | دمشق ٢٠٠٦ م        |
| ١١٩   | الفرق بين الضاد والظاء لأبي عمرو الداني                                   | دمشق ٢٠٠٦ م        |
| ١٢٠   | تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي                                  | دمشق ٢٠٠٦ م        |

| تسلسل | عنوان الكتاب                                | مكان الطبع وتاريخه       |
|-------|---|--------------------------|
| ١٢١   | ذكر أعضاء الإنسان للغزي                     | دمشق ٢٠٠٣م               |
| ١٢٢   | المصباح في الفرق بين الضاد والطاء للحراني   | دمشق ٢٠٠٣م               |
| ١٢٣   | الفرق بين الضاد والطاء للموصلي              | دمشق ٢٠٠٣م               |
| ١٢٤   | الإبل للأصمعي                               | دمشق ٢٠٠٣م               |
| ١٢٥   | ابن الأنباري سيرته ومؤلفاته                 | دمشق ٢٠٠٤م               |
| ١٢٦   | الضاد والطاء لابن سهيل النحوي               | دمشق ٢٠٠٤م               |
| ١٢٧   | الفرق بين الضاد والطاء للزنجاني             | دمشق ٢٠٠٤م               |
| ١٢٨   | الطاء لابن أبي الحجاج المقدسي               | دمشق ٢٠٠٤م               |
| ١٢٩   | المصطلحات والرموز للقراء                    | بغداد ١٩٩٩م              |
| ١٣٠   | التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني  | الشارقة ٢٠٠٧م            |
| ١٣١   | المكتبة                                     | الشارقة ٢٠٠٧م            |
| ١٣٢   | مفردة نافع / أبو عمرو الداني                | دمشق ٢٠٠٧م، الدمام ٢٠١١م |
| ١٣٣   | مفردة ابن كثير / أبو عمرو الداني            | دمشق ٢٠٠٧م، الدمام ٢٠١١م |
| ١٣٤   | مفردة أبي عمرو بن العلاء / أبو عمرو الداني  | دمشق ٢٠٠٧م، الدمام ٢٠١١م |
| ١٣٥   | مرسوم الخط / ابن الأنباري                   | دمشق ٢٠٠٧م               |
| ١٣٦   | هجاء مصاحف الأمصار / المهدوي                | دمشق ٢٠٠٧م               |
| ١٣٧   | مفردة يعقوب الحضرمي / أبو عمرو الداني       | الدمام ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٩م    |
| ١٣٨   | المُجيد في إعراب القرآن المجيد / السفاسي    | الدمام ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م    |
| ١٣٩   | الموجز في شرح أداء القراء السبعة / الأهوازي | الدمام ١٤٣٠هـ = ٢٠١٠م    |
| ١٤٠   | مفردة ابن عامر / أبو عمرو الداني            | الدمام ٢٠١١م             |
| ١٤١   | مفردة عاصم / أبو عمرو الداني                | الدمام ٢٠١١م             |
| ١٤٢   | مفردة حمزة / أبو عمرو الداني                | الدمام ٢٠١١م             |
| ١٤٣   | مفردة الكسائي / أبو عمرو الداني             | الدمام ٢٠١١م             |

الأستاذ  
الدكتور  
حاتم صالح  
الضامن  
(رحمه الله)  
تنعاه بغداد،  
والعرب  
تبكيه  
والعجم

| تسلسل | عنوان الكتاب  | مكان الطبع وتاريخه                        |
|-------|---|---|
| ١٤٤   | ناسخ القرآن ومنسوخه / الهمذاني                                    | دبي ٢٠١١ م                                |
| ١٤٥   | الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ / ابن بركات المصري   | دبي ٢٠١١ م                                |
| ١٤٦   | المقتنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار أبو عمرو الداني          | بيروت ٢٠١١ م                              |
| ١٤٧   | ديوان الخليل بن أحمد الفراهيدي                                    | بيروت ٢٠١١ م                              |
| ١٤٨   | ديوان نهشل بن حرّي  | بيروت ٢٠١١ م                              |
| ١٤٩   | ديوان معن بن أوس  | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥٠   | ديوان القُحَيْف العُقَيْلي  | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥١   | ديوان يزيد بن الطثرية   | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥٢   | ديوان بكر بن النطاح   | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥٣   | ديوان مزاحم العقيلي   | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥٤   | ديوان الكُميت بن معروف الأسدي                                     | بيروت ٢٠١٢ م                              |
| ١٥٥   | كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار / محمد بن محمود الشيرازي الشافعي | بغداد ١٩٨٧ م، الموصل ١٩٩١ م<br>مصر ٢٠١٢ م |
| ١٥٦   | توجيه القرآن لأبي العباس أحمد بن علي المقرئ                       | مصر ٢٠١٢ م                                |
| ١٥٧   | تصحيح الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري                           |   |



قضى هذا العالم الجليل - رحمه الله - سنواته الأخيرة متنقلاً بين دبي وبغداد لا يقصد من ذلك إلا خدمة العلم وأهله، وقد جثم المرض على صدره في الآونة الأخيرة، فكان صابراً محتسباً هادئ البال، رضي النفس، طلق الوجه، قد اختفت كثير من ظواهر الألم والأوجاع عن محياه.

وأخيراً، هل يستطيع القلم أن يسطر تاريخ رجل بهذا العلم العميق؟ لا نعتقد ذلك، إن كل ما قلناه ما هو إلا ومضة من تلك الشخصية العظيمة، التي نسأل الله سبحانه أن يعوض المسلمين عنها خير العوض، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: «وإنا على فراقك يا أستاذنا لمحزونون» ونسأل الله أن يرحمه ويعضو عنه ويكرم وفادته ويلهمنا - نحن أحبائه وتلامذته - الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

### هيئة التحرير

الأستاذ  
الدكتور  
حاتم صالح  
الضامن  
(رحمه الله)  
تنعاه بغداد،  
والعرب  
تبكيه  
والعجم

# السِّيَاقُ الْقُرْآنِيُّ فِي تَفْسِيرِ الزَّمَخْشَرِيِّ (الكشاف)

الدكتورة سناء عبد الرحيم عبد الله حلواني  
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة الأزهر  
القاهرة - مصر

## التمهيد

### السياق والتفسير:

### السياق أنواعه وأهميته وعلاقته بالدلالة:

السياق في اللغة يأتي على عدة معان منها: الموت أو نزح الروح<sup>(١)</sup>، والتتابع<sup>(٢)</sup>، وحدو الشيء<sup>(٣)</sup>، والمهر<sup>(٤)</sup>، ((وسياق الكلام: سرده وأسلوبه الذي يجري عليه ))<sup>(٥)</sup>.

أما في الاصطلاح فيقصد به ((الجملة المحيطة بالتركيب، أي الجملة التي تسبقه والجملة التي تتلوها))<sup>(٦)</sup>، أو هو ((بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة))<sup>(٧)</sup>.

ويقسم السياق على قسمين رئيسيين هما: السياق الداخلي (اللغوي) ويقصد به النص نفسه والعلاقات بين أجزائه، ومن ثم تفسر الكلمة أو التركيب من خلال موقعهما في النص وعلاقتها بما يسبقهما ويتلوها من عناصر لغوية<sup>(٨)</sup>، والسياق الخارجي (الحال، أو المقام، أو الموقف، أو الماجريات) ويقصد به ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات<sup>(٩)</sup>.

كلّ المستويات، ومصادر أساسية لتسهيل عملية التبليغ في اللسان ذاته))<sup>(١١)</sup>، وأنّ طبيعة المعنى الذي يقدمه المعجم قاصر على المعنى الاجتماعي أو الدلالي، ولا يعنى بالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام<sup>(١٢)</sup>، وأنّه يتسم بالتعدد ومن هنا يأتي دور السياق في تحديده<sup>(١٣)</sup>.

وللسياق أهميته الكبيرة في بيان المعنى وتوضيحه سواء أكان ذلك على مستوى المفردة أم على مستوى التركيب، فوجود الكلمات في المعاجم هو ((وجود مصطنع لأنّ الكلمات وجدت لكي تستعمل لا لكي تحفظ))<sup>(١٠)</sup>، فما المعاجم-في حقيقة أمرها إلا ((أدوات تعليمية وتربوية في

والمقصود بالسياق - هنا - السياق بشقيه الداخلي والخارجي، فقد يعين السياق الداخلي على تحديد المعنى إلا أن هذا التحديد يبقى ناقصاً؛ لأن المعنى يتوقف على ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات<sup>(١٤)</sup>، إذ ((إن جزءاً كبيراً من معاني المفردات والجمل المستعملة يعتمد على الخبرة المشتركة ما بين المتكلم والمتلقي. ولذلك فنحن نحتاج إلى سياق الحال ليس فقط [كذا] لكي نتمكن من معرفة مدى ملائمة الكلام أو اللغة المستعملة في هذا الظرف أو ذاك، ولكن أيضاً [كذا] لكي نستطيع أن نفسر الأساليب اللغوية والمستويات اللغوية وطبيعة اللغة نفسها))<sup>(١٥)</sup>.

أما علاقة السياق بالدراسة الدلالية فأن هناك من يستبعده منها، والسبب في ذلك يعود إلى وجود ((مصاعب عملية ونظرية في معالجة السياق بشكل مرض))<sup>(١٦)</sup>، ومن هذه الصعوبات ما يذهب إليه بعض الدارسين من ((أن بالإمكان التعرّف على معنى جملة ما بمفردها بمعزل عن السياق، وكذلك التعرّف على غموضها وشذوذها))<sup>(١٧)</sup>. وفي الحقيقة أن هذا الرأي ليس صحيحاً لما ذكرناه سابقاً من أهمية السياق بنوعيه الداخلي والخارجي في بيان المعنى وتوضيحه<sup>(١٨)</sup>.

أما السبب الآخر فهو ((أن عالم الخبرة يشمل بالضرورة حصيلة المعرفة الإنسانية. فإن كان ذلك كذلك، وإن عرفنا علم الدلالة بموجب السياق، سيكون الحقل الدلالي لا متناهيًا))<sup>(١٩)</sup>. ولكن على الرغم من هذا كله يبقى السياق من الموضوعات المهمة في الدراسات الدلالية.

## دراسة المعنى والسياق

نظراً لأهمية المعنى في الدراسات اللغوية

وغيرها، فقد أولى الدارسون اهتمامهم بهذا الموضوع، إلا أن دراسة المعنى من الدراسات المعقدة للغاية على الرغم من كثرة الدراسات القديمة التي تناوله، لأنها كانت أما أن تهتم بالجانب التطوري لمعاني المفردات، وأما أن تتناول جوانب معينة من دون غيرها كدراسة التضاد والترادف في المعاني من دون أن تربط بين الجوانب المتعددة للمعنى، ولذلك تكونت مجموعة من المفاهيم الخاطئة بشأن المعنى لا يمكن أن نتخلص منها إذا ما أردنا أن ندرسه<sup>(٢٠)</sup>.

أما الصعوبة الأخرى فتتمثل في أن دراسة المعنى لا تتعلق بالدراسات اللغوية فحسب، بل تشترك في دراسته كثير من العلوم الإنسانية التي تتناول المعنى من زوايا متعددة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الحيوان، والمنطق، والفلسفة، والآداب، والتربية، والبلاغة، والنقد الأدبي، وغيرها من العلوم<sup>(٢١)</sup>.

كذلك تتعلق الصعوبة بطبيعة المعنى نفسه، فهل يدرس المعنى في ضوء المعنى المعجمي؟ أو اعتماداً على السياق اللغوي؟ وما دور المقام في تحديد المعنى<sup>(٢٢)</sup>؟

وفي حقيقة الأمر أن دراسة المعنى أصعب من دراسة المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية)، وذلك لأن دراسة هذه المستويات تعتمد على عناصر ووحدات لها وجود وتحقق مادي، أما في دراسة المعنى فلا وجود لعناصر مادية لأن المعنى ((يتعلق بالمفاهيم والصورة العقلية للأشياء))<sup>(٢٣)</sup>، وأنه ((لا بناء له))<sup>(٢٤)</sup>.

ونظراً لأهمية المعنى، وكثرة الصعوبات التي تواجه الدارسين في هذا الموضوع، فقد تعددت

مناهج دراسته، وقدمت نظريات عديدة ومتنوعة منها: النظريتان الإشارية والتصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية السياق، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية، وغيرها<sup>(٢٥)</sup>.

## نظرية السياق

لقد أشرنا -فيما سبق- إلى تعدد مناهج دراسة المعنى، وقد ذكرت عدداً من هذه المناهج ومنها المنهج السياقي الذي تحوّل فيما بعد إلى نظرية يطلقون عليه (نظرية السياق) أو (نظرية الاستخدام). ولكن يجب -هنا- أن نفرّق بين ما يسمى بـ (نظرية السياق أو الاستخدام) و(الاستخدام الوظيفي للغة).

يقصد بالاستخدام الوظيفي للغة ((استخدام لفظ من الألفاظ أو تركيب من التراكيب استخدام الأدوات التي لا يكون لها مدلول خارج السياق أو الجملة، أو ما لابس تركيبها الأساسي من ملابس تبين علّة الاستخدام الأوّل))<sup>(٢٦)</sup>، أي أن الدلالة تتوقف على وظيفة الدال<sup>(٢٧)</sup>.

أمّا نظرية السياق أو الاستخدام فهي نظرية ((تحاول تفسير الألفاظ اعتماداً على السياق الذي ترد فيه))<sup>(٢٨)</sup>، أي من خلال علاقتها بما قبلها وبعدها، والظروف والملابسات التي تحيط بها.

وتعدّ نظرية السياق من أفضل المناهج في دراسة المعنى، والسبب في ذلك يعود إلى ما تميزت به هذه النظرية ((من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية، والابتعاد عن كثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوي))<sup>(٢٩)</sup>.

وكما يقول (اولمان)<sup>(\*)</sup>: ((إنّ نظرية السياق - إذا طبقت بحكمة - تمثل حجر الأساس في علم المعنى))<sup>(٣٠)</sup>.

لقد ارتبطت نظرية السياق بالعالم اللغوي الإنجليزي (فيرث) (١٨٤٥م-١٩١٢م) الذي أكّد على أهمية سياق الحال (الماجريات، أو المقام، أو الظروف، أو الملابسات) في بيان المعنى، وأطلق عليه مصطلح (Context of Situation)، وأوّل من استعمل هذا المصطلح العالم الانثربولوجي البولندي الإنجليزي (برنسلو ما لينوفسكي)<sup>(٣١)</sup>. ويرى (فيرث) أنّه لا بدّ من مراعاة الأمور الآتية في تحليل النص وتفسيره:

١. أن يذكر النص المراد تحليله وتفسيره.
٢. تحليل النص على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.
٣. مراعاة الظروف والأحوال والملابسات التي تحيط بالنص أو الكلام من المتكلم، والسامع، والبيئة... الخ.
٤. تحديد نوع الوظيفة التي يؤديها النص أو الكلام من إغراء أو التزام... الخ.
٥. تحديد أثر النص أو الكلام المحلل أو المفسّر من فرح إلى حزن أو من ضحك إلى بكاء... الخ<sup>(٣٢)</sup>.

ويرى (فيرث) أنّ المعنى ((كلّ مركب من وظائف لغوية هي وظائف الصيغة. والعناصر الهامة [كذا] في هذا الكلّ المركّب هي الوظيفة الأصواتية (الصغرى)، ثم الوظائف الكبرى المعجمية، والصرفية، والنحوية، ووظيفة الما جريات الدلالية بصفة عامة))<sup>(٣٣)</sup>، ومع هذا فقد وجهت لنظريته عدة انتقادات واعتراضات منها:

١. لم تكن نظريته شاملة للتركيب اللغوي، فقد كانت نظريته في السيماتك (علم الدلالة) مع أن دراسة المعنى يجب أن تكون شاملة



لجميع العلاقات السياقية إضافة إلى المعجم، والسيمانتك، والأصوات، والصرف، والنحو.

٢. أنه أعطى ثقلًا زائدًا لفكرة السياق في بيان المعنى، ولم يكن كلامه بشأن مصطلح السياق (Context) في نظريته محددًا، وكذلك عدم وضوح مصطلح الموقف أو سياق الحال (Context of Situation).

٣. أن هذا المنهج الذي اتبعه (فيرث) في نظريته لا يفيد في بيان معنى كلمة لم يستطع السياق أيضًا معناها<sup>(٢٤)</sup>.

ومما لاشك فيه أن ما ذكره (فيرث) قد سبق إليه العرب من قبل من لغويين، وأصوليين، وبلاغيين، ومفسرين، فقد ورد سياق الحال عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) - وهو من اللغويين - وكان يسميه الحال<sup>(٢٥)</sup>، وورد عند الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) - وهو من الأصوليين - في مصنفه الشهير (الرسالة) لفظاً وتطبيقاً<sup>(٢٦)</sup>، وورد عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) - وهو من البلاغيين - وكان يسميه النصب أو الحال<sup>(٢٧)</sup>، ويسميه البلاغيون المقام<sup>(٢٨)</sup>، وغيرهم<sup>(٢٩)</sup>.

كما أن العرب قد سبقوا الغرب ليس في السياق فحسب بل في مجال الدراسات الدلالية بشكل عام، فقد بدأت فكرة البحث الدلالي عند العرب منذ وقت مبكر ((منذ بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية، وإعجازها، وتفسير غريبها، واستخراج الأحكام الشرعية منها. فكان علماء الفقه والأصوليون من أوائل من احتضنوا مثل هذه الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها فلا تجد أثراً أصولياً إلا وتجد بين يديه بحثاً لغوياً حول هذه الأدوات التي هي مناط الحكم))<sup>(٤٠)</sup>.

وقد اتخذت الدراسات الدلالية عند العرب اتجاهين هما:

الأول: اتجاه نظري، ويتمثل في مباحث فقه اللغة كالترادف، والتضاد، والمشارك اللفظي، والاشتقاق، ومباحث البلاغة كالحقيقة والمجاز، والخاص والعام. ومن هذه الدراسات ((الخصائص لابن جني، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، وفقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي))<sup>(٤١)</sup>.

الثاني: اتجاه تطبيقي، ويتمثل في الأعمال المعجمية بدءاً من رسائل غريب القرآن والحديث، وكتب الحيوان، والنباتات، واللهجات، والنوادر، والدخيل، والمعرب... الخ<sup>(٤٢)</sup>.

### نظرية التفسير العربية

لم يكن التفسير والتأويل حكراً على المجتمع العربي الإسلامي، بل هما قضية قديمة اشتركت فيها جميع المجتمعات<sup>(٤٣)</sup>، فقد ظهر التفسير (الهيرمنيوطيقا) في المجتمعين اليهودي والمسيحي في مدة متقدمة من التاريخ، ((أو ما يعرف عندهم بـ Lepoque Patristique - أي فترة [كذا] الآباء القساوسة-))<sup>(٤٤)</sup>.

لقد نبهوا - مسبقاً - على وجود معنيين للنص الديني هما: المعنى اللغوي أو المعجمي، والمعنى السياقي، ((والتفسير عندهم يكمن في تقريب المسافة بين هذين المعنيين، وذلك يتم بوحى من الله وتيسير منه لبعض عباد، كما يقول القديس - بول «٧٧م»))<sup>(٤٥)</sup>. وقد كان نتيجة لهذا أن ظهرت عندهم ما تسمى بـ ((نظرية المعنى ذي الأبعاد الرباعية (Le sens quadruple))<sup>(٤٦)</sup>، أي أن النص يحتمل أربعة معان: المعنى المعجمي

الحرفي، والمعنى الروحي (الرمزي، والصوفي، والبياني) <sup>(٤٧)</sup>.

وتعد مسألة علاقة النص بما حوله - والمفسر خاصة - هي المسألة الأساسية والمهمة عند فلاسفة الهيرمنيوطيقا <sup>(٤٨)</sup>. ولعل أول محاولة لوضع قواعد تفسير النص الديني هي محاولة الفيلسوف اليهودي (اسبينوزا) (١٦٣٢م-١٦٧٧م) <sup>(٤٩)</sup>.

لقد وضع (اسبينوزا) مجموعة من القواعد يجب أن يراعيها المفسر في تفسير النص الديني، وهي:

١. النظر إلى النص بوصفه وحدة واحدة يفسر بعضه بعضاً، ولذلك فإن على المفسر أن يعتمد على النص نفسه في التفسير من دون أن يعتمد على أفكار مسبقة في تفسيره، فيقول: (( يجب أن تكون معرفتنا بالكتاب مستمدة كلها من الكتاب وحده، وأخيراً فإن الكتاب شأنه شأن الطبيعة لا يعطينا تعريفات للأشياء التي يتحدث عنها، وعلى ذلك فكما يجب أن نستنتج تعريفات الأشياء الطبيعية المختلفة كذلك يجب استخلاص التعريفات التي يعطيها الكتاب في مختلف الروايات التي نجدها بشأن كل موضوع )) <sup>(٥٠)</sup>.

٢. دراسة اللغة التي كتب بها النص الديني، لأن اللغة كائن حي ينمو ويتطور وتتغير كثير من معاني المفردات والتراكيب. كذلك لأن اللغة اجتماعية وهي ترتبط بعادات وتقاليد ذلك المجتمع، لذلك يقول: (( يجب أن يفهم طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس و[كذا] التي اعتاد مؤلفوها التحدث بها، وبذلك يمكننا فحص كل المعاني التي يمكن أن يفيدها النص )) <sup>(٥١)</sup>.

٣. الاعتماد على السياق في التفسير، وذلك من خلال (( تجميع آيات كل سفر وتصنيفها تحت موضوعات أساسية عددها محدود، حتى نستطيع العثور بسهولة على جميع الآيات المتعلقة بنفس الموضوع [كذا]، وبعد ذلك نجمع كل الآيات المتشابهة والمجملة، أو التي تعارض بعضها البعض [كذا]، واعني بالآية الم جملة سهولة أو صعوبة فهم المعنى من السياق لا سهولة أو صعوبة فهم المعنى من العقل )) <sup>(٥٢)</sup>.

٤. دراسة الظروف والملابسات التي كتب بها النص الديني، أي معرفة المقام وسياق الحال <sup>(٥٣)</sup>.

٥. دراسة شخصية صاحب النص، وأخلاقه، وسيرته بشكل عام <sup>(٥٤)</sup>.

٦. دراسة هدف كتابة المؤلف للنص، أي الغاية من كتابة النص، لذلك يقول: (( يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة، أعني سيرة مؤلف كل كتاب، وأخلاقه، والغاية التي كان يرمي إليها، ومن هو؟ وفي أي مناسبة كتب كتابه؟ ولمن؟ وبأي لغة كتبه؟ كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب على حدة... )) <sup>(٥٥)</sup>.

وبذا نجد أن التفسير (الهيرمنيوطيقا) قد ارتبط في بدايته بالنص الديني، إلا أن هذا المصطلح قد اتسع فيما بعد، إذ (( انتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعاً تشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ، وعلم الاجتماع، والانثربولوجي، وفلسفة الجمال، والنقد الأدبي، والفولكلور )) <sup>(٥٦)</sup>، ويرجع الفضل في هذا إلى العلماء الألمان، ويعد العالم الألماني (شلاير ماخر) (١٨٤٣م) هو أول من حاول وضع قواعد

## الزمخشري ومنتصف القرن السادس الهجري

أما ما يتعلق بالزمخشري - موضوع الدراسة - فإننا نحاول أن نطرح مجموعة من الأسئلة ونجيب عنها للكشف عن منهجنا في الدراسة، وهي: لماذا حددت المدة بمنتصف القرن السادس الهجري؟ ولماذا لم يقع الاختيار على قرن واحد فقط؟ ولماذا لم وقع الاختيار على مفسر واحد فقط؟ ولماذا اختير مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ)، ومقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) من دون غيرهم من المفسرين كتمهيد لفترة الزمخشري؟

إن تحديد مدة الدراسة بمنتصف القرن السادس الهجري يعود إلى طبيعة الموضوع نفسه - وهو الدلالة السياقية - إذ إن الدلالة السياقية لم تتضح بشكل كبير إلا بعد نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤١٧هـ)، أي نهاية القرن الخامس الهجري، وأول من طبق هذه النظرية بشكل أكثر دقة من غيره الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، أي منتصف القرن السادس الهجري.

وإذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يقع الاختيار على قرن واحد كالقرن السادس الهجري مثلاً الذي اتضحت فيه الدلالة السياقية بشكل كبير وتخصيصه عند المفسرين البيانين؟ إن هذا الأمر مرتبط بهدف البحث وهو تأصيل فكرة الدلالة السياقية فعندما يريد الباحث أن يؤصل فكرة معينة فلا بد من أن يرجع إلى أقدم مدة، إذ ليس من المعقول أن تظهر فكرة الدلالة السياقية عند الزمخشري في منتصف القرن السادس الهجري فجأة فلا بد لها من جذور، وقد تطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه.

أما سبب اختيار هؤلاء المفسرين من دون

عامة لدراسة النص بشكل عام (الديني، والأدبي) متأثراً بما قام به (اسبينوزا)، وهذه القواعد هي:

١. دراسة شخصية صاحب النص، فهو يرى ((أن النص وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ))<sup>(٥٧)</sup>.

٢. دراسة اللغة التي كتب بها النص دراسة تاريخية، فهو يرى أن النص كلما تقدّم ((في الزمن صار غامضاً بالنسبة لنا، وصرنا - من ثم - أقرب إلى سوء الفهم لا الفهم))<sup>(٥٨)</sup>، كذلك يرى أن دراسة اللغة لابد أن ترتبط بالمؤلف لأن النص فيه جانبان - في رأيه - هما: ((جانب موضوعي يشير إلى اللغة، وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، وجانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف ويتجلى في استخدامه الخاص للغة))<sup>(٥٩)</sup>.

٣. أن يعتمد المفسر على النص نفسه في عملية التفسير من دون أن يدخل أهواءه وذاته في عملية فهم النص، فلا بد أن تكون دراسة النص موضوعية، فهو يطالب المفسر ((أن يساوي نفسه بالمؤلف، وأن يحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص))<sup>(٦٠)</sup>.

٤. دراسة دلالة المفردات واستعمالات المادة الواحدة مما يعين المفسر أن يعلل لإيثار صاحب النص لفظة على أخرى أو تعبيراً على آخر<sup>(٦١)</sup>.

لقد كان للمدرسة الألمانية أثرها الكبير على المفكرين الغربيين المحدثين الذين أسهموا في بلورة نظرية عامة في التفسير تنطبق على الأدب وغيره من العلوم الإنسانية.



غيرهم فإن ذلك نتيجة مراعاة عدة أمور منها:

١. إن لكل مفسر من هؤلاء تفسيراً صحت نسبته إليه.

٢. إن أغلب هؤلاء المفسرين يمثلون اتجاهات مختلفة في الفكر ومن ثم اختلاف نظرتهم للنص.

٣. إن هؤلاء المفسرين يمثلون جانباً مهماً من جوانب التطور في التفسير:

أ. يعدّ مجاهد (ت ١٠٢هـ) صاحب أول كتاب تفسير مكتوب وصل إلينا باستثناء تفسير ابن عباس - وهو أستاذ مجاهد - إلا أن هذا التفسير منسوب إليه.

ب. يعدّ مقاتل (ت ١٥٠هـ) صاحب أول كتاب تفسير كامل للقرآن الكريم، وهو من المفسرين البارزين في الدلالة السياقية. ويمثل مجاهد ومقاتل المرحلة الأولى من التفسير، وهي مرحلة اقتصرت على بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وإيراد بعض القصص والمرويات.

ج. كذلك اخترت الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لأن الزمخشري هو أول من اتضحت عنده نظرية النظم بشكل أكثر دقة من غيره، كذلك لأنه يمثل اتجاهًا فكرياً مختلفاً عن الآخرين وهو الاعتزال.

وعلى الرغم من أنني قد جعلت نظرية النظم حداً فاصلاً بين مدتين لم اجعلها حداً فاصلاً في دراستي فلم أقم الموازنة بين المفسرين على أساس من عاش قبل نظرية النظم ومن عاش بعدها لأن هذه النظرية لها جذور تاريخية وقد أشار إليها بعض المفسرين. كذلك لم أعط هذه

النظرية أهمية كبيرة في دراستي لأن هذه النظرية نظرية لغوية تتعلق بالجانب النحوي أكثر من تعلقها بغيره، ودراسة المعنى والسياق من الموضوعات الشاملة - كما أشرت - ومن ثم كانت دراستي تقوم على أساس طبيعة الإشارات التي أجدها عند المفسرين بشأن الموضوع.

كذلك مع أن الاختيار وقع مفسر واحد وهو الزمخشري إلا أن إشاراتي إلى مجاهد (ت ١٠٢هـ)، ومقاتل (ت ١٥٠هـ) كانت قليلة، فقد اقتصرت إشارتي إليهما في موضوع السياق في التفسير والتأويل وتعدد دلالة المفردة فقط، وذلك لأنهما كانا من المفسرين الأوائل فقد عاشا ضمن مدة لم تكن فيها الحركة العلمية مزدهرة مثلما هي في العصر العباسي، فقد عاش مجاهد في العصر الأموي، وعاش مقاتل إلى بدايات العصر العباسي. وقد أدخلتهما ضمن النماذج المختارة وذلك لأن البحث يهدف إلى جانب تأصيل نظرية السياق إلى دراسة تطور نظرة المفسرين إلى السياق من بداية التفسير إلى نهاية المدّة المدروسة.

## المفردة والسياق

### المبحث الأول

#### التطور الدلالي (السياق التاريخي)

#### اللغة والتطور

أشرت فيما مضى إلى ما ذكره (اسبينوزا) (شلايرماخر) في ضرورة دراسة لغة النص دراسة تاريخية، وسنحاول في هذا المبحث أن نؤصل هذه الفكرة عند المفسرين في دراستهم للغة القرآن الكريم.

ولي أن اذكر أن ما أشار إليه (اسبينوزا)



## عوامل التطور الدلالي وأشكاله ومظاهره

إن التطور الذي يصيب اللغة لا بد من أن يكون متأثراً بعوامل شتى منها عوامل خارجية كالصراع اللغوي الذي يحدث بين اللغات وعوامل داخلية تتمثل في اللغة نفسها وطريقة استعمالها<sup>(٧٠)</sup>. وقد لخص الدكتور علي عبد الواحد وافي هذه العوامل بما يلي:

١. العوامل الاجتماعية: ويقصد بها (( حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها، وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها... وهلم جرا<sup>(٧١)</sup>).

٢. العوامل الخارجية: كالصراع اللغوي وتأثر اللغات بعضها ببعض<sup>(٧٢)</sup>.

٣. العوامل الأدبية: ويقصد بها (( ما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبدله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها في سبيل حمايتها والارتقاء بها ))<sup>(٧٣)</sup>.

٤. عوامل تتعلق بالانتقال اللغوي، أي انتقال اللغة من جيل إلى آخر<sup>(٧٤)</sup>.

٥. العوامل الطبيعية: ويقصد بها (( الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية... وما إليها ))<sup>(٧٥)</sup>.

٦. العوامل اللغوية: وهي عوامل تتعلق باللغة نفسها من أصوات وقواعد وما إلى ذلك<sup>(٧٦)</sup>.

أمّا أشكال التطور الدلالي ومظاهره عند المحديثين فهي على ثلاثة أشكال: تعميم الدلالة، وتخصيصها، وانتقالها رقياً وانحطاطاً<sup>(٧٧)</sup>.

١. تعميم الدلالة: ويقصد به (( توسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال

و(شلايرماخر) وغيرهما كان عن وعي وإدراك بأن اللغة في تطور مستمر، وهو ما أشارت إليه الدراسات اللغوية الحديثة أيضاً فشبهوا اللغة بالكائن الحي في نموه وتطوره وموته متأثرين بذلك بعلم الحياة (البيولوجيا)<sup>(٦٣)</sup>. وأشارت هذه الدراسات إلى أن هذا التطور الذي يصيب اللغة هو أمر حتمي (( فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها والمحافظة على خصائصها ))<sup>(٦٣)</sup>، ومن ثم لا يمكن لمجتمع أن يقف بوجه تطور اللغة التي يتكلم بها؛ ذلك لأن (( تطورها... يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة، مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، لا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه ))<sup>(٦٤)</sup>، وهذا التطور الذي يصيب اللغة يصيبها في جميع مستوياتها من صوت وبنية وتركيب ودلالة، إلا أن هذا التطور أكثر ما يكون في الصوت والدلالة<sup>(٦٥)</sup>، وفي المفردات أكثر مما هو في تركيب<sup>(٦٦)</sup>.

ويصور لنا القرآن الكريم هذا التطور في قصة أهل الكهف، إذ يقول جل شأنه: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَّسَعَّ لَوْلَا يَتَّبِعُهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا مُرْشِدًا ﴾<sup>(٦٧)</sup>، فقد تطورت لغة أهل المدينة التي كانوا يعيشون فيها، (( ولم يعد بمقدور أهل الكهف بيان دلالة (معنى) ما يريدون عن طريق لغتهم التي مضى عليها أكثر من ثلاث مئة وتسع سنين، بل لم يفهم من رآهم ما يريدون ))<sup>(٦٨)</sup>، ويظهر هذا واضحاً جلياً في استعمال لفظة (التلطف) التي لا تكون إلا في استعمال الألفاظ<sup>(٦٩)</sup>.

عليه إلى معنى اعم واشمل))<sup>(٧٨)</sup>، مثال ذلك لفظة (الباس) إذ كانت هذه اللفظة تطلق على الحرب قديماً، ثم أصبحت تطلق بعد ذلك على كل شدة فصارَت أكثر عموماً<sup>(٧٩)</sup>.

٢. تخصيص الدلالة: ويقصد به (( قصر اللفظ العام على بعض أفرادهِ وتضييق شمولهِ ))<sup>(٨٠)</sup>، مثال ذلك لفظة (مأتم) إذ كانت تطلق على اجتماع النساء بشكل عام سواء أكان لحزن أم لفرح، ثم تخصصت دلالتها في اجتماع النساء في الحزن فقط<sup>(٨١)</sup>.

٣. انتقال الدلالة: ويقصد به (( انتقال اللفظ من معناه إلى معنى مشابه له أو قريب منه أو بينه وبينه [كذا] مناسبة ))<sup>(٨٢)</sup>، ويكون هذا الانتقال أمّا رقياً كانتقال لفظة (الرسول) الذي يدل على الشخص الذي يرسله الإنسان في مهمة ما ثم أصبحت دلالتها أكثر رقياً كما هو معروف الآن<sup>(٨٣)</sup>، وأمّا أن يكون ذلك الانتقال انحطاطاً كانتقال لفظة (الكرسي) -مثلاً- الذي استعمل بمعنى العرش في القرآن الكريم وأصبحت تدل الآن على الكرسي المعروف<sup>(٨٤)</sup>، وكذلك لفظة (قحبة) التي كانت تعني المرأة التي تسعل كثيراً، ثم أطلقت على المرأة الباغية لأنها تسعل وتتنحنج إذا مرّ أحد القادمين ببيتها لطلب الزنا<sup>(٨٥)</sup>.

## ١- التطوّر الدلالي عند المفسرين

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، واللغة العربية شأنها شأن جميع اللغات عرضة للتطوّر إذ (( ليست العربية بدعاً بين اللغات، ذلك أن اللغات كافة تخضع لسنة التطوّر ))<sup>(٨٦)</sup>. ومما لا شك فيه أن الإسلام حدث خطير في تاريخ العرب واللغة

العربية، وقد أسهم إسهاماً كبيراً في تطوّرها<sup>(٨٧)</sup>.

وقد نبّه المفسّرون على التطوّر الذي يصيب اللغة فدرسوا الألفاظ دراسة تاريخية وأشاروا إلى أصولها التي انتقلت منها، فقد وردت في القرآن الكريم كثير من الألفاظ التي تطوّرت دلالتها عما كانت عليه في الجاهلية تعميماً أو تخصيصاً أو انتقالاً في الدلالة ولا سيما ما تسمى بالألفاظ الإسلامية أو المصطلح القرآني<sup>(٨٨)</sup>، كالصلاة، والزكاة، وغيرهما من الألفاظ. ويمكننا أن نعرض بعضاً من هذه الألفاظ لنرى كيف درسها الزمخشري دراسة تاريخية.

## ١. الإيمان والمؤمن:

لقد ذكر المفسرون عدّة أقوال في أصله معنى (الإيمان)، وهي:

الأول: التصديق، أي أن المؤمن هو الذي يصدق بالشيء، كذلك الذي يصدق فعله مع قوله<sup>(٨٩)</sup>.

الثاني: الأمان، أي أن المؤمن هو الذي يؤمن نفسه من العذاب أو غيره<sup>(٩٠)</sup>.

الثالث: الوثوق والسكون والطمأنينة، قال الزمخشري: (( وأمّا ما حكى أبو زيد عن العرب: ما أمنت أن أجد صحابة -أي ما وثقت - فحقيقته: صرت ذا أمن به، أي ذا سكون وطمأنينة... ))<sup>(٩١)</sup>.

ثم أشار الزمخشري بعد ذلك إلى المعنى الشرعي الذي انتقلت إليه لفظة (الإيمان) فأصبحت لفظة الإيمان (( هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان ))<sup>(٩٢)</sup>، فانتقلت من معناها العام وهو التصديق والأمان والوثوق

والسكون والطمأنينة إلى معنى خاص شرعي.

## ٢. الإسلام والمسلم:

ذهب المفسرون إلى أن أصله معنى الإسلام الاستسلام والخضوع والتذلل، ثم تطوّرت دلالة لفظة الإسلام فاخذ يطلق على الخضوع والتذلل لله تعالى وحده، أي انتقلت دلالة اللفظة من العام إلى الخاص، يقول الطبري: ((واصل الإسلام الاستسلام، لأنه من استسلمت لأمره، وهو الخضوع لأمره، وإنما سمّي المسلم مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه))<sup>(٩٢)</sup>.

## ٣. الصلاة:

وفي ذلك يخالف الزمخشري كافة المفسرين، ولفظ الصلاة عنده يقصد به ((عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود))<sup>(٩٤)</sup>، واختاره الزمخشري<sup>(٩٥)</sup>.

## ٤. الحج:

واصل معنى (الحج) هو القصد مع التكرار، ثم تطوّر هذا المعنى العام إلى معنى خاص وهو الحج المعروف وهو قصد بيت الله الحرام وأداء المناسك الخاصة به<sup>(٩٦)</sup>.

## ٥. العمرة:

وأصل معنى (العمرة) هو الزيارة والقصد، ثم تطوّر هذا المعنى العام إلى معنى خاص وهو زيارة بيت الله الحرام<sup>(٩٧)</sup>.

## ٦. الكلال:

وذكر الزمخشري في ذلك أن الكلال هي: الإعياء، وهو الضعف وذهاب القوة، وهي مصدر من الكلال<sup>(٩٨)</sup>.

ثم تطوّر هذا المعنى إلى معنى خاص وهو كل ما يصل الإنسان من قرابة ونسب ما عدا الوالد والولد، أو ما عدا الوالد<sup>(٩٩)</sup>، أما علاقته بالإعياء أي ((كأنه تناول الميراث من بعد عن كلال وإعياء))<sup>(١٠٠)</sup>.

## ٧. الطلاق:

ذكر الزمخشري أن أصله الطلاق هو دلالة على الانطلاق وهو ضد التقييد، وذكر ما يدل عليه لفظ الطلاق من معان لغوية وقال الزمخشري في معجمه: ((أطلقت الأسير، وهو طليق، وهو من الطلقاء. وأطلقت الناقة من عقالها فطلقت، وهي طالق وطلق، وابل أطلاق، قال ذو الرمة<sup>(\*)</sup>:

تقاذفن أطلاقاً وقارب خطوه

عن الذود تقييد وهن حبائبه

وناقة طالق: ترعى حيث شاءت ولا تمنع. وتطلق الطلي: خلى عن قوائمه ومضى لا يلوي على شيء...))<sup>(١٠١)</sup>.

ومن خلال هذه الأمثلة يتضح لنا أن الألفاظ والمصطلحات الإسلامية قد تطوّرت من معنى عام إلى معنى خاص - غالباً - وهو ما يسمى بتخصيص الدلالة، وهو الأمر الذي تنبه إليه المفسرون منذ وقت مبكر. أمّا تعميم الدلالة فسنتناوله فيما بعد في تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق الذي ترد فيه في المبحث الثاني - إن شاء الله تعالى.

أمّا انتقال دلالة اللفظ فهو اقل من تخصيص الدلالة وتعميمها كما رأينا ذلك في الأمثلة السابقة، إلا أن بعض الدارسين يرون أن ما عمله الزمخشري في معجمه أساس البلاغة هو من باب انتقال الدلالة، إذ يرى الزمخشري - حسب رأي هؤلاء الدارسين - إن أغلب الألفاظ المستعملة



هي ألفاظ منقولة عن معان لغوية أخرى وذلك عن طريق المجاز لذلك كان يعرض في معجمه المعنى الحقيقي ثم المعنى المجازي الذي تطورت إليه ويترك للقارئ استخلاص المعنى من خلال وضع المفردة في العبارة أي من خلال السياق الذي ترد فيه<sup>(١٠٢)</sup>، بل يمثل معجمه في نظرهم ((ذروة لما يمكن ان يكون عليه المعجم الدلالي في ذلك العصر))<sup>(١٠٣)</sup>. ولعل السبب في اهتمامه بهذا الجانب - إن كان صحيحاً ما ذكره - هو بتأثير الفكر الاعتزالي عليه إذ إنَّ المعتزلة كانوا يرون إنَّ اللغة ((ظاهرة اجتماعية يصنعها الإنسان الذي يملك القدرة على صنعها. وهي قابلة للتطور والتغير تبعا لتطور المدلولات والظروف والمتعاملين بها، وفيها من طاقات التوسع ما ينبغي استغلاله للمواءمة بين النصوص الدينية والمبادئ العقلية التي تسعى - أصلاً - إلى تنزيه العقيدة، والدفاع عنها))<sup>(١٠٤)</sup>. وذكر د. فاضل السامرائي إنَّ الزمخشري لم يخالف المعتزلة فيما أشار إليه في تطور الألفاظ إلا في المصطلحات الشرعية - التي ذكرنا بعضاً منها - إذ يراها المعتزلة بأنها حقائق شرعية مخترعة وليست منقولة من معان لغوية<sup>(١٠٥)</sup>.

وأشار المفسرون - أيضاً - إلى ما أشارت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في انحطاط دلالة بعض الألفاظ ولا سيما تلك الألفاظ المحظورة اجتماعياً كالألفاظ الجنس والتبول والتغوط<sup>(١٠٦)</sup>، فقد أشار المفسرون إلى ذلك في تفسيرهم للألفاظ التي كنى الله سبحانه وتعالى بها عن الاتصال الجنسي كالرفث، والمباشرة، والاقتراب، واللمس، والمس، والإفشاء، والتغشي، وغيرها، وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومنها:

١. قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ عِلِمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ آتُوا الصَّيَامَ إِلَى آيِلٍ وَلَا تُبْشِرُوا بِهِمْ وَأَنْتُمْ عَنِكُمُوهُ فِي الْمَسْجِدِ يَلِكُ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(١٠٧)</sup>.

٢. قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(١٠٨)</sup>.

٣. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرْصَةً مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ الْكِتَابِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١٠٩)</sup>.

٤. قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(١١٠)</sup>.

٥. قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ اللَّاتِي أُبْنِيَكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١١١)</sup>.

٦. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ



وَأَنْتُمْ سُكْرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١١٢﴾ (١١٣).

٧. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبَرُ﴾ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٤﴾.

٨. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١١٥).

فالباس - مثلاً - كان يدل على الملابس، والمباشرة هي لقاء بشرة ببشرة، والإفضاء الوصول إلى الشيء، واستعملت - هنا - كناية عن الاتصال الجنسي، وكذا بقية الألفاظ، وهي من آداب القرآن الكريم في استعمال الألفاظ كما يشير إلى ذلك المفسرون (١١٦).

## المبحث الثاني

### تعدد الدلالة والسياق

### دلالة المفردة والسياق

لكل كلمة معنى معجمي تدل عليه وهو المعنى اللغوي، ومن سمات هذا المعنى التعدد. وهناك

معنى آخر ناتج عن وضع الكلمة في السياق، وهو المعنى السياقي، ومن سماته انه معنى محدد وثابت (١١٧). وقد تطرف بعض الغربيين فذهبوا إلى ان الكلمة ليس لها دلالة بل ان دلالتها لا تكون إلا في استعمالها ووضعها في السياق (١١٨). ونود ان نشير -هنا- إلى ان ما ذكره الغربيون في هذا الشأن قد سبق إليه العرب قديماً، ولا سيما ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في نظرية النظم عندما ذهب إلى ان الألفاظ لها دلالة أولى وهي الدلالة اللغوية ودلالة ثانية وهي دلالة المفردة في النظم الذي ترد فيه (١١٩).

ولما كان السياق هو المحدد لمعنى المفردة فمن الطبيعي ان يختلف معنى الكلمة الواحدة باختلاف السياق الذي ترد فيه، وذلك ((كلما زاد استعمالها وكثر ورودها في نصوص مختلفة)) (١٢٠)، وهذا يعني ان السياق قد يعمم معنى المفردة من خلال اختلاف السياقات التي ترد فيها، وهو ما يسمى بتعدد الدلالة باختلاف السياق.

وفي حقيقة الأمر ان تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق ناتج عن التطور الدلالي الذي تخضع له اللغة، وهو المشترك اللفظي نفسه، وهو ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)) (١٢١)، ويبدو ان المشترك اللفظي لا وجود له في اللغة الا بفضل السياق، فعندما نقول ان لفظ (العين) يدل على عدة معان وهي العين الباصرة، وعين المال، وعين الميزان هو قول غير صحيح؛ وذلك لأننا إذا أطلقنا لفظ (العين) فانه لا يتبادر إلى الذهن إلا المعنى الحقيقي لهذا اللفظ وهو العين الباصرة، وأمّا المعاني المجازية الأخرى فهي لا تعرف إلا من خلال وضعها في السياق، واقصد بالمشترك اللفظي

-هنا- المشترك اللفظي (البوليزيمي) الناتج عن التطور الدلالي عن طريق المجاز كالمثال السابق لا المشترك اللفظي (الهومونيمي) الذي يعرف عند أهل البلاغة بالجناس اللفظي<sup>(١٢٢)</sup>.

ويرى عالم سبيل النيلي× إن معنى اللفظ ثابت ولا يتغير باختلاف السياق بل يتغير معنى الجمل والتراكيب التي يرد فيها ذلك اللفظ، فيقول: ((على ان المجاز ما كان ليظهر لولا تعدد الدلالات أو المعاني للفظ الواحد الذي هو المشترك المعنوي أو اللفظي حسب اختلافهم في الاصطلاح والمهم أن المراد منه اشتراك معاني متعددة في لفظ واحد. معلوم أن هذا التصور هو نوع من الوهم وقد تتبعنا كافة [كذا] ما وقع بأيدينا من موارد بهذا الصدد فما وجدنا المعاني مشتركة في لفظ واحد، بل هو محال في ذاته ما دامت للأصوات قيمة معنوية وللترتيب التسلسلي لها دلالة محددة. إنما سبب الوهم عندهم العبارات التي دخلت فيها تلكم الألفاظ فالتقوا بمعاني الجمل على الألفاظ، ولما كانت المفردة تدخل أكثر من جملة وصورة للتركيب فمن الطبيعي أن تكون الجمل مختلفة في (الدلالة الكلية))<sup>(١٢٣)</sup>، وهذا الرأي غير صائب لأنه لو كان ذلك صحيحاً لجاز لنا ان نضع أية لفظة في سياق معين فتعطينا المعنى الذي نريده منها دون أن تكون تلك اللفظة محتملة للمعنى الجديد الذي أعطته في السياق، وهذا غير جائز في اللغة.

### تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق عند المفسرين

لقد تنبه المفسرون -ومنذ وقت مبكر- إلى ما أشارت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق الذي ترد فيه،

فلو رجعنا إلى تفسير مجاهد وهو أقدم كتاب تفسير وصل إلينا لوجدنا في أثنائه بعض هذه الإشارات إلا أن مجاهداً لم يصرح بذلك لفظاً، فكلمة (الناس) تعني جماعة من البشر - كما هو معروف- ولكنه فسرها بـ (آدم) (عليه السلام)<sup>(١٢٤)</sup> في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١٢٥)</sup>، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِنَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(١٢٦)</sup>. وكذلك كلمة (الأمّة) فهي تعني جماعة من الناس ولكنه فسرها في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾<sup>(١٢٧)</sup> بأنها الملة<sup>(١٢٨)</sup>.

وتطوّرت المسألة عند مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) فألف كتاباً في تعدد دلالة اللفظ باختلاف السياق أطلق عليه اسم (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم). وكان مقاتل يشير إلى المعنى المعجمي (اللفوي) والمعاني المجازية - أحياناً - أي ان اختلاف معنى الكلمة باختلاف السياق ناتج عن التطور الدلالي الذي تخضع له اللغة، ففي وجوه كلمة (الموت) - مثلاً - عرض للمعاني المجازية لهذه الكلمة وهي: النطف، والكفار، وجدوبة الأرض، وذهاب الروح المؤقت<sup>(١٢٩)</sup>، ثم ذكر بعد ذلك المعنى المعجمي، فقال: ((والوجه الخامس: الموت بعينه: ذهاب الروح بالأجال وهو الموت الذي لا يرجع صاحبه إلى الدنيا...))<sup>(١٣٠)</sup>، وغيره

من الأمثلة. كذلك يربط بين المعنى المعجمي والمعاني المجازية المنتقلة عنه - أحياناً - فصي وجوه كلمة (الماء) - مثلاً - ذكر انه يأتي بمعنى المطر، والنطفة<sup>(١٣١)</sup>، ثم قال: ((والوجه الثالث: الماء يعني القرآن، فذلك قوله في النحل: ((والله انزل من السماء ماء)) [النحل ٦٥] يعني القرآن وهو مثل ضربه الله، كما أن الماء حياة للناس كذلك القرآن حياة لمن آمن به))<sup>(١٣٢)</sup>، وهذا يعني أن مقاتلاً قد سبق غيره في الإشارة إلى فكرة المجاز<sup>(١٣٣)</sup>.

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا أن مقاتلاً قد عرض في كتابه الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لأنواع مختلفة من الألفاظ منها حروف، وأفعال، وأسماء، وظروف، وقد عالجها معالجة سياقية كما هو ملحوظ في الدراسات اللغوية الحديثة التي تعنى بالسياق.

## تعدد دلالة المفردة بعد مقاتل بن سليمان.

يعد الزمخشري والذي جاء بعد مقاتل، وقد خص بالدراسة، فقد كانت إشارات إلى تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق قليلة، وسنحاول ان نعرض بعض الأمثلة عنده:

### ١. الأمة:

ذكر الزمخشري ان لفظة (الأمة) تأتي على عدة معاني منها:

أ. الدين والملة، مثل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٤﴾، أي على دين وملة واحدة<sup>(١٣٥)</sup>.

ب. الحين والمدة والوقت، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَٰهَ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٣٦﴾﴾، أي إلى حين وقت، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٣٧﴾﴾، أي اذكر بعد مدة وحين من الزمن<sup>(١٣٨)</sup>.

د. الإمام ومعلم الخير والقدوة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٩﴾﴾، أي كان إماماً ومعلماً للخير وقدوة<sup>(١٤٠)</sup>. وذكر الزمخشري أيضاً أن أصله معنى (الأمة) هو القصد<sup>(١٤١)</sup>.

## ٢. البلاء:

ذكر الزمخشري إن لفظ (البلاء) يأتي بمعنى:

أ. النعمة، وذلك إذا كان البلاء في الخير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾، أي وفي ذلكم أنعام، وذلك إذا كانت الإشارة إلى الإنجاء. وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾، أي اعملوا حسناً<sup>(١٤٤)</sup>.

ب. الشر، وذلك إذا كان البلاء في السوء، كما في الآية السابقة إذا كانت الإشارة إلى عمل فرعون<sup>(١٤٥)</sup>.

ج. الاختبار والامتحان، وهو المعنى المعجمي، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم



بالشر ﴿كُلْ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (١٤٦)، أي نخبركم ونمتحنكم (١٤٧).

أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ... ﴿١٥٨﴾، أي يصدوك (١٥٩).

### المبحث الثالث

#### التوافق السياقي

يقصد بالتوافق السياقي الانسجام بين الأجزاء المشكلة للنص، وهذا التوافق قد يكون بين الألفاظ والعبارات في الآية نفسها، أو يكون بين الآيات إذ أن ((في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كان يكون الاختلاف في حرف أو في كلمة، أو في نحو ذلك)) (١٦٠). وفي حقيقة الأمر أن القرآن الكريم متوافق سياقياً ولا يوجد هناك اختلاف فإذا ما وجد فانه لابد من أن يكون لعله ترتبط بالجانب الإعجازي للقرآن الكريم، إلا أن هذه المسألة - أي محاولة إيجاد التناقض وعدم الانسجام في القرآن الكريم مسألة قديمة بل أن بعض هذه المحاولات قد رافقت نزول القرآن الكريم (١٦١)، وقد أثارت الحركات الفكرية المناوئة للإسلام هذه المسألة بشكل كبير وحاولت أن تجد بعض الثغرات للطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه لانه يمثل وحدة المسلمين والدستور الذي تقوم عليه الأمة الإسلامية.

#### التوافق السياقي بين أجزاء الآية

ونقصد به التلاؤم والانسجام بين الألفاظ المشكلة للآية من حيث المعنى، فقد تبدو بعض الألفاظ متناقضة فيما بينها في الظاهر، أو أن بعضها يشبه الآخر فيكون في ذكر أحدهما غنى في ذكر الآخر ويذكر اللفظان في آية واحدة. وفي حقيقة الأمر أن أغلب هذه الأمور متعلقة بالنظم الاجتماعية من أساليب وقضايا لغوية لا يعرفها إلا المتمرسون باللغة العربية وأخرى تتعلق بسياق

#### ٣. النفس:

ذكر المفسرون إن لفظ (النفس) يأتي على عدة معان:

- أ. الروح، ولم يذكروا أمثلة على ذلك (١٤٨).
- ب. الدم، قال الطوسي: ((والنفس الدم، ومنه النفساء، ونفست المرأة)) (١٤٩).
- ج. الذات، وهو المعنى المعجمي (١٥١).
- د. القلب، قال الزمخشري: ((ثم قيل للقلب: نفس، لأن النفس به)) (١٥٢).
- هـ. الماء، وذهب الزمخشري إلى أن سبب تسمية الماء بالنفس ((لفرط حاجتها إليه)) (١٥٣).

#### ٤. الفتنة:

ذكر الزمخشري إن لفظ (الفتنة) يأتي على عدة معان:

- أ. الشرك والكفر، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٤)، أي حتى لا يكون شركاً (١٥٥).
- ب. المحنة والعذاب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾ (١٥٦)، أي جعل عذاب الناس كعذاب الله سبحانه وتعالى (١٥٧).
- د. الصد، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا



ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٦٢)، نجد ان الفعل (تعثوا) يدل على الفساد، واصله ((شدة الإفساد، بل هو اشد الإفساد، يقال منه: عثى فلان في الأرض: إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته)) (١٦٣) وفي قوله تعالى: ﴿فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٤) نجد ان الخطاب موجه لاثنتين (فاتيا)، (فقولا)، وهما موسى وهارون (عليهما السلام) ولكن هذا يتعارض مع لفظة (رسول) التي جاءت على صيغة المفرد، وذكر الزمخشري ان السبب في ذلك ان الرسول قد يكون بمعنى الرسالة، أو لانهما متساندان متفقان على شريعة واحدة وهما اخوان ومن ثم فان توحيد اللفظ يدل على انهما كالرسول الواحد، وهو ربط بسياق الحال (١٦٥).

ونجد هناك توافقاً سياقياً بين لفظة (الشمس) و(القمر) باعتبارهما من الكواكب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (١٦٦)، ولكن كيف تتم الموافقة بين النجم والشجر والفرق بينهما كبير؟ وذهب الزمخشري إلى ان المقصود بالنجم -هنا- ليس النجم المعروف في السماء وإنما هو الشجر الذي لا ساق له أو كل ما ينجم من الأرض، وأما الشجر فهو الذي له ساق ومن ثم يكون المعنى يسجد لله سبحانه وتعالى النبات الذي له ساق والذي ليس له ساق أي جميع أنواع النباتات (١٦٧).

ونلاحظ ان الزمخشري كان من أكثر المفسرين عناية بهذا النوع وهو التوافق السياقي بين الألفاظ داخل الآية وانسجام بعضها مع بعض وكان هذا تحت تأثير نظرية (النظم) لعبد القاهر الجرجاني الذي كان يعنى بموقع اللفظ في النظم وانسجامه مع الأجزاء المجاورة له. ويمكننا ان نورد بعض الأمثلة التي انفرد بها الزمخشري في كشفه، ومنها ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَنُونَ﴾ (١٦٨)، فقد جاءت لفظة (ما) الدالة على غير العاقل وعلى غير أولي العلم مع لفظة (قانتون)، ويرى أن السبب في ذلك للتحقير والتصغير من الشأن (١٦٩)، وهو ربط بين الجانب الدلالي لللفظة (ما) مع سياق حال الآية التي سبقت توبيخاً وتحقيراً لهؤلاء الذين ادعوا لله ولداً سبحانه وتعالى عما يصفون.

واقترن ذكر الأنعام بالبنين في قوله تعالى: ﴿أَمَذْكُرُ بِأَنعَمَ وَبَيْنَ﴾ (١٧٠)، مع أنه لا يوجد توافق سياقي بين اللفظتين لأن مرتبة البنين أعلى من مرتبة الأنعام مع الاختلاف في الجنس والنوع، ويرى الزمخشري أن السبب في اقترانهما هو أن البنين هم الذين يعينوهم على حفظها والقيام بها (١٧١).

وفي قوله تعالى: ﴿فَبَلَّغْنَاكَ اللَّهُ أَبْنَاءَ النَّاسِ﴾ (١٧٢) نجد أن النظم يقتضي أن يقال: ((فبئس مدخل المتكبرين)) حتى يوافق الفعل (ادخلوا) ولكنه جاء ((فبئس مثوى المتكبرين))، لأن دخولهم في جهنم وبقائهم فيها هو دخول وبقاء خالد إلى الأبد كما صرحت الآية فكان خلودهم في النار بمعنى التواء والبقاء في هذا المكان فجاءت لفظة (مثوى) للدلالة على هذا



واحد؟ ويذكر الزمخشري أن المعنيين في الآيتين متوافقان، لأن النزول يكون عن طريق الوحي وهو يهبط من الأعلى ومن ثم ينتهي إلى الرسل، وعلى هذا فقد عدي فعل الإنزال بـ (على) مرة وبـ (إلى) مرة أخرى على هذين المعنيين، ثم يرد بعد ذلك على قول من قال: إنَّ مجيء (إلى) في الآية الأولى لقوله تعالى فيها (قولوا) بالجمع، ومجيء (على) في الآية الثانية لقوله تعالى (قل) بالأفراد بدعوى أن الوحي ينزل على الرسول على طريق الاستعلاء ويأتي للناس على جهة الانتهاء مستشهداً بالآيات التي عدت بـ (إلى) إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ <sup>(١٨١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(١٨٢)</sup>، وغيرها من الآيات <sup>(١٨٣)</sup>.

ووصفت ريح سليمان (عليه السلام) بالعصف تارة، وبالرخاء تارة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ <sup>(١٨٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ <sup>(١٨٥)</sup>، فما وجه التوافق بينهما؟ ويذكر الزمخشري أن الريح كانت تتصف بالرخاوة في نفسها إلا أنها عاصفة في عملها حسب ما يريد سليمان (عليه السلام)، وقيل: إنها كانت تتصف بالرخاء في وقت وبالعصف في وقت آخر وكل هذا تحت أمره (عليه السلام) <sup>(١٨٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ <sup>(١٨٧)</sup>، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿هَٰذَا نَحْنُ خَصَمَانِ اخْضَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ <sup>(١٨٨)</sup>، نجد أن المصبوب في الآية الأولى هو (العذاب)، وفي الآية الثانية هو (الحميم) مع أن الحميم هو المصبوب لا عذابه فلماذا لم يأت في الآية الأولى بصب الحميم حتى تتم الموافقة السياقية مع الآية الثانية ويكون أكثر اتساقاً مع المعنى المراد؟ ويرى الزمخشري أن صب العذاب بدلا من الحميم مع إنَّ الحميم هو المصبوب هو على طريقة الاستعارة فيكون في ذلك التعبير جانب نفسي وهو تصوير هول العذاب وشدته <sup>(١٨٩)</sup>.

ومن خلال ما تقدم نجد أن أكثر المفسرين إشارة إلى ما يسمى بالتوافق السياقي ومحاولة دفع التناقض عن القرآن الكريم هو الزمخشري لانه كان من المتكلمين الذين اخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن القرآن الكريم.

## المبحث الرابع

### سياق الآيات والسور القرآنية عند الزمخشري

لم يختلف الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) كثيرا عن سابقه في تناوله الربط اللفظي والمعنوي بين الآيات القرآنية، وتركيزه على الآيات التي تبدو في ظاهرها بعيدة الاتصال عن الآيات الأخرى أو غير متناسبة في موقعها مع الآيات الأخرى أو بين أجزاء الآية نفسها. ومن ثم فهو يتساءل على طريقة المتكلمين عن سبب مجيء الآية في هذا الموقع وعن علاقتها بالآيات الأخرى أو علاقة أجزائها بعضها ببعض.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي



سَبِيلَ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٩٠﴾، فقد ذكر ان هذه الآية تخص الأصناف التي تستحق الصدقة، وقد وقعت هذه الآية في ظل ذكر المنافقين ومكائدهم فكيف يمكن ان يكون هذا الأمر ؟ ثم أجاب عن هذا التساؤل بان الله سبحانه وتعالى قد ذكر في هذه الآية الأصناف التي تستحق الزكاة في ظل ذكر المنافقين للدلالة على ان المنافقين ليسوا من هذه الأصناف فلا يستحقون الزكاة لكي يبعد أطماعهم عن مصارفها وللاشعار منه تعالى بحرمانهم منها، فيقول: ((فان قلت: فكيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكائدهم ؟ قلت: دلُّ بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون [كذا] غيرهم على انهم ليسوا منهم، حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان، وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، فما لهم وما لها ؟ وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلوات الله عليه وسلامه؟)) (١٩١).

وقد ذكر الزمخشري عدة وسائل وأغراض معنوية للربط بين الآيات القرآنية أو بين أجزائها منها وسائل وأغراض قد ذكرها البعض قبله ومنها وسائل وأغراض أخرى جديدة، ومنها الربط الموضوعي وهو التشابه بين الآيات القرآنية في الموضوع أو أنها تتناول الموضوع نفسه. ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٩٢)، إذ وردت هذه الآية الدالة على الإنذار بعد الآية الدالة على الغضب، وهي قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩٣)،

فما العلاقة بينهما ؟ ويذكر الزمخشري ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر غضبه اتبعه بالآية الدالة على الإنذار، أي ان العلاقة موضوعية لأن الإنذار هو إنذار من العذاب والعذاب ناتج عن غضب الله سبحانه وتعالى فالموضوع واحد، فيقول: ((فان قلت كيف اتصل قوله ((إنما تنذر)) بما قبله؟ قلت لما غضب عليهم في قوله: ((ان يشأ يذهبكم)) اتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها، ثم قال: ((إنما تنذر)) كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل: ((إنما تنذر)) أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم)) (١٩٤).

وبذلك نجد ان الربط بين الآيات القرآنية في الأمثلة السابقة هو ربط موضوعي يتعلق بالجانب المعنوي، وهناك أغراض أخرى ذكرها الزمخشري، ومنها الربط الحالي، أو الربط بسياق الحال أو الظرف، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (١٩٥)، إذ تتحدث هذه الآية عن نعيم الآخرة وانه أفضل من الدنيا وهي خطاب للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وقد وردت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿وَالْضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَآ قَلَىٰ ۝٣﴾ (١٩٦)، مع أن هذه الآيات تتحدث عن نفي التوديع والقلبي عنه (صلى الله عليه واله وسلم)، فما وجه الاتصال بينهما ؟ ويذكر ان وجه الاتصال أن الله سبحانه وتعالى عندما نفى عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) التوديع والقلبي وهي كرامة عظيمة له (صلى الله عليه واله وسلم) ذكر هذه الآية للدلالة على ان حاله في الآخرة أكرم واجل وأعظم فهو مقدم على جميع الأنبياء والرسول، وأمته مقدمة على سائر الأمم، وشفاعته للمؤمنين، ورفع درجاتهم، وغيرها من الكرامات

التي سيعطيها الله سبحانه وتعالى له يوم القيامة، فهو ربط بين حاله في الدنيا في نفي التوديع والقلبي عنه وحاله في الآخرة والنعيم الذي ينتظره: فيقول: ((فان قلت: كيف اتصل قوله: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ بما قبله ؟ قلت: لما كان في ضمن نفي التوديع والقلبي: إِنَّ نَ اللَّهِ مواصلك بالوحي إليك، وإنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه: أخبره أن حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادة أمته على سائر الأمم، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته، وغير ذلك من الكرامات السنية<sup>(١٩٧)</sup>.

وقد يربط بين أجزاء الآية اعتمادا على سياق الحال، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ﴾<sup>(١٩٨)</sup>، إذ ذكر إن وجه اتصال ((من عذاب شديد)) بـ (الويل) مرتبط بحال الكافرين في النار إذ ((انهم يولون من عذاب شديد، ويضجون منه، ويقولون: يا ويلاه، كقوله: ﴿دَعُوا هَٰذَا لَكُمْ تُبَوِّرُوا﴾ [الفرقان ١٢]))<sup>(١٩٩)</sup>.

وتارة يتناول الزمخشري تقديم بعض الآيات على بعض وكان حقها أن تأتي على ترتيب آخر وذلك اعتمادا على سياق الحال كان تكون الأحداث والظروف في الآية المتأخرة في موقعها متقدمة على الأحداث والظروف في الآية المتقدمة، مثل قصة ذبح البقرة وضرب القتيل بجزء منها إذ جاءت الآيات التي تتحدث عن ذبح البقرة قبل آية قتل القتيل وضربه بجزء منها مع أن حادثة القتل وظروفها قبل حادثة ذبح البقرة وظروفها ويجيب الزمخشري على هذه المسألة بان الهدف من ذكر القصة هو تقريع اليهود على أفعالهم فكان

في تقديم آيات ذبح البقرة على قتل القتيل زيادة في التقريع إذ إن مجيء الآيات على هذا الترتيب والسياق يدل على تشية التقريع وان كانت القصتان قصة واحدة فيكون التقريع الأول هو تقريعهم على عدم المسارعة في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى في ذبح البقرة، والتقريع الثاني هو تقريعهم على قتل النفس التي حرمها الله سبحانه وتعالى، ولو جاءت آية قتل القتيل قبل آيات ذبح البقرة لذهب هذا الغرض المراد في تشية التقريع<sup>(٢٠٠)</sup>. ثم ذكر بعد ذلك ان مجيء آيات ذبح البقرة ثم قتل القتيل على وفق هذا السياق كأنهما قصتان ولكنهما مع ذلك مرتبطتان ارتباطا معنويا ولفظيا عن طريق الضمير في ((اضربوه ببعضها))<sup>(٢٠١)</sup> العائد على البقرة فتكون القصتان قصة واحدة، فيقول: ((ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: ((اضربوه ببعضها)) حتى تبين إنهما قصتان في ما يرجع إلى التقريع وتشيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة))<sup>(٢٠٢)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا كيف ان الزمخشري ناقش مسألة تقدم وتأخر بعض الآيات عن مواقعها اعتمادا على سياق الحال والظروف والأحداث الملازمة وكيفية الربط بين هذه الآيات عن طريق الربط اللفظي بالضمير الذي يعد من الوسائل المهمة في الربط في اللغة العربية<sup>(٢٠٣)</sup>، فضلا عن الربط المعنوي.

ومن الوسائل والأغراض المعنوية الأخرى التي ذكرها الاستطراد، مثل قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِيَاسُ الْفَقْوَى

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٠٤﴾،  
إذ تتحدث هذه الآية عن نعمة من نعمه تعالى ألا  
وهي اللباس الذي يستر عورة الإنسان، وقد وردت  
هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ  
يُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا  
عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠٥﴾  
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢٠٦﴾﴾ فدلَّهِنَّ بِمُرُورِ فَلَمَّا  
ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ  
الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا  
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٧﴾، وذكر الزمخشري أن  
مجيء هذه الآية بعد هذه الآيات هو على سبيل  
الاستطراد فبعد ان ذكر الله سبحانه وتعالى قصة  
ادم وحواء (عليهما السلام) وكيف أن الشيطان  
أغواهما ففزع عنهما لباسهما عندما أكلتا من  
الشجرة التي نهاهما عنها ربهما ذكر هذه الآية  
للدلالة على نعمة الله عز وجل فيما خلق من اللباس  
وان العري فيه مهانة وفضيحة للإنسان وان عليه ان  
يستر نفسه وعورته لأن ذلك من اعمال التقوى ﴿٢٠٦﴾.

ومن الأغراض الأخرى أيضاً حسن التخلص  
(وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود  
على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث  
لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول الا وقد  
وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما) ﴿٢٠٧﴾،  
وهو يقترب اقتراباً كبيراً من الاستطراد إلا أن  
الفرق بينهما ((أنك في التخلص تركت ما كنت  
فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي  
الاستطراد تمر بذلك الأمر الذي استطردت إليه  
مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت  
فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضا)) ﴿٢٠٨﴾،  
مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿٢٠٩﴾،  
إذ أن هذه الآية تتحدث عن نهى الرسول (صلى الله

عليه واله وسلم) عن تحريك لسانه لحفظ ما ينزل  
من القرآن أثناء نزول الوحي عليه، وقد وردت هذه  
الآية بعد قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١﴾ وَلَا أَقِيمُ  
بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تُجْمَعَ عَظَامُهُ، ﴿٣﴾ بَلَى قَدِيرِينَ  
عَلَى أَنْ سُوِيَ بَنَاهُ، ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ، ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ... الآيات ﴿٢١٠﴾، وهذه الآيات تتحدث  
عن يوم القيامة، وذكر الزمخشري ان مجيء هذه  
الآية في هذا الموضع هو للتخلص من ذكر القيامة  
إلى غرض آخر له علاقة به وهو توبيخ الإنسان على  
حبه للعاجلة والدنيا وإهماله اليوم الآخر، فيقول:  
(فان قلت: كيف اتصل قوله (( لا تحرك به  
لسانك )) إلى آخره، بذكر القيامة ؟ قلت: اتصاله  
به من جهة هذا للتخلص منه، إلى التوبيخ بحب  
العاجلة، وترك الاهتمام بالآخرة)) ﴿٢١١﴾.

ومن الأغراض الأخرى التضاد، مثل قوله تعالى:  
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ  
اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢١٢﴾، إذ تتحدث هذه  
الآية عن خسران الكافرين، وقد وردت بعد قوله  
تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ  
الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢١٣﴾، وهذه الآية تتحدث  
عن فوز المؤمنين، فالعلاقة ضدية فيما بينهما،  
فيقول: ((فان قلت: بم اتصل قوله: ((والذين  
كفروا)) قلت: بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي  
ينجي الله المتقين بمفازتهم، والذين كفروا هم  
الخاسرون. واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء  
كلها)) ﴿٢١٤﴾.

وكذلك تحدث الزمخشري عن الجمل  
الاعتراضية التي تعترض الكلام وهي ليست منه  
وعن صلتها وعلاقتها فيما اعترضت فيه، وهو يؤكد  
على أن الاعتراض في الكلام لا يساق إلا لغرض  
معنوي وهو التوكيد، فيقول: ((والاعتراضات في



الكلام لا تساق الا للتوكيد ( (٢١٥) . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢١٦) ، إذ جاءت هذه الآية متوسطة بين آيات قصة إبراهيم (عليه السلام) ، إذ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ هَبْنَا دُودَانَ أَنْتَ وَلِقَوْمِهِمْ إِنْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٧) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢١٧) .

ثم جاءت مجموعة من الآيات المعارضة، ومنها الآية المستشهد بها، وهي من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْبَأُكُمْ بِالْمُحْيِي ﴾ (٢١٨) إِلَى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ وَلَقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢١٩) ، ثم عاد بعد ذلك إلى قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، فقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٢٠) ، وذكر ان هذه الآية المعارضة وغيرها من الآيات المعارضة معها لابد لها من اتصال فيما وقعت فيه، ثم يذكر ان وجه الاتصال هو ان قصة إبراهيم (عليه السلام) وردت بهدف تسلية الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وكيف ان المشركين قد كذبوا إبراهيم (عليه السلام) وآذوه كما ان مشركي قريش قد كذبوا الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وآذوه، فهو ربط موضوعي، أي ان الآيات كلها تتناول موضوع تكذيب المشركين لأنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله (عليهم السلام) وإيذائهم لهم، فيقول: (( فان قلت: فما تصنع بقوله: (( قل سيرا

في الأرض)) ؟ قلت: هي حكاية كلام حكاة إبراهيم عليه السلام لقومه، كما يحكي رسولنا (صلى الله عليه واله وسلم) كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن، فان قلت: فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة؟ أو الجمل الاعترافية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ؟ الا تراك لا تقول: مكة - وزيد أبوه قائم - خير بلاد الله ؟ قلت: إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان أباه إبراهيم خليل الله كان ممنونا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: (( وان تكذبوا )) ، على معنى أنكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها؛ لأن قول (( فقد كذب أمة من قبلكم )) لابد من تناوله لامة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض واقع متصل، ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها، لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله وسلطانه، ووضوح حجته وبرهانه )) (٢٢١) .

كذلك يعنى الزمخشري بالربط المعنوي بين الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ، إذ يتساءل عن كيفية اتصال هاتين الآيتين بالرحمن في قوله تعالى: ﴿ الرحمن ﴾ (٢٢٢) ، مع ان هاتين الآيتين لم تتصلا اتصالا لفظيا معه ؟ ثم يذكر ان وجه الصلة هو وجه معنوي إذ إن الحسبان والسجود لا يكونان الا له تعالى، وهو الرحمن، ومن ثم استغني عن الوصل اللفظي بهذا الوصل المعنوي، فيقول: (( فان قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن ؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي

بالوصل المعنوي، لما علم ان الحسابان حسابانه، والسجود له لا لغيره، كأنه قيل: الشمس والقمر بحسابانه، والنجم والشجر يسجدان له ( (٢٢٣).

ويعنى بالربط اللغوي بين الآيات -أيضاً- وهي العلاقات الاسنادية البعيدة أو غير الظاهرة، مثل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٢٢٤)، إذ ذكر ان هذه الآية تتعلق بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (٢٢٥)، فهي خبر من الأخبار المتعددة للمبتدأ (هو) إلا أن هذا الخبر قد ابتعد عن المبتدأ نتيجة الاعتراضات في الكلام فأصبحت العلاقة بينهما بعيدة وغير ظاهرة، وهذا هو شأن الزمخشري إذ انه كثيراً ما يؤكد على العلاقات بين الآيات التي تبدو بعيدة الاتصال، فيقول: ((فان قلت: بم اتصل قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ ؟ قلت: هو خبر من أخبار هو في قوله: ((هو الذي يريكم)) مثل ((يلقي الروح)) [غافر ١٥] لكن يلقي الروح علل بقوله: ((لينذر يوم التلاق)) [غافر ١٥] ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق إلى قوله: ((ولا شفيع يطاع)) [غافر ١٨] فبعد لذلك عن أخواته)) (٢٢٦).

وقد يذكر الزمخشري أكثر من وجه في اتصال الآيات أو أجزائها بعضها ببعض، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٢٧)، فقد ذكر أن وجه اتصال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بما قبله قد يكون عن طريق الاستدراك، أي ((كأنه قال: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين)) (٢٢٨)، وذكر انه قد يكون المراد ((ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً

منه لا ريب في ذلك، فيكون ((من رب العالمين)) متعلقاً بتصديق وتفصيل)) (٢٢٩)، وذكر وجهاً آخر من وجوه الاتصال وهو ان تكون الجملة متصلة على سبيل الاعتراض (٢٣٠).

ولا يختلف الزمخشري عن سابقه في اهتمامه بالربط اللفظي بين الآيات القرآنية أو بين أجزائها عن طريق العطف والوصل والفصل وما شابه ذلك، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٢٣١)، ذكر أن الآيات الأولى جاءت منفصلة من غير حرف عطف، ثم جيء بحرف العطف بين الآيتين الخامسة والسادسة، وذلك لأن الآيات الأولى أريد بها تقرير المشركين فجاءت منفصلة لتكون كل جملة مستقلة عن الأخرى زيادة في التقرير. أمّا مجيء حرف العطف بين الآيتين الخامسة والسادسة ووصل الكلام بعضه ببعض فذلك للتقابل بين الآيتين إذ إن الشمس والقمر من الأجرام السماوية، والنجم والشجر من المخلوقات الأرضية، كما أن السماء والأرض لا يذكران إلا مقترنين بعضهما ببعض، وأن حسابان الشمس والقمر الذي هو انقياد لأمر الله عز وجل مناسب لسجود النجم والشجر له سبحانه وتعالى وهو انقياد له تعالى أيضاً (٢٣٢).

وبذا نجد أن الزمخشري يطبق ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في دلائله إلى أهمية الوصل والفصل وعلاقته بالمعنى (٢٣٣)، كذلك أشار الزمخشري إلى العلاقة بين فاتحة السورة وخاتمتها ولكن في موضع واحد فقط، وذلك في سورة المؤمنون، إذ ذكر إن العلاقة بين فاتحة هذه السورة وخاتمتها هي علاقة تضاد، وهي

علاقة معنوية إذ (( جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون ١] وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون ١١٧] فستان ما بين الفاتحة والخاتمة )) (٢٣٤).

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا:

١. ان كلام الزمخشري بشأن سياق الآيات والصور القرآنية كان مقتصرًا على سياق الآيات القرآنية فقط.
٢. اهتم بالربط المعنوي والربط اللفظي بين الآيات القرآنية أو بين أجزائها.
٣. أضاف عدة أغراض معنوية في الربط كالربط الحالي، والاستطراد، والتضاد، وحسن التخلص، وغيرها من الأغراض.
٤. اهتم بالآيات والجمل المعترضة في الكلام وتوجيهها بالشكل الذي يجعل الكلام مرتبطًا ببعضه ببعض.
٥. عني الزمخشري بالآيات التي جاءت متقدمة أو متأخرة في موقعها التي تخالف في الظاهر سياق الحال ووجهها توجيهًا دلاليًا.
٦. ركّز اهتمامه على الآيات التي تبدو بعيدة الاتصال في الظاهر.
٧. أشار إلى مسألة التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، مع أن إشارته كانت في موضع واحد فقط.

### دلالة السياق الصرفي عند الزمخشري

اختلفت دراسة السياق الصرفي عند الزمخشري عن غيره من المفسرين الآخرين إذ ربط السياق الصرفي بالجانب الدلالي لانه يرى

ان لكل صيغة من الصيغ المختلفة للمفردة جانبًا دلاليًا يختلف عن الصيغ الأخرى ثم يربط بعد ذلك مجيء المفردة على صيغة معينة ودلالة هذه الصيغة وربطها بالسياق الذي ترد فيه.

ويذكر في بداية تفسيره عند حديثه عن البسمة إنَّ الزيادة في بناء الصيغة لا بد من ان يتبعها زيادة في المعنى فيقول: ((ويقولون: إنَّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى... ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقذف؟ وهو مركب خفيف ليس في ثقل معامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل، أردت المحمل العراقي، وقال: أليس ذاك اسمه الشقذف؟ قلت: بلى، فقال: هذا اسمه الشقذفاف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى)) (٢٣٥).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢٣٦)، نرى الزمخشري قد ذكر ان المرضعة هي المرأة التي في حال الإرضاع وتباشر عملية الرضاعة، أمّا المرضع فهي المرأة القادرة على الإرضاع ولكنها ليست في حال الإرضاع ولم تباشر الإرضاع وتمارسه في ذلك الوقت، ومن ثم فان مجيء مرضعة من دون مرضع هي للدلالة على هول ذلك اليوم بحيث تذهل المرأة عن ابنها الرضيع وتترعه من ثديها مع إنَّ علاقة الأم بابنها الرضيع وهي تمارس عملية الرضاعة قوية جدا فهما يمثلان وحدة واحدة وهي أقوى من علاقة المرأة بابنها في غير عملية الإرضاع وما يرتبط بذلك من جوانب نفسية، فيقول ((فان قلت: لم قيل: (مرضعة) دون مرضع ؟ قلت: المرضعة



التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. والمرضع: التي من شأنها أن ترضع وان لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة)) (٢٣٧).

ويمكن أن نوجز ما جاء عند الزمخشري فيما يتعلق بهذا الموضوع بما يأتي:

## ١. التفرقة بين دلالة الصيغة الاسمية والفعلية وربطها بالسياق؛

يرى الزمخشري أن الصيغة الاسمية تدل على الثبوت والصيغة الفعلية تدل على التجدد والاستمرار، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ (١٤) ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢٣٨) يتساءل عن سبب مجيء ((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)) على الصيغة الفعلية من دون الاسمية حتى تتطابق مع ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ثم أجاب بعد ذلك عن هذا التساؤل بأن الفعل يدل على التجدد والاستمرار ومن ثم فإن مجيء الصيغة الفعلية بدلا من الصيغة الاسمية للدلالة على استمرار الاستهزاء وتجده حيناً بعد آخر، فيقول ((فإن قلت: فهلا قيل اللَّهُ مستهزئ بهم ليكون طبقاً لقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ قلت: لأنَّ (يستَهْزِئ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة ١٢٦] وما كانوا في أكثر أوقاتهم من تهتك

أستار وتكشف أسرار...)) (٢٣٩).

وقد يبالغ الزمخشري في هذه المسألة فيبالغ في التفسير كقوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٤٠)، إذ ذكر أن الملائكة قد حيت نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بالصيغة الفعلية، أي (نسلم سلاماً)، وأنه (عليه السلام) قد رد عليهم التحية بالصيغة الاسمية، وذلك ((للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به، أخذاً بأدب الله تعالى. وهذا أيضاً من إكرامه لهم)) (٢٤١)، وهذا التعليل فيه مبالغة واضحة، وذلك لأنه لا يوجد في القرآن الكريم أسلوب ابلغ من أسلوب فالقرآن كله على أسلوب واحد، وهو أسلوب بليغ ومعجز لا يتفاضل بعضه على بعض وهو أمر تتفق عليه جميع الاتجاهات والفرق الإسلامية (٢٤٢)، كذلك أنهم لم يحيوه بالصيغة الفعلية، ولم يرد عليهم إبراهيم (عليه السلام) بالصيغة الاسمية فما ورد في الآية هو كناية عن السلام فلم تقل الملائكة نسلم سلاماً، ولم يرد إبراهيم (عليه السلام) ب (عليكم سلام)، بل إنَّ التحية هنا غير معروفة (٢٤٣)، والدليل على ذلك أن الزمخشري نفسه ذكر أن الصيغتين كليهما قد قرئتا بالرفع، كذلك قرئ سلام إبراهيم (عليه السلام) (سلما) (٢٤٤)، ويمكننا أن نعلل سبب مجيء سلام الملائكة ب (سلاما) وسلام إبراهيم (عليه السلام) ب (سلام) على وجهين، الأول: راجع إلى المحاكاة الصوتية إذ لما كان صوت الألف يحاكي المد إلى الأعلى جاء سلام الملائكة بألف للدلالة على أنَّ سلام الملائكة على إبراهيم (عليه السلام) هو سلام من الله سبحانه وتعالى وهذا يتفق مع سياق الحال إذ إنَّ الملائكة هم رسل الله سبحانه وتعالى إلى قوم لوط فدخلوا على

إبراهيم (عليه السلام) فسلموا عليه وابلغوه بأن الله سبحانه وتعالى يسلم عليه واخبروه بما أرسلوا به وما سيفعلونه بقوم لوط، وهو ما يدل عليه سياق الآيات قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَ مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾، أمّا سلام إبراهيم (عليه السلام) فهو سلام منه وحده. والثاني: راجع إلى طريقة أداء السلام فقد كانت الملائكة جماعة وكان إبراهيم (عليه السلام) بمفرده عند رد السلام، لذلك جاءت تحيتهم بالصيغة الفعلية للدلالة على تجدد السلام وتكرره من الأول فالثاني فالثالث، وفي المقابل جاءت تحيته (عليه السلام) بالصيغة الاسمية للدلالة على ثبوت السلام فقد حياهم جملة واحدة، والله اعلم.

## ٢. التفرقة بين دلالة الصيغ المختلفة للمفردة الواحدة وربطها بالسياق؛

فرق الزمخشري تفرقة دقيقة بين دلالة الصيغ المختلفة للمفردة الواحدة وبين سبب ورود صيغة معينة دون أخرى وربط دلالة تلك الصيغة بالسياق، ومن أمثلة ذلك:

أ. تفرقته بين دلالة صيغة الماضي والمضارع، فقد ذهب إلى ان صيغة الماضي تدل على حدوث الشيء وتحققه أمّا صيغة الفعل المضارع فتدل على استمرار حدوث الشيء وتكرره ففي قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وَيُسَّ أَلْوَرْدُ أَلْمُورُودُ ﴿٢٤٦﴾، فقد جاء الفعل (فأوردتهم) على صيغة الماضي، ولم يأت على صيغة المضارع حتى يناسب الفعل (يقدم) للدلالة على تحقق الأمر، أي كان الأمر قد

حدث، فيقول: ((فان قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردتهم؟ ولم جيء بلفظ الماضي؟ قلت: لأن الماضي يدل على امر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردتهم النار لا محالة)) (٢٤٧).

ب. تفرقته بين دلالة صيغة (فعل) و(افعل)، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٤٨)، قد جاء الفعل (نزلنا) على صيغة (فعل) من دون (أنزلنا) على صيغة (افعل)، وذلك لأن القرآن الكريم قد نزل منجما متفرقا فجاءت صيغة (فعل) للدلالة على تدرج نزول القرآن شيئا بعد شيء، فيقول: ((فان قلت: لم قيل: (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتجسيم...)) (٢٤٩).

ج. تفرقته بين دلالة صيغة (فعل) و(افعل)، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (٢٥٠) يتساءل الزمخشري عن سبب مجيء (عوجا) بكسر العين مع إن (عوج) بكسر العين تستعمل في المعاني، و(عوج) بفتح العين تستعمل في الأعيان، ومجيء (عوج) بفتح العين هو المناسب للسياق لأن الكلام في هذه الآية والآيات التي سبقتها تتحدث عن نصف الجبال واستواء الأرض يوم القيامة، وهذه الأمور من الأعيان، فكيف جاءت صيغة (عوج) بكسر العين في هذه الآية؟ ثم يجيب عن هذا التساؤل بان مجيء صيغة (عوج) بكسر العين - هنا - هو للدلالة على دقة استواء الأرض وذلك لأن الاعوجاج والاستواء لا يدركان من خلال حاسة البصر إذ مهما حاول الإنسان ان يسوي قطعة ارض واستعمل بصره في معرفة استوائها فان

ذلك لا يكون دقيقا، إذ سوف يظهر القياس الهندسي ان ثمة اعوجاجا في تلك الارض، فلما كان (( ذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقليل فيه: عوج بالكسر ))<sup>(٢٥١)</sup>. وهو ربط بسياق الحال، أي ان مجيء هذه الصيغة للدلالة على دقة استواء الأرض يوم القيامة وهو وصف للحال التي سوف تكون عليها.

د. تفرقته بين دلالة صيغة (فعل) و(افتعل)، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢٥٢)</sup>، فقد جاء الفعل (كسب) على صيغة (فعل) مع الخير، وجاء الفعل (اكتسب) على صيغة (افتعل) مع الشر، وذكر ان السبب في ذلك مرتبط بكيفية تحصيل الخير والشر، إذ (( لما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وامارة به، كانت في تحصيله اعمل واجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد ))<sup>(٢٥٣)</sup>، وهو ربط بين دلالة الصيغة وسياق الحال، وان كان هذا غير مطرد في القرآن الكريم فقد جاءت صيغة (كسب) مع الشر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٢٥٤)</sup>، فقد جاء - هنا - مع الإثم وهو من الشر<sup>(٢٥٥)</sup>.

هـ. تفرقته بين دلالة صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول، ففي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢٥٦)</sup>، جاءت لفظة (مطهرة) على صيغة اسم المفعول ولم تأت على صيغة اسم الفاعل، وذلك للدلالة على انهن مطهرات من مطهر وهو الله سبحانه وتعالى، ومن ثم فان ذلك هو تضخيم لوصفهن، وهذا الأمر يرتبط ارتباطا كبيرا بسياق الآية التي ذكر فيها تعالى ما أعدّه من النعم للمؤمنين في الجنة، فيقول: (( فان قلت: هلا قيل طاهرة؟ قلت: في (مطهرة) فخامة لصفتهن ليست في طاهرة، وهي الأشعار بان مطهرا طهرهن. وليس ذلك إلا الله عز وجل المرید بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية في ما اعد لهم ))<sup>(٢٥٧)</sup>.

### ٣. التفريق بين دلالة تعريف الصيغة وتنكيرها؛

فرق الزمخشري بين دلالة التعريف والتنكير، وكانت تفرقته على نوعين، الأول: هو المقارنة بين صيغة التعريف والتنكير للصيغة نفسها سواء أوردت الصيغة الأخرى للمفردة في القرآن الكريم ام لم ترد، أو المقارنة بين صيغة المفردة وصيغة مفردة أخرى لها علاقة بالأولى، أمّا الثاني: فهو تعليل ورود المفردة على صيغة التنكير أو التعريف من دون مقارنة.

أمّا النوع الأول فقد ذكرت انه يقارن بين صيغة التعريف والتنكير للصيغة نفسها، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾<sup>(٢٥٨)</sup>، فقد جاءت



لفظة (البلد) في هذه الآية على صيغة (المعرفة)، وجاءت نكرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٥٩) وقد ربط الزمخشري هذا الاختلاف بسياق الحال، ف ((قد سال في الأول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني ان يخرجها من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمنا)) (٢٦٠).

وقد يقارن بين دلالة صيغة التعريف والتكثير مع مفردة أخرى لها علاقة بها، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦١)، فقد قارن بين مجيء لفظة (الحسنة) على صيغة المعرفة، ومجيء لفظة (السيئة) على صيغة النكرة، وذكر ان هذا الأمر مرتبط بالكثرة والقلة، أي لما كان جنس الحسنة - أي كل عمل خير - كثيرا كان وقوعه كالأمر الواجب ولذا جاءت معرفة، ولما كانت السيئة - أي كل عمل شر - نادرة وقليلة الوقوع جاءت نكرة (٢٦٢).

أما النوع الثاني، وهو تعليل المفردة على صيغة التعريف أو التكثير من دون مقارنة، فمثاله ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٢٦٣)، فقد ذكر ان مجيء لفظة (السلام) على صيغة المعرفة للدلالة على التعريض والضدية؛ لأنَّ المقام في هذه الآية مقام مناصرة وعناد، وهو ربط بسياق الحال، فيقول: ((والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللجنة على متهمي مريم (عليها السلام)، واعدائها من اليهود، وتحقيقا ان اللام للجنس، فإذا قال: وجنس

السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ أَهْدَى﴾ [طه ٤٧]، يعني أنَّ العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناصرة وعناد، فهو مثنة لنحو هذا من التعريض)) (٢٦٤) وفي هذا النوع قد يعرض الزمخشري الجانب الدلالي لتعريف صيغة أو تنكيرها من دون ربط هذه الدلالة بالسياق (٢٦٥).

#### ٤. التفريق بين دلالة أفراد الصيغة وجمعها وربطها بالسياق؛

لقد فرق الزمخشري بين دلالة مجيء المفردة على صيغة الأفراد أو الجمع وربط تلك الدلالة بالسياق، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (٢٦٦)، فقد وردت لفظة (الظلمات) على صيغة الجمع ووردت لفظة (النور) على صيغة المفرد وهما في آية واحدة والعلاقة بينهما قوية، فكيف جاء ذلك؟ ويذكر ان سبب مجيء (الظلمات) على صيغة الجمع لكثرة الظلمات إذ لا يوجد جرم من الأجرام إلا وله ظل، أما النور فإنه من النار فقط، والنار جنس واحد، ولهذا أفرد النور (٢٦٧).

وقد يعلل سبب مجيء المفردة على صيغة المفرد أو الجمع من دون أن يقارن أو يشير إلى علاقتها بصيغة مفردة أخرى لها علاقة بها، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٢٦٨)، فقد جاءت لفظة (ضدا) مفردة مع أن الكلام يدور بشأن الجماعة بدليل واو الجماعة في (سيكفرون) و(يكونون)، فكيف جاءت على صيغة المفرد؟ ويعلل الزمخشري ذلك بأنها جاءت على صيغة المفرد للدلالة

على (( اتفاق كلمتهم، وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ))<sup>(٢٦٩)</sup> وهو ربط بسياق الحال. وهناك: أمثلة أخرى قد أوردتها الزمخشري بشأن الأفراد والجمع الا انه لم يربطها بالسياق<sup>(٢٧٠)</sup>.

## ٥. التفريق بين دلالة تذكير الصيغة وتأنيتها وربطها بالسياق:

فرق الزمخشري بين دلالة تذكير الصيغة وتأنيتها وربطها بالسياق، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢٧١)</sup>، فقد جاء الفعل (ليسكن) على صيغة المذكر مع إِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى قال: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بالتأنيث، فكيف جاء السياق بهذا الشكل ؟ وقد ربط الزمخشري هذه المسألة بسياق الحال إذ إِنَّ الآية تتحدث عن آدم وحواء (عليهما السلام) والنفس الواحدة هي آدم (عليه السلام) ولذا فان النفس الواحدة هي مذكر من ناحية المعنى، وكذلك لما كان (( الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى ))<sup>(٢٧٢)</sup>.

ومن هنا نجد أن الزمخشري قد تناول الجانب الدلالي للصيغة وربطها ربطاً قوياً بالسياق، وهو يختلف عن سابقه الذين اهتموا بالسياق الصرفي، أي انهم اهتموا بالسياق ودوره في تفسير الصيغة الصرفية للمفردة، أمّا دلالة الصيغة وربطها بالسياق فقد كانت الإشارات نادرة جداً كما في دلالة صيغة الفعل الماضي والمضارع التي أشرنا إليها.

## أهم النتائج

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها بما يأتي:

١. تعد دراسة المعنى من الدراسات المهمة والمعقدة في الوقت نفسه لارتباطه بعلوم شتى، لأنّ دراسته تعتمد على عناصر غير مادية تتعلق بالمفاهيم والصورة العقلية للأشياء. ونتيجة لأهميته فقد قدمت نظريات عديدة في دراسته منها: نظرية السياق، والنظريتان الإشارية والتصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية، وغيرها.
٢. ان نظرية السياق تعد من افضل المناهج والنظريات في دراسة المعنى لاهتمامها بالعناصر اللغوية والاجتماعية، وابتعادها عن كثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوي. وقد ارتبطت هذه النظرية بالعالم اللغوي الإنجليزي (فيرث) (١٨٤٥م - ١٩١٢م) الذي أكد أهمية سياق الحال في دراسة المعنى، وهو ما يسمى عند اللغويين، والبلاغيين بالحال، والمقام، والنسبة، والجانب الآخر هو السياق اللغوي (الداخلي) أي العلائق بين أجزاء النص وهو يشبه - إلى حد ما - نظرية (النظم) لعبد القاهر الجرجاني.

٣. يعد التفسير والتأويل من الموضوعات المتعلقة بدراسة المعنى، وقد ارتبط في بداية نشأته بالنص الديني، ولما كانت التوراة والإنجيل اسبق من القرآن الكريم في الزمن لذا بدا التفسير والتأويل (الهيرمنيوطيقا) في المجتمعين اليهودي والمسيحي منذ زمن مبكر، وظهرت لديهم ما تسمى بنظرية المعنى ذي

الأبعاد الرباعية: المعنى المعجمي، والمعنى الروحي (الرمزي، والصوفي، والبياني)

٤. لقد سبق المفسرون العرب والمسلمون أصحاب النظرية السياقية الغربية في كثير مما أشاروا إليه إذ كثيراً ما اعتمدوا السياق بشقيه الخارجي والداخلي في عمليتي التفسير والتأويل إلا أنهم لم يكونوا أصحاب نظرية شاملة في السياق، فقد كانوا يعتمدون السياق في عمليتي التفسير والتأويل وفي مواضع معينة ؛ خوفاً من إدخال الأهواء في تفسير النص القرآني وتأويله.

٥. لقد تنبه المفسرون - ومنذ وقت مبكر - إلى التطور الدلالي الذي يصيب اللغة أو ما يسمى بالسياق التاريخي للغة باعتبار الدين الإسلامي حدث مهم في تاريخ اللغة العربية، فدرسوا ألفاظ القرآن الكريم دراسة تاريخية وأشاروا إلى أصولها التي انتقلت منها سواء أكان هذا التطور تخصيصاً أم تعميماً أم انتقالاً في الدلالة رقياً أو انحطاطاً، فقد تطوّرت دلالة بعض الألفاظ فانتقلت من معنى عام إلى معنى خاص كالمصطلحات الشرعية مثل (الإيمان، والإسلام، والكفر، والنفاق، والفسق، والصلاة، والصوم... الخ)، وبعضها انتقلت دلالته من معنى خاص إلى معنى عام مثل لفظة (البأس)، وبعضها انتقلت في دلالتها أمّا رقياً كلفظتي (الرسول، والملائكة)، وأمّا انحطاطاً كالألفاظ المستعملة في الجنس والتبول والتغوط مثل (الإفشاء، والمباشرة، والدخول، والملامسة... الخ)

٦. تنبه المفسرون إلى مسألة تعدد دلالة المفردة باختلاف السياق، وقد ألف مقاتل بن سليمان

(ت ١٥٠ هـ) كتاباً في هذا الموضوع، وقد اشتمل كتابه على (١٨٩) لفظة وتركيباً في (٧٧٦) وجهاً منها ما يقع في وجه واحد ووجهين إلى سبعة عشر وجهاً، وهي غير مرتبة على حسب الوجوه أو الترتيب الهجائي أو الأبجدي. وقد عرض لألفاظ وتراكيب مختلفة منها حروف، وأفعال، وأسماء، وظروف، وقد عالجهام معالجة سياقية وفقاً لما أشارت إليه الدراسات اللغوية الحديثة التي تعنى بالسياق، وكان يشير إلى المعنى المعجمي والمعاني المجازية الأخرى المتنقلة عنه - أحياناً - ويربط بينهما أحياناً أخرى. وقد اهتم المفسرون الآخرون الذين جاؤوا بعده بهذه المسألة إلا أنّ اهتمامهم لم يبلغ إلى ما بلغ عنده.

٧. عني المفسرون بوحدة النص وانسجامه سياقياً سواء أكان ذلك على مستوى المفردة أم التركيب، أمّا على مستوى المفردة فقد اهتم المفسرون بما يسمى بالتوافق السياقي بين الألفاظ المشكلة للنص للقرآني سواء أكان ذلك بين الألفاظ في الآية نفسها أم بين الألفاظ باختلاف آيات القرآن الكريم إذ تبدو بعض الألفاظ القرآنية متناقضة فيما بينها في الظاهر لكنها منسجمة مع سياق حال الآية ومرتبطة بقضايا اجتماعية وجوانب دلالية لا يعرفها إلا المتمرسون باللغة العربية. ويعد الزمخشري من أكثر المفسرين عناية بهذا الجانب لانهما كانا من المتكلمين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن القرآن الكريم ضد الشبهات التي أثّرت حوله من الحركات الفكرية المناوئة للإسلام.

٨. أمّا التوافق السياقي على مستوى التركيب



(الآيات والسور القرآنية)، الذي يقصد به موقع الآيات والسور القرآنية والعلاقات فيما بينها (علم المناسبة) فيعد من الموضوعات المهمة والصعبة في الوقت نفسه، ونتيجة لهذا الأمر لم يبحث المفسرون هذه المسألة جميعهم بل اقتصر على الزمخشري واختلفت دراسته لهذه المسألة لاختلاف ثقافته، ومزاجه، ومن ثم اختلاف وجهه النظر إليه.

٩. لم يختلف الزمخشري عن سابقه في اقتصاره على سياق الآيات من دون السور القرآنية، واهتمامه بالآيات التي تبدو بعيدة الاتصال في الظاهر، وعنايته بالربط اللفظي والمعنوي، ولعل من إضافاته في هذا الموضوع:

أ. أضاف عدة أغراض في المناسبة والربط، كالربط الحالي، والاستطراد، والتضاد، وحسن التخلص، وغيرها من الأغراض.

ب. اهتمامه بالآيات التي جاءت متقدمة أو متأخرة في موقعها التي تخالف سياق الحال ووجهها توجيهاً دلاليًا.

ج. أشار إلى مسألة التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها مع أن إشاراته كانت في موضع واحد فقط.

١٠. تناول المفسرون دراسة السياق وعلاقته بالمستويات اللغوية جميعها الصوتية والصرفية، والنحوية، والدلالية على نحو ما أشار إليه (فيرث) في نظريته.

١٢. إن دراسة المفسرين للسياق الصوتي ودلالته كانت قليلة قياساً إلى المستويين الصرفي والنحوي، وقد اقتصر دراسته الزمخشري، وذلك وفقاً لما يأتي:

أ. اعتمدا السياق الداخلي في تفسير بعض القضايا الصوتية.

ب. الربط بين الصوت ودلالته (المحاكاة الصوتية) وربطه بالسياق، وقد اقتصر على هذه المسألة على الزمخشري وأن لم تكن مسألة مطردة عنده.

ج. اختلاط السياق الصوتي بالسياق الصرفي عند الزمخشري.

ولعل إشارته إلى التلاؤم الموسيقي للمفردة مع الموضع الذي تقع فيه هي إشارة إلى دور المفردة في الانسجام الموسيقي بين أجزاء النص القرآني، ومن ثم وحدة النص وانسجامه موسيقياً، وهو جانب إعجازي من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم يرتبط مع السياق الخارجي (الحال أو المقام) للقرآن الكريم باعتباره معجزة لغوية ويمثل الجانب الموسيقي جانباً من جوانب الإعجاز اللغوي.

١٤. إن دراسة دلالة السياق الصرفي قد اقتصر على الزمخشري ليس غير، أما المفسرون الآخرون فقد اقتصر تناولهم هذه المسألة على السياق الصرفي، وهو اعتماد السياق بنوعيه الداخلي والخارجي في تفسير مجيء المفردة على صيغة معينة من خلال علاقتها بما قبلها أو بعدها أو من خلال الاعتماد على آيات أخرى لها علاقة بالآية التي تقع فيها الصيغة، أو من خلال السياق العام، فضلاً عن ورود بعض الإشارات وهي نادرة بشأن دلالة بعض الصيغ وربطها بالسياق، وقد اختلفت المسألة عند الزمخشري فقد فرق تفريقاً دقيقاً بين دلالة الصيغ المختلفة وربطها بالسياق، كتفرقه

بين دلالة الصيغة الاسمية والفعلية، والتعريف والتكثير، والأفراد والجمع... الخ.

١٥. لم تختلف دراسة السياق النحوي ودلالته عن دراسة السياق الصرفي ودلالته، فقد اقتصرت دراسته على الزمخشري الذي طبق ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في نظرية (النظم) المتمثلة بدراسة النحو وعلاقته بالبلاغة، والربط بين نظم الكلام والمعنى، أما المفسرون الآخرون فقد اقتصر دراستهم على السياق النحوي، ومعالجة المسائل النحوية المخالفة للسياق العام، والتوافق السياقي بين التراكيب النحوية.

١٦. اهتم المفسرون بالسياق بنوعيه الخارجي والداخلي في عمليتي التفسير والتأويل وذلك من خلال:

أ. الاهتمام بأسباب النزول، وهي الأحداث والوقائع الملازمة للنص القرآني، والتي تمثل سياق الحال أو الموقف في الدراسات اللغوية الحديثة، فقد اعتمد عليه المفسرون في بيان المعنى، ورفع الأشكال، ودفع التناقضات، وبين بعض القضايا الأسلوبية، وتوضيح ما أوجزه السياق القرآني.

ب. الاهتمام بالنظم الاجتماعية من عادات وتقاليد وأساليب في الكلام، وعلاقة النص ببيئة المجتمع العربي من مناخ وتضاريس، وهو ما يسمى بالسياق الاجتماعي.

ج. الاعتماد على السياق الداخلي في عمليتي التفسير والتأويل من خلال العلائق بين أجزاء النص، وتحديد السياق الخارجي، وترجيح الأقوال المختلفة في التفسير والتأويل من خلاله.

١. الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٢٨٢ هـ - ٣٧٠ هـ): تهذيب اللغة، تحقيق د. عبد الحليم النجار، مراجعة الاستاذ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب ١٩٦٦م، ص ٢٣١-٢٣٢. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ): لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت (د.ت)، ص ٢٤٢، الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ): القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د.ت). ص ٢٥٥. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، اشرف على طبعه عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية، طهران، (د.ت)، ص ٤٦٧.
٢. لأزهرى: المصدر السابق، ٩/، ص ٢٣٤، ابن منظور: المصدر السابق، ٢/ ص ٢٤٢.
٣. ابن فارس (ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة وطباعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، ٣/ ص ١٧، ابن منظور: لسان العرب، ٢/ ٢٤٢.
٤. ابن منظور: المصدر نفسه. الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٤٦، ابن منظور: المصدر السابق، ٢/ ص ٢٤٢، الفيروز ابادي: المصدر السابق، ٢/ ص ٢٥٥-٢٥٦، إبراهيم مصطفى وآخرون: المرجع السابق، ١/ ص ٤٦٧.
٥. إبراهيم مصطفى وآخرون: المرجع السابق ١/ ٤٦٧.
٦. د. محمد علي الخولي: احتمالات المعاني في بعض التراكيب العربية، مجلة لسان العربي، مج ١٩، الجزء الأول، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ص ٨٠.
٧. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحددين، طبع بالتعاضدية العمالية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، تونس ١٩٨٦م، ص ٢٠١ (إن التعريف الاصطلاحي للسياق غير شامل فهو ينطبق على السياق الداخلي فقط).

٨. المعنى النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، ضمن كتاب قضايا الأدب واللغة، تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية في جامعة الكويت، إعداد وتقديم د. عبده بدوي، مؤسسة الصباح، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ١٦٧.
٩. د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة كتب عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مطابع اليقظة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ١٢٢. د. تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ملترزم الطبع والنشر مكتبة انجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص ١٢٢، د. حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع دار النشر الجامعي، ١٩٨٠م، ص ٢١٨.
١٠. د. حلمي خليل: المرجع السابق، ص ٢٠٩.
١١. د. الجيلالي حلام: في طبيعة المعنى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م - ٢٠٠٢م، ص ١٧٧.
١٢. د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٥٨.
١٣. د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣، ص ٣٠٨. د. علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٦م، ص ١٨٥.
١٤. د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة العربية، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م، ص ٢٤٧.
١٥. يحيى احمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مج ٢٠، ٢٤، ١٩٨٩م، ص ٨٤. د. رحمن غركان عبادي، ود. ناهضة ستار عبيد: اثر الانعكاسات الأسلوبية للسياق في توجيه المعنى الشعري، مجلة القادسية، مج ١، ٤٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، ص ١٦٥.
١٦. اف. ار. بالمر: علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٨٥م، ص ٥٧.
١٧. بالمر: المصدر السابق، ص ٥٧.
١٨. بالمر: المرجع نفسه، ص ٥٧ - ٥٨.
١٩. بالمر: المرجع نفسه، ٥٨.
٢٠. د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٣١٤. (هناك العديد من المصطلحات التي تتعلق بدراسة المعنى فهناك (( المعنى المعجمي، والمعنى القصدي، والخارجي، والتعيني، والنويات الذرية للمعنى، والدلالة المركزية، والمعنى السكوني، وكلها يدل على معنى الكلمة المعجمي. وهناك المعنى السياقي، والإيحائي، والداخلي والتضميني، والنويات النصية للمعنى، والدلالة الهامشية أو خارج المركز، وكلها يدل على معنى الكلمة في السياق الكلامي)).
- احمد محمد قدور: مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث، مجلة عالم الفكر، مج ١٦، ٤٤، ١٩٨٦م، ص ٣١. وهناك ما يسمى بالمعنى الوجداني أو الانفعالي، ويقصد به ((الهالة الانفعالية المحيطة بالدلالة من ناحية الموافقة والمخالفة)) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع بالتعااضدية العمالية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، تونس ١٩٨٦م، ص ٣٣٧.
٢١. د. نايف خرما: المرجع السابق، ص ٣١٥. عبد الكريم مجاهد: علم الدلالة بين العرب والغرب، مجلة الأقلام، س ١٦، ٥٤، ١٩٨١م، ص ٥٩. د. كريم زكي حسام الدين: اصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الرشد للطباعة والتغليف، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٤٢. د. طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ١. د. الجيلالي حلام: في طبيعة المعنى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م - ٢٠٠٢م، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ١٧٧. احمد جواد: الحقول الدلالية وإشكالية المعنى، مجلة المورد، مج ٣٠، العدد ١٤٢٣، ٢٠٠٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٣.
٢٢. د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٣١٧. د. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص ٢٤٣، احمد جواد: الحقول الدلالية وإشكالية المعنى، ص ٤٤.
٢٣. يحيى احمد: معنى الكلمة بين الاتجاه التجريدي والاتجاه الوظيفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع ١١، مج ٤، ١٩٨٤م، ص ٥٢.



٢٤. محمد سامي أنور: اتجاهات جديدة في دراسة المعنى اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٢٢، مج ٦، ١٩٨٦م، ص ٢٢٢.
٢٥. د. احمد مختار عمر: علم الدلالة، الناشر مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥١-١٤١، د. كريم زكي حسام الدين: المرجع السابق، ص ٢٤٩.
٢٦. أبو أوس إبراهيم الشمسان: جوانب من الاستخدام الوظيفي للغة أبو أوس إبراهيم الشمسان، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع ٣٧، مج ١٠، ١٩٩٠م، ص ٣٧.
٢٧. أبو أوس إبراهيم الشمسان: المرجع نفسه.
٢٨. أبو أوس إبراهيم الشمسان: المرجع نفسه.
٢٩. د. طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، ص ٢١٣.
- (\*) استاذ علم اللغة (فرع الدراسات الرومانية) بجامعة ليدز بإنجلترا له مجموعة من المؤلفات منها أسس علم المعنى، وعلم المعنى، والكلمات والاستعمال الذي ترجمه كمال محمد بشر إلى العربية بعنوان دور الكلمة في اللغة. ستيفن اولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشر، الناشر مكتبة الشباب، المطبعة العثمانية، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م، ص ٦.
٣٠. ستيفن اولمان: المرجع السابق، ص ٥٩.
٣١. د. تمام حسان: منهج البحث في اللغة، ص ٢٩٥.
٣٢. د. تمام حسان: المصدر السابق، ص ٣٠٢.
٣٣. لمصدر نفسه.
٣٤. احمد مختار عمر: علم الدلالة، ص ٧٣-٧٤.
٣٥. د. صاحب أبو جناح: السياق في الفكر اللغوي عند العرب، مجلة الأقاليم، العدد ٣-٤، ١٩٩٢م، ص ١١٨.
٣٦. فوزي إبراهيم عبد الرزاق: السياق ودلالته في توجيه المعنى، رسالة دكتوراه جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٨.
٣٧. الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، حققه وشرحه حسن السندوي، الجزء الاول، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ص ٩٩.

٣٨. د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ٣٢٧.
٣٩. د. أحمد قاسم الزمر: معالم أسلوبية عند ابن الأثير من كتاب المثل السائر، مجلة المورد، مج ٣٠، ع ٢٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٤.
٤٠. عبد الكريم مجاهد: علم الدلالة بين العرب والغرب، مجلة الأقاليم، س ١٦، ع ٥٤، ١٩٨١م، ص ٦٠. د. السيد احمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٧٣.
٤١. عبد الكريم مجاهد: المرجع السابق، ص ٦٠.
٤٢. عبد الكريم مجاهد: المرجع نفسه. تأصيل فكرة البحث الدلالي عند العرب من كتاب: د. محمد حسين علي الصغير تطوّر البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي، منشورات دار الكتب العلمية، مطبعة العاني، الطبعة الأولى، بغداد ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٣-٥٥.
٤٣. صناعة المعنى وتأويل النص، أعمال الندوة التي نظمها قسم العربية ١٩٩١، المجلد الثمن، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس ١٩٩٢م، ص ١٤٥. عبد الامير كاظم زاهد: التأويل وتفسير النص مقارنة في الإشكالية، مجلة دراسات فلسفية، عدد ١، س ٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٠٧.
٤٤. صناعة المعنى وتأويل النص، م ٨، ص ١٤٥.
٤٥. المرجع نفسه.
٤٦. المرجع نفسه.
٤٧. المرجع نفسه.
٤٨. د. نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة واليات التأويل، الناشر المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م، ص ١٣.
٤٩. د. حامد ناصر الظالم: اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين، مجلة أبحاث البصرة، عدد ٢٨، الجزء الأول، ٢٠٠١م، ص ١-١٠.
٥٠. اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٢٩م، ص ٢٤٤.
٥١. اسبينوزا: المصدر نفسه.

٥٢. اسبينوزا: المصدر السابق، ص ٢١٨.
٥٣. اسبينوزا: المصدر السابق، ص ٢٤٤.
٥٤. اسبينوزا: المصدر نفسه.
٥٥. اسبينوزا: المصدر نفسه. (ونود أن نشير إلى أن هذه القواعد التي وضعها (اسبينوزا) هي في الحقيقة مبنية على تفسير التوراة فالتوراة - كما هو معروف - كتاب ألفه مجموعة من رجال الدين).
٥٦. د. نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل ١٣
٥٧. د. نصر حامد أبو زيد: المرجع نفسه.
٥٨. د. نصر حامد أبو زيد: المرجع نفسه.
٥٩. د. نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص ٢١.
٦٠. د. نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص ٢٣.
٦١. دائرة المعارف والأخلاق مادة (Sntepre Lation) نقلًا عن: د. السيد احمد خليل: دراسات في القرآن، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م، ص ١٣٥-١٤١.
٦٢. د. محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، ص. د. إبراهيم أنيس: طرق تنمية الألفاظ في اللغة، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة ١٩٦٦م-١٩٦٧م، ص ٥-٨. د. حسن ظاظا: كلام العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٦م، ص ١٤٤-١٥٥. د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ص ٥.
٦٣. د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٧١م، ص ٢٣١. د. إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، دار الرائد للطباعة، ١٩٦٦م، ص ٢١. احمد رضا العاملي: مولد اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة سميا، بيروت ١٩٥٦م، ص ٢٨.
٦٤. د. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة ١٩٧١م، ص ٩١. عودة خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر
- الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، الأردن ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٤٥.
٦٥. د. عبد الله علي مصطفى، ود. عبد الله عبد الحميد سويد: علم اللغة، مراجعة سعدون السويح، الناشر دار المدينة القديمة للكتاب، الطبعة الأولى، طرابلس - ليبيا ١٩٩٣م، ص ٨٦.
٦٦. احمد محمد قدور: في الدلالة والتطور الدلالي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٦، ص ١٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٢٤.
٦٧. الكهف: ١٩.
٦٨. محمود مصطفى احمد القويدر: البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٣٦.
٦٩. محمود مصطفى احمد القويدر: المرجع نفسه.
٧٠. د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ملتزم الطبع والنشر دار نهضة مصر، الطبعة السابعة ١٩٨٧م، ص ٣١٩-٣٢٥. د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٣م، ص ١٣٤-١٥١. د. محمد المبارك: المرجع السابق، ص ٢١٢-٢١٦. د. حلمي خليل: المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص ٢٠-٧٩.
٧١. د. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، ص ٨.
٧٢. د. علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه.
٧٣. د. علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه.
٧٤. د. علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه.
٧٥. د. علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه.
٧٦. د. علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه.
٧٧. د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ١٥٢-١٦٧، د. محمد المبارك: المرجع السابق، ص ٢١٨-٢٢٢. د. مازن المبارك: نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١١٠-١١١. د. عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٢٣-٢٢٨، د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي

٩٥. الزمخشري: المصدر نفسه.
٩٦. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٣.
٩٧. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٣٤.
٩٨. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٥١٦.
٩٩. الزمخشري: المصدر نفسه.
١٠٠. الزمخشري: المصدر نفسه.
- × ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنقيحه مكارنتي، مطبعة كمبريج، ١٩١٩م، ص ٤٣.
١٠١. الزمخشري (جار الله ابو القاسم محمود بن عمر) (ت ٥٣٨هـ): أساس البلاغة، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٩٤.
١٠٢. د. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي، الطبعة السادسة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص ٢٨٢، احمد محمد قدور: في الدلالة والتطور الدلالي، ص ١٣٤ - ١٣٥.
١٠٣. احمد محمد قدور: المرجع السابق، ص ١٣٥.
١٠٤. أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ): التصور اللغوي عند الإسماعيلية دراسة في كتاب (الزينة)، تحقيق د. محمد رياض العشيري، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ١٣١.
١٠٥. د. فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، ص ٢١٧.
١٠٦. د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص ٢٦٣. د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٤٤ - ٢٤٩.
١٠٧. البقرة ١٨٧.
١٠٨. البقرة ٢٢٢.
١٠٩. البقرة ٢٣٧.
١١٠. النساء ٢١.
١١١. النساء ٢٣.
١١٢. النساء ٤٣.
١١٣. المائدة ٦.
١١٤. الأعراف ١٨٩.
١١٥. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ٥٢٨، ج ٢،
- مظاهره وعلمه وقوانينه، ص ١١٤ - ١١٩. د. عبد القادر ابو شريفة، وحسين لافي، ود. داود ابو غطاشه: علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان - الأردن ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٧١ - ٦٥.
٧٨. د. محمد المبارك: المرجع السابق، ص ٢١٨.
٧٩. د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ٢١٨.
٨٠. د. محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص ٢١٩.
٨١. د. مازن المبارك: نحو وعي لغوي ١١٠، د. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص ٢٩٩.
٨٢. د. محمد المبارك: المرجع السابق، ص ٢٢٠.
٨٣. د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ١٥٨.
٨٤. د. إبراهيم أنيس: المرجع السابق ١٥٦ - ١٥٧.
٨٥. د. كريم زكي حسام الدين: المرجع السابق، ص ٣٠٠.
٨٦. د. إبراهيم السامرائي: الدلالة الجديدة والتطور، مجلة اللسان العربي، مج ١٠، ج ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م، ص ٨.
٨٧. فاروق الرمالي: اللغة العربية واثار القرآن في تطورها، مجلة اللسان العربي، مج ٧، ج ١، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، ص ١٢١ - ١٢٥.
٨٨. د. إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، ص ٤٣ - ٤٤، د. عبد الامير كاظم زاهد: المصطلح القرآني مقارنة في المضمون وأدوات التعبير، مجلة القادسية، مج ١، ٤٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م - ٢٠٠٢م، ص ١٤٩ - ١٦٤.
٨٩. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) (ت ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٨٠.
٩٠. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٠.
٩١. الزمخشري: المصدر نفسه.
٩٢. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٨١.
٩٣. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٤.
٩٤. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢.



- ص ١١، ص ٥٥٧.
١١٦. يوجين ا. نيدا: نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٦م، ص ٩٠. محمد حسين ال ياسين: الأضداد في اللغة، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ٥٧. د. علي زوين: المرجع السابق، ص ١٦٨.
١١٧. جورج مونان: مفاتيح الألسنية، عربيه وذيله بمعجم عربي فرنسي الطيب البكوش، تقديم صالح القرماضي، منشورات الجديد، طبع بالمطابع الموحدة، تونس ١٩٨١م، ص ١٢٤-١٢٥.
١١٨. د. السيد احمد عبد الغفار: المرجع السابق، ص ١١٢.
١١٩. ج. قندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م، ص ٢٥٣-٢٥٤.
١٢٠. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وعنونه موضوعاته وعلق حواشيه محمد احمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الجزء الاول، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٦٩.
١٢١. د. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ٢٩٨.
- (\*) مفكر عراقي معاصر (١٩٥٦م - ٢٠٠٠م) له مؤلفات عديدة منها: اللغة الموحدة، والنظام القرآني، ونظام المجموعات، والحل القصدي للغة، والحل الفلسفي، وغيرها.
١٢٢. عالم سبيط النيلي: رحلة الكشف، (مخطوط) مطبوع بالليزر، منتدى الأدباء / بابل، مراجعة فرقان محمد تقي مهدي الوائلي، بغداد ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٣.
- عالم سبيط النيلي: النظام القرآني (مقدمة في المنهج اللفظي)، دار أسامة، مطابع الأرز، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٢٧، ٣٨، ٦٢-٦٦.
١٢٣. مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٢هـ): تفسير مجاهد، قدم له وحققه وعلق حواشيه عبد الرحمن الطاهر ابن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد باكستان، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ١٠٤، ٢٩٢.
١٢٤. البقرة ٢١٣.
١٢٥. يونس ١٩.
١٢٦. الزخرف ٢٣.
١٢٧. المخزومي: المصدر السابق، ص ٥٨١.
١٢٨. البلخي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٨-٢٢٨.
١٢٩. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٨.
١٣٠. البلخي: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠.
١٣١. البلخي: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨١.
١٣٢. ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ٩٧-٩٩ (لقد سبق مقال (ت ١٥٠ هـ) ابا عبيدة (ت ٢٠٧ هـ)، والفراء (ت ٢٠٩ هـ) في الإشارة إلى فكرة المجاز، كما أنه سبق غيره من أصحاب كتب الوجوه والنظائر في الإشارة = إلى فكرة تعدد الدلالة باختلاف السياق، فممن ألف في الوجوه والنظائر ووصلت كتبهم إلينا: هارون بن موسى القارئ المتوفى في أواخر القرن الثاني الهجري وكتابه (الوجوه والنظائر)، ويحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ) وكتابه (التصارييف)، والحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) وكتابه (تحصيل نظائر القرآن)، والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وكتابه (الأشباه والنظائر) وهو منسوب إليه، والحسين بن محمد الدامغاني وكتابه (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وهو منسوب إليه والصواب انه لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني (ت ٤٨٧ هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وكتابه (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر للقران الكريم) وهو الكتاب المنسوب للثعالبي نفسه، وابن العماد المصري (ت ٨٨٧ هـ) وكتابه (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر) ينظر: الوجوه والنظائر (هارون بن موسى) ٩.
١٣٣. البقرة ٢١٣.
١٣٤. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٨٣، ج ٣، ص ١٣٤، ج ٤، ص ٢٤٩.
١٣٥. هود ٨.
١٣٦. يوسف ٤٥.
١٣٧. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٢، ج ٢، ص ٤٤٨.

١٣٨. النحل ١٢٠.
١٣٩. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٩٩.
١٤٠. الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٩.
١٤١. البقرة ٤٩.
١٤٢. الأنفال ١٧.
١٤٣. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ١٦٦-١٣٥.
١٤٤. ينظر: المصادر نفسها.
١٤٥. الأنبياء ٣٥.
١٤٦. الزمخشري: المصدر السابق ١/١٦٦.
١٤٧. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٧.
١٤٨. المصدر نفسه.
١٤٩. الزمخشري: الكشاف ١/٩٧.
١٥٠. المصدر نفسه.
١٥١. المصدر نفسه.
١٥٢. المصدر نفسه.
١٥٣. البقرة ١٩٣.
١٥٤. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٦٣.
١٥٥. العنكبوت ١٠.
١٥٦. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٢-٢٦٣.
١٥٧. المائدة ٤٩.
١٥٨. المصدر نفسه.
١٥٩. د. فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، بيت الحكمة، طبع بمطابع دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٦م-١٩٨٧م، ص ١٥٦.
١٦٠. عالم سببيل النيلي: النظام القرآني، ص ٢٣٤.
١٦١. البقرة ٦٠.
١٦٢. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ١٧٣.
- (\*) كذا، والصحيح: الخضر (عليه السلام).
١٦٣. الشعراء ١٦.
١٦٤. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٠-٣١١.
١٦٥. الرحمن ٥-٦.
١٦٦. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٣.
١٦٧. البقرة ١١٦.
١٦٨. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٠٧.
١٦٩. الشعراء ١٣٣.
١٧٠. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣١.
١٧١. المؤمن ٧٦.
١٧٢. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤.
١٧٣. البلخي: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص ٦٢-٦٣.
١٧٤. طه ٢٠.
١٧٥. الشعراء ٣٢.
١٧٦. النمل ١٠.
١٧٧. الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٦٠.
١٧٨. البقرة ١٣٦.
١٧٩. آل عمران ٨٤.
١٨٠. النساء ١٠٥.
١٨١. المائدة ٦٨.
١٨٢. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٤٠٨.
١٨٣. الأنبياء ٨١.
١٨٤. ص ٣٦.
١٨٥. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٠.
١٨٦. الدخان ٤٨.
١٨٧. الحج ١٩.
١٨٨. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٤-٢٨٥.
١٨٩. التوبة ٦٠.
١٩٠. الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٢٧٠-٢٧١.
١٩١. فاطر ١٨.
١٩٢. فاطر ١٦.
١٩٣. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦١٧.
١٩٤. الضحى ٤.
١٩٥. الضحى ١-٣.
١٩٦. الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٧٧١.
١٩٧. إبراهيم ٢.
١٩٨. الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٥٠٥.
١٩٩. الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ١٨٢.

٢٠٠. البقرة ٧٣.
٢٠١. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٢.
٢٠٢. ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرف عليه وراجعته د. أميل بديع يعقوب، الجزء الثاني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان ١٤١٨هـ- ١٩٨٨م، ص ٢٠١.
٢٠٢. الأعراف ٢٦.
٢٠٤. الأعراف ٢٠-٢٢.
٢٠٥. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٣.
٢٠٦. السيوطي: الإقتان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٠٩.
٢٠٧. السيوطي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٠.
٢٠٨. القيامة ١٦.
٢٠٩. القيامة ١-١٥.
٢١٠. الزمخشري: الكشف، ج ٤، ص ٦٦٣.
٢١١. الزمر ٦٣.
٢١٢. الزمر ٦١.
٢١٣. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٣.
٢١٤. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١.
٢١٥. العنكبوت ٢٠.
٢١٦. العنكبوت ١٦-١٧.
٢١٧. العنكبوت ١٨.
٢١٨. العنكبوت ٢٣.
٢١٩. العنكبوت ٢٤.
٢٢٠. الزمخشري: الكشف، ج ٢، ص ٤٥٢.
٢٢١. الرحمن ٦-٥.
٢٢٢. الرحمن ١.
٢٢٣. الزمخشري: الكشف، ج ٤، ص ٤٤٣.
٢٢٤. غافر ١٩.
٢٢٥. غافر ١٣.
٢٢٦. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٧، ١٦٣، ٢٠٨.
- ٦١١.
٢٢٧. يونس ٣٧.
٢٢٨. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٠.
٢٢٩. المصدر نفسه.
٢٣٠. المصدر نفسه.
٢٣١. الرحمن ١-٦.
٢٣٢. الزمخشري: الكشف، ج ٤، ص ٤٤٣.
٢٣٣. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، صحح اصله الشيخ محمد عبده والأستاذ محمد محمود التركي الشنقيطي، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ص ١٧٠-١٩٢.
٢٣٤. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٩.
٢٣٥. الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ٥٠.
٢٣٦. الحج ٢.
٢٣٧. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٣.
٢٣٨. البقرة ١٤-١٥.
٢٣٩. الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ١٠٥.
٢٤٠. الذاريات ٢٥.
٢٤١. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٤.
٢٤٢. د. نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٨٧.
٢٤٣. الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) (ت ٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الجزء الخامس، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٢٢٦.
٢٤٤. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٤.
٢٤٥. الذاريات ٣١-٢٤.
٢٤٦. هود ٩٨.
٢٤٧. الزمخشري: الكشف، ج ٢، ص ٤٠٢.
٢٤٨. البقرة ٢٣.
٢٤٩. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.
٢٥٠. طه ١٠٧.
٢٥١. الزمخشري: الكشف، ج ٣، ص ٨٨-٨٩.



- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د.ت).
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون: اشرف على طبعه عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية، طهران، (د.ت).
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تح. عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة وطباعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٢٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ط ٣
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تح. صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- احتمالات المعاني في بعض التراكيب العربية، للدكتور محمد علي الخولي، مجلة اللسان العربي، مج ١٩، الجزء الأول، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢.
- معجم المصطلحات الأدبية، لإبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع بالتعاضدية العمالية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، تونس ١٩٨٦ م.
- المعنى النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، ضمن كتاب قضايا الأدب واللغة، تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية في جامعة الكويت، إعداد وتقديم د. عبده بدوي، مؤسسة الصباح، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، سلسلة كتب عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مطابع البقطة ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، ملتزم الطبع والنشر مكتبة انجلو المصرية، ١٩٥٨ م.
- الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، للدكتور حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع دار النشر الجامعي، ١٩٨٠ م.
- في طبيعة المعنى، للدكتور الجيلالي حلام، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - ٢٠٠٢ م.
- مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م.

- ٢٥٢. البقرة ٢٨٦.
- ٢٥٣. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٩.
- ٢٥٤. النساء ١١١.
- ٢٥٥. احمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سوريا - دمشق ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٢٤٦-٢٤٧.
- ٢٥٦. البقرة ٢٥.
- ٢٥٧. الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ١٣٩.
- ٢٥٨. إبراهيم ٣٥.
- ٢٥٩. البقرة ١٢٦.
- ٢٦٠. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٣.
- ٢٦١. الأعراف ١٣١.
- ٢٦٢. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٦.
- ٢٦٣. مريم ٣٣.
- ٢٦٤. الزمخشري: الكشف، ج ٢، ص ١٨.
- ٢٦٥. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٨، ٣٥١، ٤١٤، ٦٠٨، ج ٤، ص ٥٠٨، ٦٨٠-٦٨١، ٧٦٣، ٧٧٧.
- ٢٦٦. الأنعام ١.
- ٢٦٧. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥-٦.
- ٢٦٨. مريم ٨٢.
- ٢٦٩. الزمخشري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣.
- ٢٧٠. الزمخشري: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٠، ٣٣٨، ٥٠٥، ٥٠٨.
- ٢٧١. الأعراف ١٨٩.
- ٢٧٢. الكشف ١٧٥/٢.

### المصادر والمراجع

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق د. عبد الحليم النجار، مراجعة الاستاذ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب ١٩٦٦ م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت (د.ت).

- دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، الطبعة ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، للدكتور علي زوين: طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٦م.
- من أسرار اللغة العربية للدكتور إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.
- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، مج ٢٠، ع ٢، ١٩٨٩م.
- أثار الانعكاسات الأسلوبية للسياق في توجيه المعنى الشعري، للدكتور رحمن غركان عبادي، ود. ناهضة ستار عبيد، مجلة القادسية، مج ١، ع ٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١-٢٠٠٢م.
- علم الدلالة، اف. ار. بالمر: ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٨٥م.
- علم الدلالة بين العرب والغرب عبد الكريم مجاهد:، مجلة الأقلام، س ١٦، ع ٥، ١٩٨١م.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، للدكتور كريم زكي حسام الدين: الرشاد للطباعة والتغليف، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين، للدكتور طاهر سليمان حمودة:، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٨٣م.
- جوانب من الاستخدام الوظيفي للغة أبو أوس إبراهيم الشمسان، لأبي أوس إبراهيم الشمسان: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع ٣٧، مج ١٠، ١٩٩٠م.
- السياق في الفكر اللغوي عند العرب، للدكتور صاحب أبو جناح،، مجلة الأقلام، العدد ٣-٤، ١٩٩٢م
- السياق ودلالته في توجيه المعنى، للدكتور فوزي إبراهيم عبد الرزاق، رسالة دكتوراه جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، حققه وشرحه حسن السندوبي، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت (د.ت).
- معالم أسلوبية عند ابن الأثير من كتاب المثل السائر،، للدكتور أحمد قاسم الزمر: مجلة المورد، مج ٣٠، ع ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م.
- صناعة المعنى وتأويل النص، أعمال الندوة التي نظمها
- قسم العربية ١٩٩١، المجلد الثمن، منشورات كلية الآداب بمنية تونس ١٩٩٢م.
- التأويل وتفسير النص مقاربة في الإشكالية، لعبد الامير كاظم زاهد: مجلة دراسات فلسفية، عدد ١، س ٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- إشكاليات القراءة واليات التأويل، للدكتور نصر حامد أبو زيد: الناشر المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.
- اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين،، للدكتور حامد ناصر الظالمي: مجلة أبحاث البصرة، عدد ٢٨، الجزء الأول، ٢٠٠١م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، للدكتور محمد المبارك، دراسة تحليلية مقارنة لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة، للدكتور إبراهيم أنيس: مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة ١٩٦٦م - ١٩٦٧م.
- كلام العرب، لحسن ظاظا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٦م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، رمضان عبد التواب: الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- التطور اللغوي التاريخي،، للدكتور إبراهيم السامرائي: دار الرائد للطباعة، ١٩٦٦م.
- مولد اللغة، أحمد رضا العاملي: منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة سميا، بيروت ١٩٥٦م.
- لغة والمجتمع، للدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة ١٩٧١م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، للدكتور عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، الأردن ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- علم اللغة، لعبد الله علي مصطفى، و، للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد، مراجعة سعدون السويح، الناشر دار المدينة القديمة للكتاب، الطبعة الأولى، طرابلس - ليبيا ١٩٩٣م.
- في الدلالة والتطور الدلالي، لأحمد محمد قدور: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٦، س ١٣،

١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١٢٤.

- التصور اللغوي عند الإسماعيلية دراسة في كتاب (الزينة)،  
لأبي حاتم الرازي، تح. د. محمد رياض العشيري، الناشر  
منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٥م.

- الكشف، للزمخشري ج ١،، ج ٢.

- نحو علم للترجمة، ليوجين أ. نيدا: ترجمة ماجد النجار،  
مطبوعات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد  
١٩٧٦م. محمد

- الأضداد في اللغة، لحسين ال ياسين: مطبعة المعارف،  
الطبعة الأولى، بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- مفاتيح الألسنية، لجورج مونان: عربيه وذيله بمعجم عربي  
فرنسي الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، منشورات

الجديد، طبع بالمطابع الموحدة، تونس ١٩٨١م.

- اللغة، لفندريس: تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد  
القصاص، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة  
البيان العربي ١٩٥٠م.

- رحلة الكشف، لعالم سبيط النيلي، (مخطوط) مطبوع  
بالليزر، منتدى الأدباء / بابل، مراجعة فرقان محمد تقي  
مهدي الوائلي، بغداد ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي، قدم له  
وحققه وعلق حواشيه عبد الرحمن الطاهر ابن محمد  
السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد باكستان،  
الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م

السِّبَاقُ

القرآني

في تفسير

الزمخشري

(الكشاف)



# جمالية التصوير في المثل النبوي

الدكتورة ليلى زيان  
جامعة بشار - الجزائر

## مفهوم التصوير:

جاء في لسان العرب: الصُّورة في الشكل، والجمع صُورٌ وصُورٌ وصِورٌ وقد صَوَّرَهُ فتصوَّرَ<sup>(١)</sup>، والصيْرُ كالكيْس الحسنها، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة.<sup>(٢)</sup>

قال ابن الأثير: "الصُّورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"<sup>(٣)</sup>، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول الفخر الرازي في تفسير الآية: "أولها حدوث صورته وهو المراد من قوله (وَصَوَّرَكُمُ) وثانيها حسن صورته وهو المراد من قوله (فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ)"<sup>(٥)</sup>. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"<sup>(٦)</sup>، أي هيئته وصفته التي خلق عليها.

تخالع نفس الفنان والتأثير فيمن يطالعون عمله الفني ليشاركوه أحاسيسه وتُعيد نفوسهم تمثيل التجربة الشعورية التي عاينها<sup>(٧)</sup>.

فالصُّورة ضرورية للإنسان لمعرفة الأشياء، وربط الدال بالمدلول حتى يدركها إدراكا حسيًا وينفعل معها. وعن الإدراك الحسي ينشأ التصوير الذي هو مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته.

والتصوير هو إبراز الصور والأشكال إلى الخارج

والصُّورة هي إعادة تشكيل للواقع، ولا ترتبط به إلا بقدر ما يصبح مكتسبًا خصائصها الذاتية؛ بحيث يصبح للصُّورة واقعها الخاص<sup>(٨)</sup>، والصُّورة الأدبية هي تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه<sup>(٩)</sup>.

فالعمل الأدبي هو تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية غايتها الأولى التصوير والتأثير؛ تصوير المشاعر والأحاسيس والوجدانات التي

والمتخيل المنظور<sup>(١٤)</sup>.

كما لا يمكن أن نغفل ما للفنّ من تأثير في النفس البشرية، لذلك استخدم في القرآن الكريم لغرض التأثير الوجداني، يقول سيد قطب: "إنّ التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني، والغرض الفني، فيما يعرضه من الصّور والمشاهد. بل لاحظنا أنّه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدّينية بلغة الجمال الفنيّة. والفن والدّين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحسّ. وإدراك الجمال الفنيّ دليل استعداد لتلقي التأثير الدّيني، حين يرتفع الفنّ إلى هذا المستوى الرّفيع، وحين تصفو النّفس لتلقي رسالة الجمال"<sup>(١٥)</sup>.

والفنّ هو التّعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان؛ إذ يهيئ اللقاء الكامل بين "الجمال" و"الحقّ". فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمّة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود<sup>(١٦)</sup>.

لقد نطق بالفنّ سيّد الرسل؛ فحلّى به كلامه، وازدان عمله؛ فأثار الكون، وشعّ نور الحقّ وزهق الباطل؛ إنّ الباطل كان زهوقا. يقول الرّافعي: "فإذا نظرت في هذا الفن فانظره في حديثه، وفي عمله، وفي الدّنيا التي ألّفها من التّاريخ تأليف القطعة البليغة النّادرة من الكلام..."<sup>(١٧)</sup>. ما أجمل أن يجتمع الجمال والحق؛ بهما تصفو النّفس الإنسانيّة، وتتخلّص من كل ما يشوبها وتتحقّق الحياة الإسلاميّة الرّفيعة.

### أمثال النّبّي صلى الله عليه وسلم :

أرسل الله تعالى للبشرية نبيا كريما شريفا،

بشكل فنيّ، والتّعبير بها عن التّجارب الشعورية التي يمر بها الأديب والفنان بحيث ترتسم أمام القارئ الصّور التي أراد الفنان نقلها له، وتكون أداة التصوير هي الألفاظ والعبارات لا الريشة والألوان<sup>(١٠)</sup>.

والتّصوير في التّعبير هو أرقى أنواع الفنون، والفنّ الرّفيع هو الذي يحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صور نابضة بالحياة، وفي أحدث مدارس النّقد الأدبي يعرف الأدب بأنّه التعبير بالصّور<sup>(١١)</sup>. وقد يكون باللّون، وبالحركة، وبالتخيّل كما أنّه تصوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التمثيل وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصّور<sup>(١٢)</sup>.

وهو أيضا الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن؛ فهو يعبر بالصورة المحسّنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة<sup>(١٣)</sup>.

إنّ التّصوير الفنّي موجود في معظم القرآن الكريم، فحيثما تعرض القرآن لأيّ غرض من الأغراض فإنّه يستخدم طريقة التصوير في التعبير عنه. إنّّه يعبر بالتصوير حيثما شاء أن يعبر، عن معنى مجرد أو حالة نفسية، أو صفة معنوية أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة، أو قصّة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النّعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً في جدل أو محاجة؛ بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقاً، واعتمد فيه على الواقع المحسوس،

منحه من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه أحدا من خلقه، فمن ذلك فصاحته وبلاغته - صلى الله عليه وسلم - فكيف لا وهو القائل: "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ وَأَنِّي نَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ" (١٨).

فكلامه ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام (١٩).

وهو كما قال الجاحظ (٢٠): "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾" (٢١).

و الرسول الكريم أفصح العرب فقد أوتي جوامع الكلم، توفيقاً من عند الله تعالى، فكان صلى الله عليه وسلم يعلم كل ذلك على حقه؛ كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً وأسدّهم لفظاً، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب (٢٢).

ومن كمال تلك النفس العظيمة غلبة فكره - صلى الله عليه وسلم - على لسانه قلّ كلامه وخرج قصداً في ألفاظه، محيطاً بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها، فلا ترى من الكلام ألفاظاً ولكن حركات نفسية في ألفاظ (٢٣)، فإنه صنّع على عين الله عز وجل فكيف فلا وهو القائل: "أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي" (٢٤).

ولا غرو أن يكون في كلامه صلى الله عليه وسلم أمثال، وهي قد حظت مكانة رفيعة في القرآن الكريم، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥). ويقول جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٢٦).

يقول شهاب الدين محمد أبي الفتح الأبهري المحلي: "اعلم أن الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه، وحلّى بجواهره كتابه، وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخل كلام سيدنا - رسول الله صلى الله عليه وسلم - عنها وهو أفصح العرب لساناً وأكملهم بياناً فكم في إيراد وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل" (٢٧).

و تنقسم أمثال النبي - صلى الله عليه وسلم - قسمين:

أمثال موجزة وأمثال مُفَصَّلَة (٢٨). أما الأمثال الموجزة وهي التي قالها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أمر من أمور الدين أو الدنيا فسارت عنه وفشت بين المسلمين فأصبحت أمثالا؛ وهذه الأمثال كثيرة كقوله عليه السلام "مَاتَ حَتَفٌ أَنْفِهِ" (٢٩) فإنه يُروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: "ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآله - وسمعتها يقول مَاتَ حَتَفٌ أَنْفِهِ وما سمعتها من عربي قبله" (٣٠).

ومن ذلك قوله عليه السلام في يوم حنين لما رأى مجتلد القوم "الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ" (٣١) يقول الرافعي في بلاغة هذا المثل: "الوطيس: هو النثور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة الحرب، فإن هذه الكلمة بكل ما يقال في صفتها، وكأنما هي نارٌ مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلاً، وكأنما



هي تُمَثِّل لك دماء نارية أو ناراً دموية" (٣٢).

وقوله في حديث الفتنة: "هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ" (٣٣)،  
والهُدْنَةُ: الصِّلْحُ والمَوَادعة.

والدَّخْن: تغيّر الطَّعام إذا أصابه الدَّخان في حال طبخه فأفسد طعمه، وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإنَّ فيها لونا من التَّصوير البياني لو أذيت له اللُّغة كلها ما وفّت به، وذلك أنَّ الصِّلْح إنَّما يكون مَوادعةً وليناً؛ وانصرافاً عن الحرب، وكفّاً عن الأذى، وهذه كلها من عواطف القلوب الرّحيمة فإذا بُني الصِّلْح على فساد وكان لعلّة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها، حتى لا يسترحّ غيره من أفعالها، كما يغلب الدَّخْن على الطَّعام، فلا يجد أكله إلاّ رائحة هذا الدخان، والطَّعام من بعد ذلك مشوب مفسد، فهذا في تصوير معنى الفساد الذي ينطوي عليه القلوب الواغرة، وثمّ لون آخر في صفة هذا المعنى، وهو اللّون المظلم الذي تنصبغ به النّيّة (السوداء) وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة (الدخن).

ثم معنى ثالث وهو النّكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سرّ البيان في العبارة كلها، وبها فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى وذلك أنَّ الصِّلْح لا يكون إلاّ أن تطفأ الحرب. فهذه حرب قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها نار أخرى. كما يلقى الحطب الرّطب على النار تخبو به قليلاً، ثمّ يستوقد فيستعر فإذا هي نار تلتظى، وما كان فوقه الدخان فإنّ النّار ولا جرم من تحته، وهذا كله تصويرٌ لدقائق المعنى كما ترى، حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلاّ وجدت اللّون البياني يصوره في تلك اللفظة لفظة "الدخن" (٣٤).

و أمثاله - صلى الله عليه وسلم - كثيرة نذكر منها "سَوْقًا بِالقَوَارِير" (٣٥)، "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ" (٣٦)، "النَّاسُ كَابِلُ مَائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً" (٣٧)، "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى" (٣٨)، "إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا" (٣٩).  
"إِذَا لَمْ تَسْتَخْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" (٤٠)، "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" (٤١)، "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ" (٤٢).  
"الْحَرْبُ خُدْعَةٌ" (٤٣)، "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ" (٤٤).

أمّا الأمثال المفصلة في كلامه - صلى الله عليه وسلم - فهي تلك التي سيقّت أساليبها وأغراضها على سمت القرآن الكريم، فمنها ما تحت على التذكّر والوعظ، والاعتبار والتقرير، والرجاء والخوف، كما جاءت هذه الأمثال في صورة رائعة من صور التمثيل المركب ينبئ عن عظمة البلاغة النبوية، والأمثال التي ستعنى بالدراسة في هذا المقال هي التي صرّح فيها بلفظ المثل، والآن نأخذ في ضرب الأمثال.

يقول الرّسول - صلى الله عليه وسلم - : "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَّا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ" (٤٥).

النّار مادّة النّور، لهذا ضرب الله مثلاً في سورة البقرة فقال سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤٦). فالنّار في المثل النّبوي تحمل مادّة النّور التي تعكس زخرف الحياة وبهرجة ألوانها وفتنها، فيريد النّبيّ الكريم أن يحذّر أُمَّته ويصدّهم عنها ويرغبهم في الجنّة ونعيمها، ولكنهم في غفلة لا يشعرون لميلهم إلى الدّنيا، وزهرتها وإيثارهم لها على ثواب الله تعالى

وما عنده خير وأبقى.

في نحو صَرَصَر وَحَقَّق دليلاً على تقطيعه<sup>(٤٨)</sup>.

فالخيال يتصوّر العبد وهو لا يستطيع أن يتحوّل عن الدُّنيا، ولو كان كذلك فقد يرجع لا محالة فتكرّر الذنوب وتكرّر التوبة، يقول الرّسول - صلى الله عليه وسلم - : " أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكَ " (٤٩).

صورة فنيّة تُبرز لنا التّناسُق العجيب في تماثل جزئياتها تريد أن تكشف معنى حبّ النّاس للدُّنيا وحبّ النّبي لأُمّته.

يقول الرّسول - صلى الله عليه وسلم - : " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا هَذِهِ اللَّبَنَةُ. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ " (٥٠).

هذا مثل نبوّته - صلى الله عليه وسلم - وأنّه خاتم الأنبياء والرّسل وبه تتمّ حُجّة الله عز وجل على خلقه.

التّعبير النّبوي هنا يرسم صورة بتناسق فنيّ ساحر ينمّ عن لمسات ريشة مبدعة، تجعل الجامد تسري فيه الحياة وتدبّ فيه الحركة، مشهد حي نابض بالحياة. بنيان جميل متناسق ألوانه مكتمل إلا موضع لبنة والنّاس يطوفون حوله مبهورين بجماله، ويقولون لولا هذا اللبنة.

فالتّعبير النّبويّ استخدم طريقة التصوير في نقل هذه المعاني المجردة إلى حالة تصويرية، فعندما ما يقرأ القارئ هذا المثل ترسم في خياله، وأمام ناظره صورة شاخصة، تدبّ فيها الحياة متحرّكة متناسقة لهذا المعنى.

صورة رجل والنّار أمامه والذّباب والفرّاش يقتحموها اقتحاماً، فيدعنا نتخيل صورة النّار وهي تحرقهم، فيعطينا معنى أوضح وأكد للضياع الحاسم المؤكّد أمام زخرف الدُّنيا .

ثم ما يفتأ أن يمضي في التّصوير لإبراز حاله أمام أمّته ومهمته التي كلّف بها، فهنا يرسم الوجه الثّاني للصّورة في تناسق عجيب، رسولنا الكريم وهو أخذ بحُجَزِ أمّته عن النّار، فتظهر لفظة ( حُجَزِكُمْ ) لتضع لمساتها فتدع الخيال يتملّى هذه الحركة الممثلة حبّاً وخوفاً على الأمّة، حركة أيدي النّبي الكريمة، وهي تصدّها وتمنعها من نار جهنّم، والنّاس يغلبونه ويتحمّون فيها.

وهنا لا يفوتنا ما في كلمة ( يَتَحَمُّون ) من تصوير بليغ لمدلولها؛ حال النّاس وهم يتهافون ويندفعون على ملدّات الدُّنيا، وإذا هم يتسقاطون في النّار، يقول الله عزّ وجل : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾ (٤٧).

لقد جاءت اللفظة في بنيتها على ما يدلّ عليه معناها يقول ابن جنّي: " فلمّا كانت الأفعال دليّة المعاني كرّروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المُحدّث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه

صورة تُلحّ على الحسّ والوجدان، وتجذب إليها الالتفات فلا يستطيع أن يتحوّل عنها إلاّ والبيت مكتمل بتلك اللبنة فتتملّى النفس بمكانة النبي الكريم ورفعته واصطفاه من بين الرّسل. ثم يمضي التعبير النبويّ ليكمل الحركة الأخيرة التي كانت متوقّعة هناك فيؤكّدها إذ يقول: "فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ".

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "إِنْ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا رَعَوًا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" (٥١).

هذا مثل للنبي -صلى الله عليه وسلم- في إبلاغه عن الله عز وجل ودعائه إلى سبيله وأنّه بعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم.

تحولت هذه المعاني كلّها إلى صورة حيّة نامية مجسّمة؛ غيث يُصيب أرضاً تقبلها طائفة فيهيئوها للخصب والنماء.

حتى الأرض الجذباء ينتفع بها النّاس فيشربون ويرعون ويسقون منها؛ تجعل القارئ يستشعر عليل ونسمات هذا المطر؛ فكأنّما الحياة تنزل فتعمّ الأرض لتحيا ولو كانت مواتا.

لما تتملّى النفس بهذا المنظر الجميل، تظهر الصورة المعاكسة ( قِيعَانٌ ) لا تمسك ولا تنبت

كلّا، تسمعها الآذان فيحدث جرسها ما يوحيه معناها، ولو أنّك قلت ( قاع ) لخفّ الجرس، ولضاع أثر المعنى المراد، يقول ابن جني: "فأما مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع، ونهج متلثّب عند عارفيه مأموم. وذلك أنّهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمتِ الأحداثِ المعبر بها عنها يعدّلونها بها، ويحدّونها عليها، وذلك أكثر ممّا تقدّره وأضعاف ما نستشعره" (٥٢).

فيبرز معنى من تفقّه في دين الله فانتفع به ونفع غيره ومن لم يقبل هدى الله الذي جاء به خيرُ الأنام.

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعْلَقَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ" (٥٣).

النبيّ الكريم في هذا المثل يريد أن يوضح أنّ القرآن الكريم سريع الانفلات ولا يُعقل إلاّ بالمراجعة والمذاكرة.

يرسم التعبير النبوي لهذا المعنى صورة شاخصة فيها الحركة الدائبة، وهي معهودة ومحبوبة لدى العربيّ البدويّ، فهي في تثبيت المعنى المراد بها أشدّ وأقوى وبذلك يتعانق الغرض الديني بالغرض الفني.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا



عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا وَنَجُوا جَمِيعًا" (٥٤).

الحديث النبوي يوضح حال الأمة؛ بين صالح وفاسد؛ فضعاف الإيمان يقدمون لأنفسهم مبرراً يتعدون به حدود الله ويضربون صفحا عن المبادئ والقيم الشريفة، أما أهل الصلاح فهم بين حالين؛ إما أن يأخذوا بأيديهم بالنصح والموعظة الحسنة، فينجوا جميعا من غضب الله ويعم الخير، وإما أن يتركوهم وحالهم فيهلكوا جميعا قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥٥).

التعبير النبوي يسوق هذا المعنى في تمثيل رائع؛ حالة طائفة في الأسفل تعمل لرحمة من هم في الأعلى؛ عاطفة شريفة ولكنها سافلة، وحمية ملتهبة ولكنها باردة، ورحمة خالصة ولكنها مهلكة، ولن تجد كهذا التمثيل في تصوير البلاغة الاجتماعية والغفلة الفلسفية لأناس هم عند أنفسهم أمثلة الجد والعمل والحكمة؛ فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهؤلاء : أنتم المصلحون إصلاحا مخروقا (٥٦)!

يقول الرافعي في وصف هؤلاء الذين يقفون عند ظاهر الأمور بفلسفة مغبونة : "فكّر في أعظم فلاسفة الدنيا مهما يكن من حريته وانطلاقه، فهو هنا محدود على رغم أنفه بحدود من الخشب والحديد تقسرها في لغة البحر حدود الحياة والمصلحة، وكما أن لفظة ( الخرق ) يكون من معانيها في البحر القبر والغرق والهلاك، فكلمة (الفلسفة) يكون من بعض معانيها في الاجتماع الحماقة والغفلة والبلاهة، وكلمة الحرية يكون من معانيها الجنائية والزيغ والفساد" (٥٧).

والحديث النبوي اشتمل على فن بديع من

التشبيه التمثيلي في قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها..)، وهو تشبيه معقول بمحسوس (٥٨)؛ شُبّهت فيه الهيئة الحاصلة من قيام المسلمين بواجبهم في تغيير المنكر بالهيئة الحاصلة من قيام أهل السفينة بمنع من يريد خرقها من الإقدام على ما يريد، كما شُبّهت الهيئة الحاصلة من التقاعس عن تغيير المنكر بحال أهل السفينة إن تركوا من يريد خرقها يفعل ما يشاء. ووجه الشبه هنا صورة منتزعة من مجموعة من الصور؛ وهي منتزعة في الحالة الأولى من هيئة النجاة المترتبة على قيام قوم بما يجب عليهم، وفي الحالة الثانية من هيئة الهلاك الناجم عن تقصيرهم في ما يجب عليهم؛ فكما أن أهل السفينة سينجون إن أخذوا على يد من يريد خرقها، فإنّ النجاة ستكون مصير الجميع في مجتمع يأخذ أهله على يد العابثين، وكما أن الفرق سيكون مصير أهل السفينة إن تركوا مريد الخرق يفعل ما يريد فإن مجتمع المدهنين الساكتين عن أهل المنكر سيؤول إلى هلاك وفساد عريض .

كلّ هذه المعاني عُرِضت لنا في خصائص فنيّة، تحقّق الغرض الدّيني فيها عن طريق الجمال؛ ليجعلها أوقع في النّفس والوجدان معاً؛ صوّرت لنا في مشهد حيّ حافل بالحركة يجعل القارئ يذهب بخياله مستمتعا متأمّلا ومتذوقا؛ فلم لا! وأبطال القصة يتحرّكون ويتحدّثون في مشاهد متوالية.

يرفع الستار فيبدأ المشهد الأوّل؛ مشهد القوم وهم يستهمون على السفينة، فلنا أن نستشعر ما تُظهره اللفظة من عواطف وانفعالات؛ فالكل يريد أعلاها. ثمّ يسدل الستار ليرفع مرّة أخرى أمام مشهد السفينة وقد دبّت فيها الحركة؛ أبطال القصة يتحرّكون يصعد الذين في أسفلها إلى

أعلاها ليستقوا الماء، يتحدثون ويستأذنون؛ حركة هادئة تتوافق وحركة السفينة فوق أمواج البحر الهادئ؛ تجعل النفس تتساءل، أهو الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ ويسدل الستار ليرفع مرة أخرى وهم يقولون: (لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا). وهنا قد تبدأ العاصفة! ويبدأ الخيال ليرسم ألوانا من الأمواج المتلاطمة؛ زيع وفساد وبلاهة وغفلة؛ ساقطها أفكار هدامة تريد أن تخرق القيم والمبادئ.

و تسير القصة مع المشهد الأخير؛ اللحظة الحاسمة: (فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا). فيكشف السر للنظارة؛ هما أمران لا ثالث لهما، وهنا يبرز الغرض الديني من القصة. كما برزت المشاهد بقوة العرض والإحياء.

### الحواشي

١. لسان العرب : ابن منصور: ٤٧٣/٢.
٢. القاموس المحيط : الفيروز آبادي. دار الجيل. بيروت. مادة ( صور ) .
٣. لسان العرب: ابن منصور. مادة (صور).
٤. سورة غافر: ٦٤.
٥. تفسير الفخر الرازي : للإمام الرازي. دار الفكر. بيروت. ١٩٨١. ط١. ٨٥/١٤.
٦. صحيح مسلم : الإمام الحافظ ابو الحسن مسلم : دار طيبة. الرياض. ٢٠٠٦. ط١. ( ٢٦١٢ ) .
٧. التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل: د.مصطفى السعدني. منشأة المعارف بالإسكندرية. ص٨٦.
٨. الصورة الأدبية في القرآن الكريم : د.صلاح الدين عبد التواب. الشركة المصرية العالمية للنشر. القاهرة. ١٩٩٥. ط١. ص ٠٩.

٩. النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب : دار الشروق. القاهرة. ٢٠٠٢ م. ط٨. ص ١١٩.
١٠. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار الشهاب. الجزائر. باتة. ص٧٤-٧٧.
١١. المرجع نفسه: ص ٧٧.
١٢. المرجع نفسه: ص ٧٧.
١٣. التصوير الفني : سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. ٢٠٠٢. ط١٦. ص ٣٦.
١٤. التصوير الفني في القرآن : سيد قطب. ص ٣٧.
١٥. المرجع نفسه: ص ١٤٣-١٤٤.
١٦. منهج الفن الاسلامي: محمد قطب. دار الشروق. القاهرة. ١٩٨٢. ط٦. ص ٠٦.
١٧. السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي. تحقيق. أبي عبد الرحمن البحريري. دار البشير للثقافة والعلوم. ص ٥٠.
١٨. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ١٩٩٠. ص ٢٨٥.
١٩. السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: ص ١٣.
٢٠. البيان والتبيين : الجاحظ. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. ١٩٦٨. ص ٤٤/٢.
٢١. سورة ص: ٨٦.
٢٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص ٢٨٣.
٢٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي. ص ٣٠٠.
٢٤. المرجع نفسه: ص ٣٠١.
٢٥. سورة الزمر: ٢٧.
٢٦. سورة الإسراء: ٨٩.
٢٧. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد ابن أحمد ابن الفتح الأبهشي المحلي. القاهرة. ص ٤١.
٢٨. ينظر : أمثال الحديث الرامهرمزي: تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد الأعظمي. دار السلفية. الهند. ١٩٨٣. ط ١. (المقدمة).

٢٩. كتاب المجازات النبوية : الشريف الرضي أبو الحسين محمد بن أبي أحمد. مطبعة الآداب. ص ٤٢. غريب الحديث: الهروي. مطبعة دار المعارف العثمانية. بحيدر آباد. ط١. ١٩٦٥. ٦٨/٢.
٣٠. المجازات النبوية : الشريف الرضي. ص٤٢.
٣١. المجازات النبوية: ص ٢٦.
٣٢. اعجاز القرآن الرافعي: ص ٣٢٨.
٣٣. غريب الحديث: الهروي. ٢٦١/٢-٢٦٢.
٣٤. إعجاز القرآن الرافعي: ص٣٢٨-٣٢٩.
٣٥. مختصر صحيح مسلم: للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم. مكتبة الصفا. الدار البيضاء. ٢٠٠٥. ط١. (٢٢٢٣).
٣٦. مختصر صحيح مسلم: ( ٢٩٩٨). مختصر صحيح البخاري: الإمام زيد الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي. مكتبة الصفا. القاهرة. ٢٠٠٥. ط١. (٢٠٤٦).
٣٧. مختصر صحيح البخاري: (٢١١٥). مختصر صحيح مسلم: (٢٥٤٧).
٣٨. مختصر صحيح مسلم: (١٠٣٤). مختصر صحيح البخاري: (٧٢٢).
٣٩. مختصر صحيح البخاري: ( ١٩٨٠).
٤٠. مختصر صحيح البخاري: ( ٢٠٤٤).
٤١. مختصر صحيح مسلم: (٩١).
٤٢. مختصر صحيح البخاري: (٢٠٢٠).
٤٣. مختصر صحيح مسلم: (١٧٣٩).
٤٤. مختصر صحيح مسلم: (٢٦٣٨).
٤٥. صحيح مسلم: ( ٢٢٨٤)، مختصر صحيح البخاري (١٤٢٨).
٤٦. سورة البقرة: ١٧.
٤٧. سورة آل عمران: ١٤.
٤٨. الخصائص: ابن جني. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. لبنان. ٢٠٠٣. ط٢. ٥٠٧/١.
٤٩. صحيح مسلم: (٢٧٥٨).
٥٠. صحيح مسلم: ( ٢٢٨٦). أمثال الحديث الرامهرمزي. ص ٧.
٥١. صحيح مسلم: (٢٢٨٢).
٥٢. الخصائص: ابن جني. ٥٠٩/١.
٥٣. صحيح مسلم: (٧٨٩).
٥٤. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. ٢٠٠٧. ط١. (٢٤٩٣).
٥٥. سورة الأنفال: ٢٥.
٥٦. السمو الروحي الأعظم: ص ٢٣.
٥٧. السمو الروحي الأعظم: ص ٢٥.
٥٨. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ص ٢٢٧، ٢٢٠.

### المصادر والمراجع

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي. بيروت، لبنان. ١٩٩٠.
- أمثال الحديث الرامهرمزي: تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد الأعظمي. دار السلفية. الهند. ١٩٨٣. ط ١.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- البيان والتبيين : الجاحظ. دار إحياء التراث العربي. ١٩٦٨. بيروت، لبنان.
- التصوير الفني : سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. ٢٠٠٢. ط١٦.
- التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل : د. مصطفى السعدني. منشأة المعارف بالإسكندرية .
- تفسير الفخر الرازي : للإمام الرازي. دار الفكر. بيروت. ١٩٨١. ط ١.
- الخصائص: ابن جني. تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. لبنان. ٢٠٠٣. ط٢.
- السمو الروحي والجمال الفني في البلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي. تحقيق. أبي عبد الرحمن البجيرري. دار البشير للثقافة والعلوم.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. ٢٠٠٧. ط١.
- صحيح مسلم : الإمام الحافظ ابو الحسن مسلم : دار طيبة. الرياض. ٢٠٠٦. ط ١.



المنذري. خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم.  
مكتبة الصفا. الدار البيضاء. ٢٠٠٥. ط١.

- المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن  
أحمد بن الفتح الأبهشي المحلي. القاهرة.

- منهج الفن الإسلامي: محمد قطب. دار الشروق. القاهرة.  
١٩٨٣. ط٦.

- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: د. صلاح عبد الفتاح  
الخالدي. دار الشهاب. باتنة الجزائر.

- النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب. دار الشروق.  
القاهرة. ٢٠٠٣م. ط٨.

- الصورة الأدبية في القرآن الكريم : د. صلاح الدين عبد  
التواب. الشركة المصرية العالمية للنشر. القاهرة. ١٩٩٥.  
ط١.

- غريب الحديث: الهروي. مطبعة دار المعارف العثمانية.  
بغداد. ط١.

- القاموس المحيط : الفيروز آبادي. دار الجيل. بيروت .

- المجازات النبوية : الشريف الرضي أبو الحسين محمد بن  
أبي أحمد. مطبعة الآداب.

- مختصر صحيح البخاري: الإمام زيد الدين أحمد بن عبد  
اللطيف الزبيدي. مكتبة الصفا. القاهرة. ٢٠٠٥. ط١.

- مختصر صحيح مسلم: للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي

# شعر علي بن عرّام الأسواني (ت ٥٨٠ هـ) (صناعة وتقدير)

أ. د. عبد الرّازق حويزي  
أستاذ الدراسات الأدبية والنقدية  
بجامعتي الأزهر والطائف

"علي بن عرّام" أحد شعراء القرن السادس الهجري المشهورين، ينتمي إلى أسرة عريقة، لها القدر المعلن في الإبداع الأدبي، والنتاج الثقافي، لم يقتصر في عطائه على الإبداع الشعري، فقد تخطى ذلك بفضل تنوع ثقافته إلى ممارسة التأليف في بعض التخصصات، فترك بعض المؤلفات، ولكن للأسف ذهبت أدارج الرياح، ولم يبق منها إلا نصوص قليلة متناثرة في بعض مصادر التراث العربي.

تطرق بعض المؤرخين للترجمة له، ولكن ما أثر من معلومات حول حياته لا يبيلُ صدى، ولا ينفع غلة، ومهما يكن من أمر قلّة المأثور من أخبار حياته سيحاول البحث أن يلقي ضوءاً ما على شخصيته، وأدبه، ومن ثم إظهاره من حيّز المجهول إلى حيّز المعلوم.

لجمع شعره، منها: ضياع غير قليل من دواوين شعراء العصر الأيوبي، ومنها: عدم جمعه حتى الآن ممّا أدى إلى غياب الشاعر وشعره عن أقلام الباحثين في الأوساط الأدبية المختلفة.

وأحاول التعريف بهذا الشاعر في ضوء ما أسعفت به مصادر التراث العربي<sup>(١)</sup>. فهو: "علي بن أحمد بن عرّام بن أحمد الربيعي الأسواني"، يكنى بـ"أبي الحسن"، وُلد في "أسوان"،

وتعدّ ترجمة "العِمَادُ الأصفهانيّ ت ٥٩٧ هـ" له في كتاب "خريدة القصر" من أوفى التراجم المأثورة له، إذ احتوت على عددٍ غير قليل من الأبيات الشعرية، وقد حدّت بي بعض قصائده ومقطعاته ذات المضمون السامي، القريب التناول من العامة والخاصّة إلى الالتفات إلى جمع شعره وتحقيقه وشرحه، بعد التأكّد من ضياع مخطوطة ديوانه، وهناك بعض الدوافع الأخرى حدّت بي

ولم يحدّد العلماء تاريخ مولده، وأرجّح أنّه وُلِدَ في العقد الأوّل من القرن السّادس الهجريّ، إذ يذكر "الأدقويّ" ت ٧٤٨ هـ "أنّه أخذ العلم بمصر عام (٥١٧ هـ) عن "ابن بركات"، وذكر أيضًا أنّ "أبا عبد الله الأنصاريّ" روى عنه، ثم أثنى عليه، فقال: "لا يوجد في أرض مصر من يدانيه فضلًا، ولا يضاهيه نبلاً"، ويحدّد "السّيوطيّ" ت ٩١١ هـ، و"عمر رضا كحّالة" ت ١٤٠٨ هـ وفاته بعام (٥٨٠ هـ).

ينتمي "ابن عرّام" إلى أسرة عريقة، لها باع طويل في الثقافة العربية، إضافة إلى الدور البارز الذي نهض به رهط من أفرادها في الحياة الاجتماعية والسياسيّة، وقد أتى كلٌّ من "العِمَاد الأصفهانيّ"، و"الأدقويّ" على ذكر بعضهم، فمنهم: ابن عمّ شاعرنا: "هبة الله بن عليّ بن عرّام الأسوانيّ" ت ٥٥٠ هـ، كان شاعرًا مشهورًا<sup>(٢)</sup>، و"عبد الله بن أبي بكر بن عرّام"، وهو عالم لغويّ معروف<sup>(٣)</sup>، و"عيسى بن أحمد بن عرّام الأسوانيّ"، وهو شاعر معروف<sup>(٤)</sup>، و"أحمد بن أبي بكر بن عرّام الأسوانيّ"<sup>(٥)</sup>، و"أبو بكر بن عرّام الأسوانيّ"<sup>(٦)</sup>.

ومن المؤكّد أن هذه الكوكبة أثّرت في ثقافته، وتوجيهه نحو الثقافة الإنسانيّة، فقد كان ابن عمه "أبو محمّد" قاضيًا معروفًا في أسوان، وقد استثمر شاعرنا هذه الحركة العلميّة في بيئته الخاصة، فجدّد في التّحصيل العلميّ حتّى صار علمًا من أعلام القرن السّادس الهجريّ الذين يُشار إليهم بالبنان، وقد أثمر هذا الاهتمام العميق بالتّحصيل العلميّ عن بعض المؤلّفات<sup>(٧)</sup>، منها: كتاب "سيرة بني الكنز"<sup>(٨)</sup>، الذي سطر فيه تاريخ "بني الكنز"، وهذا الكتاب مفقود، وقد عثرت في بعض المصادر

على نصوص منه، فنهضت بجمعها، ومن نتاجه الإبداعيّ ديوان شعر، ذكره "العِمَاد الأصفهانيّ"، و"الأدقويّ".

هذا، وقد مكّنته موهبته وسعة ثقافته وشهرته من الاتّصال ببعض وُجّهاء عصره إمّا مادحًا<sup>(٩)</sup>، وإمّا رائيًا، ويومئ في شعره إلى أنّه تعرّض في "أسوان" إلى الاضطهاد والتّضييق عليه في أمور حياته حتّى لفّه اليأس، وشمله القنوط، فضجر من الإقامة بها، ويبدو أن هذا التّضييق كان من قبّل بعض وُلاة أمورها ممّا اضطره إلى صبّ جام غضبه عليها وعلى ساكنيها، ثم الرّحيل منها إلى بعض البلاد الأخرى؛ منها: القاهرة، والشّام، والعراق، واليمن، والجزيرة العربيّة<sup>(١٠)</sup>. ويبدو أنّه عاد إليها مرّة ثانية في نهاية حياته؛ إذ يذكر "العِمَاد الأصفهانيّ" أنّه سأل عنه عام (٥٧٣ هـ) فأجيب بأنّه في أسوان<sup>(١١)</sup>.

وكان "ابن عرام" على وعي عميق بقيمة شعره وجماليّاته الأسلوبية والإيقاعيّة، فبادر إلى التّصريح بأن هذا الشعر إنّما يصدر عن شاعر ذي ذوق رفيع، عالم بأسرار اللّغة، خبير بدلالات ألفاظها، محيط بمعجمها اللّغوي، بصير بقواعد الشّعر ومؤهلاته، وذلك في قوله<sup>(١٢)</sup>:

وقافية لیسست تفارق مَرَكْزًا

وتقطع آفاق البلاد بلا عَدُو

لها رَوْنَقٌ من قبل تلحين وزنها

إذا كان بعض الشعر يحسن بالحدو

أَمَادِحُهُ استيقظ فشعركَ وافدٌ

على لُغويّ شاعرٍ ناقدٍ نحوي

فمن كان في قولٍ مُجيدًا وقاصداً

مجيداً به فليحذ في نظمه حذوي

شعر  
علي بن عرّام  
الأسواني  
(ت ٥٨٠ هـ)  
(صنعة)  
وتقديم



ومن ثمَّ حفظ بعض النُّقاد له مكانته في موكب الشعر العربي، ووفروا عليه حظه في دوحته، منهم "العِمَاد الأصفهانيّ ت ٥٩٧ هـ" الذي قال في حقّه: "(١٣) شيخٌ من أهل الأدب، مقيم بأُسوان فوق قوص، ملك من الأدب الخلوص، ومن الشعر الخصوص، وعدم ظلُّ فضله القُلُوص، وهجر في لزوم وطنه الرُّحْل والقُلُوص. وسألت عنه بمصر سنة ثلاث وسبعين فقليل: إنه حيٌّ في أُسوان، وهو على حظّه أُسوان، وطلبتُ شعره فأحضر لي بعضُ أصدقائي من أهلها ديوانه، فوجدتُ عاليًا في سماء السَّحر كيوانه، وجمعتُ شارِد حسنه وألزمته صِوانه، وغبطتُ عليه أُسوانه، وجلوتُ بِكر نظمه وعوانه، ووضعتُ لمأدبة أهل الأدب إخوانه خِوانه، وأحضرت عليه ألوانه، فاحمدٌ إذا حققت برهانه أوانه. وقد أوردتُ من جملة نظمه الفائق الرائق، ولفظه الرائع الشائق، ما إذا حُسِرَ سَحَر، وإذا أَصَحَرَ أَحْصَرَ، وإذا أَنشَدَ نَشَدَ ضَالَّةَ الأمانِي، وإذا أَفَمَرَ نَوَّرَ هالةَ المعاني، فلا بن عَرَّام في ميدان النظم عَرَّام، وبابتكار المعاني الحسان غرام، ولرويته في إِذْكاء نارِ الذكاء ضرام، والملوك باصطناع أمثاله يقال لهم كرام...".

إن هذه المكانة السَّامية لـ "ابن عَرَّام" في مجال الإبداع الأدبيّ حدث بكتاب هذه السُّطور إلى الاهتمام بدراسة شعره، فكتب بحثًا آخر - قيد النُّشر - تناول فيه بالدراسة التحليلية ما أثر له من شعر تحت عنوان: "شعر عليّ بن عَرَّام الأُسواني": دراسة في جماليّات الشَّكل وتنوُّع المضمون"، لذا اقتصر هنا على جمع الدِّيوان وتحقيقه وشرح بعض ألفاظه.

وقد اتَّبع الباحث في جمع هذا الدِّيوان وتحقيقه منهجًا، تمَّ الالتزام به ليأتي العمل قريبًا من

الكمال، ذكره في بعض الدَّواوين الأخرى التي صنعها، يتلخَّص في:

١- جمع الشعر وترتيب القصائد والمقطّعات حسب رويها على حروف المعجم مبتدئًا بروي الهمزة ومنتهيًا بروي الياء، وفي حالة تجمُّع قصائد متعدّدة على روي واحد احتكمتُ في ترتيبها إلى حركة حرف الروي؛ فأوردتُ السَّاكن أولاً، فالمتَّوح، فالمكسور، فالمضموم، فالموصول بحرف وصل.

٢- ترقيم جميع القصائد والمقطّعات والأبيات مع تكرار رقم البيت في القصيدة الواحدة عند التَّعرُّض لذكر رواياتها.

٣- إرداف كلّ قصيدة ومقطّعة ونُتفة بذكر الروايات وشرح الألفاظ وتخريج الأبيات، ومن هنا تعتبر كلّ قصيدة أو مقطّعة أو نُتفة وحدةً مستقلة.

٤- ضبط الأبيات بالشَّكل ضبطًا يُعين على سلامة نطقها اللُّغوي ويساعد على فهم معناها.

٥- إثبات أوضح الروايات وأصحّها في النُّص من وجهة نظري المتواضعة مع الإشارة إلى باقي الروايات إثر نصّها.

٦- تخريج قصائد الدِّيوان ومقطّعاته أسفل كلّ مقطوعة وقصيدة حرصًا على توفير وقت الدَّارس وجهده مع مراعاة الاستقصاء في التَّخريج ما أمكن.

٧- شرح بعض الألفاظ شرحًا يكشف النُّقاب عن مَغزى الشَّاعر ودلالات شعره للقارئ - أي قارئ - وقد تمَّ الرُّجوع في هذا الشَّرح على معاجم اللُّغة والبلدان، وغيرها من الكتب الأدبيّة، فالشَّرح مأخوذ منها.

٨- وضع وزن كل قصيدة ومقطعة ونُتمة أعلى يسارها.

ولا أصرح بأن ما ورد في هذا المجموع الشعري هو كل ما نظمه صاحبه، ولا أقول - كذلك - إنه كل ما رَوته مصادر التراث العربي له، فربما يكون هناك من مصادر شعره ما لم أقف عليه، وربما تكون هناك مصادر مخطوطة لمَّا تُطبع بعد، فيها بعض أشعاره لم أقف عليها، فمعروف أن الوقوف على كل شعر أي شاعر في مصادر تراثنا العربي من الأمور التي لا يمكن الإحاطة بها في ظل اتساع اتجاهات المكتبة العربية وتشعب تخصصاتها، وكثرة ما تضمه من مصادر مخطوطة ومطبوعة. وما تمَّ جمعه هنا يُعدُّ لبنة صغيرة في وضع أساس تشييد صرح هذا البناء، تتطلع إلى من يراها ويرفدها بما فاتني، وأكون شاكرًا لمن يهتم بهذا البناء، ويحاول إعلاء صرحه.

### [قافية الهمزة]

(١)

قال "علي بن عرّام الأسواني": [من الخفيف]

- ١- كم ليالٍ نَعِمْتُ فيها بِخَوْدٍ  
فاقتِ البدرَ في السَّنا والسَّناءِ
- ٢- ذاتِ جيدٍ كالرَّيمِ حَلَاهُ عَقْدُ  
حَلٍّ فيه بحلِّ عَقْدٍ عَزَائِي
- ٣- وترشَّفتُ من رُضابِ بَرُودٍ  
فاق طَعَمَ السُّلَاقَةِ الصُّهْبَاءِ
- ٤- وتنزَّهتُ في رياضِ حَسانٍ  
غانياتٍ عَنْ صَوْبِ ماءِ السَّماءِ
- ٥- بَيْنَ وَرْدٍ وَنَرَجِسٍ وَأَقاحٍ  
فضوادي مُقَسَّمُ الأَهْوَاءِ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في خريدة القصر برواية: "فاتت".

(٢) وورد البيت الثاني في الوافي بالوفيات برواية: "عقد عراء".

التخريج: خريدة القصر ١٦٦/٢، والطالع السعيد ٢٧٢، والوافي بالوفيات ٣٦٦/٢٠، وقالها مجيبًا ابن عمه "أبي محمَّد هبة الله الأسواني" في بيته الذي طلب منه إجازته، وهو:

١- هذه أدُرُ الهَوَى والهَواءِ

وَمَحَلُّ الغَرَامِ والغَرَماءِ

### [قافية الباء]

(٢)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١- وَرِعٌ وَارَوْعٌ باسِلٌ

عِنْدَ المَحَارِبِ والمُحَارِبِ

٢- يَهَوَى المَعَارِفَ لا المَعَا

زِفَ والمَشاعِرَ لا المَشَارِبِ

٣- سُمُرُ العَوالي في العُلا

تُلْهيه عن بيضِ الكَواعِبِ

التخريج: خريدة القصر ١٦٩/٢.

(٢)

وقال: [من المجث]

١- حَلَلْتُ قَلْبِي فَعِينِي

عَلَيْكَ تَحْسُدُ قَلْبًا

٢- فَمَا أَرَى البُعْدَ إِلَّا

قَدْ زادني مِنْكَ قُرْبًا

شعر  
علي بن عرّام  
الأسواني  
(ت ٥٨٠ هـ)  
(صنعة  
وتقديم)

التخريج: خريدة القصر ١٦٦/٢.

(٤)

وقال: [من المتقارب]

١- كَتَبْتُ وَلَوْ أَنَّني أَسْتَطِيعَ

عَ مِنْ الشَّوْقِ وَالْوَجْدِ كُنْتُ الْكِتَابَا

٢- بَحِيْثُ أَبْثُكَ مِنِّي إِلَيْكَ

حَدِيثِي وَأَسْمَعُ مِنْكَ الْجَوَابَا

التخريج: خريدة القصر ١٦٧/٢.

(٥)

وقال يهنئ بمولود: [من السريع]

١- قَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ لَنَا كَوْكَبَا

أَضَاءَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْمَغْرِبَا

٢- قَادِمُ سَعْدٍ يَقْتَضِي سَعْدَهُ

سَعَادَةَ الْوَالِدِ إِذْ أَنْجَبَا

٣- وَالْأَصْلُ إِنْ طَابَ ثَرَى غَرْسِهِ

أَنْبَتَ فَرْعًا مُثْمَرًا طَيِّبَا

٤- مَوْهَبَةٌ خَصَّ بِهَا اللَّهُ مَنْ

أَصْبَحَ لِلنَّعْمَةِ مُسْتَوْجِبَا

٥- فَدُمُ قَرِيرِ الْعَيْنِ حَتَّى تَرَى

خَلْفَكَ مِنْ إِخْوَتِهِ مَوْكِبَا

التخريج: خريدة القصر ١٦٧/٢، والطالع

السعيد ٣٧٣.

(٦)

وقال: [من الوافر]

١- أَلَا مَنْ مَبْلُغُ سَعْدِي بِأَنِّي

ظَمِئْتُ إِلَى مَرَاشِفِهَا الْعَذَابِ

٢- فَإِنِّي وَالْمَهِيْمِنِ مُنْذُ بَانَتْ

رَأَيْتُ الشَّوْقَ مِنَ أَلَمِ الْعَذَابِ

الرواية: ورد البيت الثاني في الطالع السعيد

برواية:

وَأَنِّي وَالْمَهِيْمِنِ مُذْ تَنَاءَتْ

مِنْ الشَّوْقِ الْمَبْرَحِ فِي عَذَابِ

التخريج: خريدة القصر ١٦٦/٢، والطالع

السعيد ٣٧٢.

(٧)

وقال من قصيدة في "عز الدين مُوسَى

النصري": [من الطويل]

١- بَلَغْتَ بِسَعْدِ الْجَدِّ أَسْنَى الْمَرَاتِبِ

فَنَاجِ إِذَا مَا شَتَّتْ زُهْرَ الْكَوَاكِبِ

٢- نَزَعْتَ إِلَى جَرِثُومَةٍ مِنْ خُثُولَةٍ

نَمَتْكَ وَأَعْمَامِ كِرَامِ الْمَنَاصِبِ

٣- إِذَا وَعَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ أَوْعَدُوا عَفُوا

وَإِنْ سُئِلُوا أَعْطُوا جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ

٤- يُبِيحُونَ فِي سُبُلِ الْمَكَارِمِ مَا غَدَتْ

تُبِيحُهُمْ فِي الرُّوعِ بِيضُ الْقَضَائِبِ

٥- فَأَرَاؤُهُمْ تَكْفِي النَّصَالِ نَصَالَهُمْ

كَمَا كُتِبَهُمْ تُغْنِي غَنَاءَ الْكِتَائِبِ

٦- لَنْ سَبَقُوا وَاسْتَأْثَرُوا بِفَضَائِلِ

وَقَتِّ مَجْدِهِمْ فِيمَا مَضَى عَيْبَ عَائِبِ

٧- فَإِنَّكَ قَدْ شَيَّدْتَ بَنِيَانِ مَجْدِهِمْ

وَبَرَزْتَ عَنْ غَايَاتِهِمْ فِي الْمَنَاقِبِ

٨- أَقُولُ لِمَمْنُو بَرِيْبِ زَمَانِهِ

وَمَنْ ظَلَّ مَعْضُوضًا بِنَابِ النَّوَائِبِ



٩- ومن أَخَذَتْ مِنْهُ التَّنَائُفُ وَالسُّرَى

فليس تراه غيرَ أَغْبَرَ شاحِبٍ

١٠- عَلَيْكَ بَعْزُ الدِّينِ فَاسْتَنْزِرْ ظِلَّهُ

وَلِئْذْ بَعْزِيزُ الْجَارِ رَحْبُ الْجَوَانِبِ

١١- إِذَا ظَلَمْتُمْ سُمْرَ الرِّمَاحِ بِكِفِّهِ

سَقَاهَا فَرَوَاهَا دِمَاءُ التَّرَائِبِ

ومنها:

١٢- بِأَفْعَالِكَ الْحُسْنَى بَلَغْتَ إِلَى الْعُلَا

وَأَصْبَحْتَ فَرْدًا فِي اجْتِنَابِ الْمَعَايِبِ

١٣- فَهَا أَنْتَ مَرْضِيُّ الشَّمَائِلِ مَا جِدُّ

كَرِيمُ السَّجَايَا طَيِّبٌ مِنْ أَطَايِبِ

١٤- قَصْدُنَاكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ لِنَكْبَةِ

عَرَّتْ أَقْصَدْتَنَا بِالسَّهَامِ الصَّوَائِبِ

١٥- وَقَدْ وَثِقْتَ آمَالَنَا أَنْ قَصْدَنَا

جَنَابَكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى غَيْرُ خَائِبِ

١٦- وَقَدْ عَلِقْتَ أَيْمَانَنَا مِنْكَ ذِمَّةً

وَقَتْنَا مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ الْمُغَالِبِ

١٧- وَإِنْ لَمْ تَسْعَنَا مِنْكَ عَطْفَةٌ رَاحِمٍ

وَالَا فَقَدْ ضَاقَتْ فِجَاجُ الْمَذَاهِبِ

ومنها:

١٨- وَدُونَكَ مَعْرُوفًا يُفِيدُكَ عَاجِلًا

ثَنَاءً وَيَبْقَى أَجْرُهُ فِي الْعَوَاقِبِ

الرواية: (٥) ورد البيت الخامس في الطالع

السعيد برواية: "تَكْفِي النَّضَالِ".

الشرح: المَمْنُونُ: المبتلى بالمصائب والكوارث.

ينظر أساس البلاغة ٢/٢٣١، والتَّنَائُفُ: جمع

تنوفاً، وهي المفاضة. هامش خريدة القصر.

وعرت: أي اعترضت . وأقصدت: أي كسرتنا.

ينظر: لسان العرب ٣٦٤٣.

• عز الدين مُوسَى النصري: كان والياً على قوص

وأسوان. ينظر في أمره كتاب: خريدة القصر

(قسم شعراء مصر) ١٦٧/٢.

التخريج: خريدة القصر ١٦٧/٢ - ١٦٨ ما

عدا الأبيات: (٢، ٣، ٦، ٧)، وهذه الأبيات ومعها

البيتان: ١، ٥ له في الطالع السعيد ٣٨١.

(٨)

وقال من قطعة في مرض ممدوح: [من المنسرح]

١- قَدْ قَلْتُ لَيْتَ الشُّكَاةَ قَدْ نَزَلَتْ

بِمُهْجَتِي لَا بِأَوْحَدِ الْعَرَبِ

٢- لَيْسَتْ بِحُمَى وَإِنَّمَا اشْتَعَلَتْ

نِيرَانُ فَرَطِ الذِّكَاةِ بِاللَّهَبِ

٣- قَدْ خَلَصَ الْجِسْمُ مِنْ أَذَاهُ كَمَا

تَنْقَى بِسَبْكٍ خُلَاصَةُ الذَّهَبِ

التخريج: خريدة القصر ١٦٨/٢.

(٩)

وقال من قصيدة في الأمير "مبارك بن منقذ":

[من الطويل]

١- هُمْ حَمَلُوا ثِقَلَ الْمَغَارِمِ مَا لَهُمْ

وَحَلَّوْهُ وَقَفًا بَيْنَهُمْ لِلْمَنَاهِبِ

٢- صَفَائِحُ فِي أَيْدِيهِمْ أَوْ صَحَائِفُ

فَهُمْ بَيْنَ كُتُبٍ تُفْتَنَى أَوْ كَتَائِبِ

٣- هَوَاهِمُ عَلَى أَنْ الْمَارَبِ جَمَّةٌ

صَرِيرُ يَرَاعِ أَوْ صَلِيلُ قَوَاضِبِ

شعر  
علي بن عرام  
الأسواني  
(ت ٥٨٠ هـ)  
(صنعة)  
(وتقديم)

٤- وجادوا بفضلِ باهرٍ وفضائلِ

عطاءَيْنِ منِ عِلْمٍ وفَيْضِ مَوَاهِبِ

ومنها:

٥- مدحتك فاسمع من مديحي قهوة

تلذُّ لذي سمعٍ ونَشْوَانٍ شاربِ

٦- عليَّ امتداحي للكرامِ مناصبًا

فذلك أحلى من غناء الجنائب

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الطالع السعيد برواية: "صحائف... أم صفائح".

(٥) وورد البيت الخامس فيه برواية: "باهر وفواضل".

(٥) وورد البيت الخامس فيه برواية: "فديتك فاشرب من مديحي".

الشرح: الصرير: صوت القلم. فقه اللغة وأسرار العربية ص ٢٤٧، واليراع: القلم. تاج العروس ٢٢/٤٢٨، صليل القواضب: أي أصوات السيوف، غناء الجنائب: أي الثروة من الأنعام ف"الجنيبة: الدابة تُقَادُ. وكلُّ طَائِعٍ مُنْقَادٍ: جَنِيبٌ. ومن المجاز: اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا جَنِيبَةَ لَهُ. أَي لَا عَدِيلَ، كَذَا فِي الْأَسَاسِ وَيُقَالُ: فَلَانٌ تُقَادُ الْجَنَائِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَرْكَبُ نَجِيبَةً وَيَقُودُ جَنِيبَةً". تاج العروس ٢/١٨٦.

• مجد الدين، أبو الميمون، سيف الدولة، المبارك بن كامل بن منقذ، ولد بقلعة شيزر عام (٥٢٦هـ)، وتوفي عام (٥٨٩ هـ)، صاحب الآراء الحصيفة، والهمة العالية، والعقل الرشيد، من بيت فضل وكرم، أحد أمراء الدولة الصلاحية، ولي بمصر أمر الدواوين، ورتبه صلاح الدين نائب توران شاه لما توجه إلى اليمن

في زبيد. ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات ٨٨/٢٥ - ٨٩، وما بهامشه من مصادر.

التخريج: خريدة القصر ٢/١٦٨ - ١٦٩، والطلع السعيد ٣٧٣ ماعدا الثاني، وبتقديم البيت الأول في بداية الأبيات.

(١٠)

وقال من قصيدة في الملك المعظم سلطان اليمن "شمس الدولة توران شاه بن أيوب"، وكانت بلاد الصعيد له من أخيه قبل اليمن، يصف فيها دمشق فإن الممدوح كان يعجبه ذلك: [من الطويل]

١- أُرْقَتْ لِبَرْقٍ فِي الدُّجْنَةِ مَشْبُوبِ

وَدَمَعِ سَحَابٍ نَاشِئٍ مِنْهُ مَسْكُوبِ

٢- فَمِنْ قَلْبٍ صَبَّ لَفْحُهُ وَخَفُوقُهُ

كَمَا غَيْثُهُ مِنْ مَدَمَعٍ مِنْهُ مَصْبُوبِ

٣- وَلَمْ أَرْ نَارًا مِنْ مِيَاهٍ وَقُودُهَا

أَلَا إِنَّ هَذَا مِنْ فُنُونِ الْأَعَاجِيبِ

٤- وَبِي جَنَّةٍ مِنْ ذَكَرِ جَنَاتِ جِلْقِ

وَحَنَّةٍ مُشْتَاقٍ وَأَنَّةٍ مَكْرُوبِ

٥- وَفِي شَرَفِ الْوَادِي وَفِي النِّيرِ اغْتَدَتْ

مَارَبٌ لِلْغُرِّ الْكَرَامِ الْأَعَارِيبِ

٦- فَيَا بَرْدَى هَلْ جُرْعَةٌ مِنْكَ عَذْبَةٌ

لِتَبْرِيدِ حَرِّ فِي الْجَوَانِحِ مَشْبُوبِ

٧- وَيَا نَهْرَ ثَوْرًا قَدْ أَثَرَتْ صَبَابَةٌ

لِقَلْبٍ شَجٍّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ مَنْدُوبِ

٨- وَهَلْ لِسِرَاةِ النَّاسِ عِلْمٌ بَأَنَّنِي

ظَمِنْتُ إِلَى مَاءِ بَبَانَسَ مَشْرُوبِ

٩- وَهَا أَنَا مُسْتَسْقٍ لِمَرْةٍ مُزْنَةٍ

كَفَتْهَا عُيُونٌ مَدُّهَا مِنْ أَهَاضِيبِ

١٠- ويا ذا الجلالِ احرس حَرَسَتَا فحُسْنُهَا

شِفاءٌ لمهمومٍ وداءٌ لمطبوبٍ

١١- ودومةٌ دامَ العيشُ حلواً بربعها

وواهاله لوأنه غيرُ مسلوبٍ

١٢- وفي برزةٍ مكحولةٍ الطرفِ برزةٌ

تُصَبِّرُنِي للوجدِ منها وتُغْرِى بِي

١٣- ويا حسنَ ولدانٍ تَرَامُوا بطابةٍ

فمن غالبٍ عند النضالِ ومَغْلُوبٍ

١٤- وَدِدْتُ حُلُولِي فِي رِياضِكَ حَلَةً

وهيهاتَ أَيْنَ الشَّامُ مِنْ بِلَدِ النُّوبِ

١٥- بِنَفْسِي مِنْ تَجَنِّي وَأَحْمِلُ عَتَبَهَا

وَيَعْدُبُ عَيْشِي فِي هَوَاهَا بِتَعْدِيْبِي

١٦- كُظْبِي يَصِيدُ اللَّيْثَ قَمْرًا فَيَغْتَدِي

مِنْ الرُّعْبِ مَأْسُورًا بِفَتَكَةِ رَعْبُوبِ

١٧- لئن قَصَّرْتُ بِالْقَصْرِ عَمَّا أَلْفَتْهُ

وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا قَبْلَهَا غَيْرَ مُحْجُوبِ

١٨- فَقَدْ جَسَرْتُ بِالْجَسْرِ وَهِيَ جَبَانَةٌ

وَزَارَتْ بَلِيلَ أَسْوَدِ اللَّوْنِ غَرْبِيبِ

١٩- نَعِمْتُ بِهَا فِي جَنَّةٍ عُجِّلَتْ لَنَا

بِجِلْقٍ إِذْ لَهْوِي بِهَا غَيْرُ مَقْضُوبِ

٢٠- مِغَانِ غَوَانٍ مِنْ عَيُونٍ بِسَفْحِهَا

وَقِيْعَانِهَا عَنْ سَاجِمِ الْغَيْثِ شُؤْبُوبِ

٢١- بِنَفْسِجْهَا غَضٌ يَخَالِطُ زُرْقَةً

كَأَنَارِ عِضٍ قَدْ عَلَا خَدَّ مُحْبُوبِ

٢٢- وَنَرَجِسُهَا الْمَبْثُوثُ فِيهَا كَأَعْيُنِ

بَدَتْ فَاتِرَاتٍ مِنْ خِصَاصَةِ تَنْقِيبِ

٢٣- وَقَدْ غَرَّدَتْ أَطْيَارُهَا فَكَأَنَّهَا

قِيَانٌ يُرْجَعْنَ اللَّحُونَ بِتَطْرِيبِ

٢٤- رِيَاضُ نَضِيرَاتٍ تَرْفُ كَأَنَّهَا

سَقَاهَا فَرَوَاهَا بَنَانُ ابْنِ أَيُّوبِ

ومنها يصف وصولهم إلى مصر حين نزل

الفرنج عليها:

٢٥- وَلَمَّا دُعُوا مِنْ مِصْرَ لَبُّوا دُعَاءَنَا

عَلَى كُلِّ نَهْدٍ لَيْنِ الْعُنُقِ يَعْجُوبِ

٢٦- فَأَرَدَى كِمَاةَ الرُّومِ شِدَّةً بِطُشْهِمِ

فهم بين مطلولِ الدماءِ ومطلوبِ

٢٧- فَلَسْتُ تَرَى فِي عَصْبَةِ الشَّرِكِ حَامِلًا

صَلِيبًا وَلَا عَلَجًا لَهُمْ غَيْرَ مَصْلُوبِ

٢٨- وَحَسْبُهُمْ ذَاكَ الطَّعَانُ الَّذِي غَدَتْ

بِهِمْ قِصْدًا فِيهِمْ صَدُورُ الْأَنْبَابِ

٢٩- وَظَلَّ عَمِيدُ الرُّومِ مِنْ حَذَرِ الرَّدَى

يَوْمَ طَرِيقًا بَيْنَهُمْ غَيْرَ مَلْحُوبِ

٣٠- وَنَكَبَ عَنْ مِصْرٍ وَوَلَّى بِمَنْكَبِ

جَرِيحٍ بِأَنْيَابِ النُّوَابِ مَنُكُوبِ

٣١- وَقَدْ كَادَ دَيْنُ اللَّهِ يَخْفُتُ نُورُهُ

وَيُرْمَى بِتَبْدِيلِ وَشِيكَ وَتَقْلِيبِ

٣٢- فَحَصَنْتُمُوهُ بِالْأَسِنَّةِ وَالظُّبَا

وَتَصْعِيدِ آرَاءِ كَفْتِهِ وَتَصْوِيبِ

٣٣- فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا مَحَارِيبَ فِي وَغَى

حَمَومًا بِيضَةَ الْإِسْلَامِ أَوْفَى مَحَارِيبِ

ومنها:

٣٤- وَمَا الْمُلْكُ إِلَّا لَائِقُ بِأَخِيكُمْ

وَعَارِبُهُ إِلَّا لَهُ غَيْرُ مَرْكُوبِ

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم



٣٥- أنتم نجومٌ وهو كالشمسِ صَوُّوها

مَلِيٍّ بِتَشْرِيقٍ يَعُمُّ وتغريبٍ

٣٦- أَيُوسَفَ مَصْرٍ إِنَّمَا أَنْتَ يُوْسُفُ

فَأَنْتَ ابْنُ أَيُّوبَ وَذَاكَ ابْنُ يَعْقُوبَ

٣٧- وَمَا بَرِحَتْ مَصْرٌ قَدِيمًا حُمَاتُهَا

بَبْعَثٍ مِنَ الْقُطْرِ الشَّامِيِّ مَجْلُوبٍ

الشرح: "الدُّجْنَةُ: الظُّلْمَةُ". تاج العروس

٥٠٧/٢٤، مشبوب: أي متقد. ينظر تاج العروس

٩٨/٢، و"بَرَدَى": أعظم أنهر دمشق" ٣٧٨/١،

والنيرب: "قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ

في وسط البساتين أنزه موضع... يقال فيه مصلى

الخضر عليه السلام". معجم البلدان ٣٣٠/٥،

و"ثورا بالفتح والقصر اسم نهر عظيم بدمشق...

جاء في شعر بعضهم ثورة بالهاء وهو ضرورة".

معجم البلدان ٨٦/٢، و"باناس: من أنهار دمشق".

معجم البلدان ٣٣٠/١، و"حرسنا بالتحريك وسكون

السين وتاء فوقها نقطتان قرية كبيرة عامرة وسط

بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق

أكثر من فرسخ" معجم البلدان ٢٤١/٢، وأهاضيب:

جمع هضاب. ينظر تاج العروس ٣٩٥/٤. و"دومة

بالضم من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل

". معجم البلدان ٤٨٦/٢، "العلاج: الرجل من كُفَّارِ

العجم، والقوي الضخم منهم. ج. عُلُوجٌ وأَعْلَاجٌ".

تاج العروس ١٠٨/٦، الأنابيب: جمع أنبوب، وهو

كعب الرمح. ينظر تاج العروس ٢٣٤/٤، و"برزة

بتاء التأنيث قرية من غوطة دمشق" ٣٨٢/١، و"

الرُعْبُوبُ بِالضَّمِّ: الضَّعِيفُ الْجَبَانُ". تاج العروس

٥٠٧/٢. والغريب: الأسود". العين ٤١٢/٤،

و"جَلَّقَ موضع بقرية من قرى دمشق" معجم

البلدان ١٥٤/٢، وألف في محاسنها محمد بن

مصطفى بن خُداوِيرْدِي (ق ١٢هـ) كتابًا اسمه:

البرق المتألق في محاسن جلق"، طبع في مجمع

اللغة العربية بدمشق بتحقيق محمَّد أديب الجادر،

٢٠٠٦م، و"المزة: بالكسر ثم التشديد أظنه عجميا

فإني لم أعرف له في العربية مع كسر الميم معنى

وهي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق

بينها وبين دمشق نصف فرسخ، وبها فيما يقال

قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - ويقال لها مزة كلب" معجم البلدان

١٢٢/٥، و"الشُّؤْبُوبُ بالضم لما تقرر أنه ليس

في كلامهم فعلول بالفتح: الدفعة من المطر وغيره

". تاج العروس ٩١/٣، و"النَّهْدُ من الخيل: الجسيمُ

المُشْرِف". العين ٢٨/٤، و"اليَعْبُوبُ: كَيَعْمُورُ:

الْفَرَسُ السَّرِيعُ فِي جَرْيِهِ وَقِيلَ: هُوَ الطَّوِيلُ، أَوْ

الْجَوَادُ السَّهْلُ فِي عَدْوِهِ، أَوْ الْجَوَادُ الْبَعِيدُ الْقَدْرُ، أَوْ

الشَّدِيدُ الْكَثِيرُ فِي الْجَرْيِ وَهَذَا الْأَخِيرُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ

مَأْخُودٌ مِنْ عُبَابِ الْمَاءِ. تاج العروس ٣٠١/٣ - ٣٠٢

، والطُّبَا: "الطُّبَّةُ، كُتْبَةٌ: حَدُّ سَيْفٍ أَوْ سِنَانٍ أَوْ نَحْوِهِ

كَالنَّصْلِ وَالْخَنْجَرِ وَشَبْهَهُ... وَطُّبَا، كَهْدَى؛ نَقْلُهُ ابْنُ

سَيْدِهِ". تاج العروس ٥٢١/٣٨، وبيضة الإسلام:

وَبَيْضَةُ الْإِسْلَامِ: جَمَاعَاتُهُمْ". العين ٦٩/٧، و"

غَارِبَ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ". تاج العروس ٤٧٩/٣.

• شمس الدولة توران شاه بن أيوب: سلطان اليمن،

أخو الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكانت

بلاد الصعيد له من أخيه قبل اليمن. تنظر

ترجمته في خريدة القصر ١٦٩/٢، والوافي

بالوفيات ٤٤١/١١، وما بهامشه من مصادر.

التخريج: خريدة القصر ١٦٩ / ١٧١ -

(١١)

وقال: [من الطويل]

١- أَغْرَكَ مِنْ قَلْبِي انْعِطَافُ وَرَقَةٍ

عَلَيْكَ وَأَنْ تَجْنِي فَلَا أَتَجَنَّبُ

٢- فلا تَأْمَنِي حُلْمِي عَلَى كُلِّ هَفْوَةٍ

وَلَا تَحْسَبِي أَنْ لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ

٣- وكيف وعندي فَضْلَةٌ مِنْ جِلَادَةٍ

تُعَلِّمُ أَصْلَادَ الصَّفَا كَيْفَ تَصْلُبُ

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الوافي بالوفيات برواية: "حملي على".

الشرح: "الصفا العريض من الحجارة الأملس".

تاج العروس ٤٢٩/٣٨.

التخريج: خريدة القصر ١٦٧/٢، والطالع

السعيد ٣٧٢، والوافي بالوفيات ٣٦٦/٢٠.

(١٢)

وقال: [من الوافر]

١- لَقَدْ نَقَصْتُ قُورَيَّ وَزَادَ ضَعْفِي

وَشَبْتُ وَشَبَّ لِي أَمَلٌ كَذُوبٌ

٢- وَإِنْ حَصَادَنَا بِالْمَوْتِ دَانٍ

مَدَاهِ إِذَا ذَوَى الْغُصْنُ الرُّطِيبُ

٣- فَبِنَ عَنْ مَعْشَرٍ نَهَدُوا أَبَدًا

... مَشْهَدًا لَهُمْ مَغِيبٌ

٤- فَلَوْ صَدَقُوا الْهَوَى ذَرَفَتْ عَيُونٌ

لِخَشْيَةِ رَبِّهِمْ وَصَفَتْ قُلُوبٌ

٥- أَلَا إِنَّ الَّذِي مَوْلَاهُ يَعْصِي

يَكُونُ أَمَامَهُ يَوْمَ عَصِيبٍ

٦- عَجِبْتُ لِمَوْقِنٍ بِالْمَوْتِ أُنَى

تَلَدُّ لَهُ حَيَاةٌ أَوْ تَطِيبُ

٧- فَزَكَّ النَّفْسَ مِنْ دَنَسِ الْخَطَايَا

وَتَبَّ إِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ الْعُيُوبُ

التخريج: مخطوط عيون الأخبار ص ٢٥١ -

٢٥٢، مكان النقاط كلمة مطموسة.

[قافية التاء]

(١٣)

وقال في الهجاء: [من مجزوء

الرجز]

١- شَاعَرْنَا ذُو لَحِيَةٍ

قَدْ عَرُضَتْ وَانْفَسَحَتْ

٢- لَحِيَةٌ تَيْسٍ صَلَحَتْ

... قَدْ سَلَحَتْ

التخريج: خريدة القصر ١٧٢/٢، والطالع

السعيد ٣٨٠، والوافي بالوفيات ٣٦٧/٢٠، ومكان

النقاط كلمة محذوفة لدالتها المكشوفة.

(١٤)

وقال: [من المتقارب]

١- إِذَا سَاءَ خُلُقُ كَرِيمِ الرِّجَالِ

لَضَيْقٍ مِنَ الْحَالِ أَوْ نَكْبَةٍ

٢- فَإِنِّي مَلِيٌّ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ

يُحَسِّنُ فِي عُسْرَتِي عِشْرَتِي

التخريج: خريدة القصر ١٧١/٢ - ١٧٢.

(١٥)

وقال: [من الخفيف]

١- أَطْعِ اللَّهَ مَخْلَصًا وَاعْصِ دُنْيَا

كَ لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الشَّهَوَاتِ

٢- وَإِذَا مَا الزَّمَانُ سَرَّ وَوَاتَى

فَاذْكُرِ الْمَوْتَ هَازِمَ اللَّذَاتِ

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم

٣- كُلُّ نُعْمَى تُفْضِي إِلَى الْبُؤْسِ فِيهِ

كُلُّ جَمْعٍ مُعَرَّضٌ لِلشَّتَاتِ

٤- أَكْثَرُ الْعُمْرِ قَدْ مَضَى فَتَزَوَّدْ

بِالتُّقَى لِلرَّحِيلِ قَبْلَ الْمَمَاتِ

٥- وَعَلَى السَّيِّئَاتِ تَقَدَّمْ إِنْ قَدْ د

مَتَهَا فِي غَدٍّ أَوْ الْحَسَنَاتِ

التخريج: مخطوط عيون الأخبار ص ٢٥٢.

(١٦)

وقال:

[من الخفيف]

١- امشِ رَهْوَاً فَإِنَّمَا أَنْتَ فَوْقَ الْـ

أَرْضِ أَرْضٍ لَكِنَّمَا الْآنَ تَحْتَ

٢- كُلُّ ثَاوٍ ثَاوٍ بِبَاطِنٍ لَحْدٍ

تَحْتَوِيهِ مِنْهُ الْجِهَاتُ السَّتْ

٣- وَالصَّحِيحُ الَّذِي أَبْثُكَ أَنْ الْـ

أَرْضَ بِالنَّاسِ لَا مَحَالَةَ تَخْتُ

٤- آدَمَ مِنْ أَدِيمِهَا....

فَبَنُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ نَبْتُ

الشرح: رهوا: أي ساكناً، وفي القرآن الكريم:

"وَاتَّكَرَّ الْبَحْرَ رَهْوَاً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَقُونَ". سورة

الدخان، الآية رقم (٢٤)، والتخت: الوعاء الذي

تصان فيه الثياب. ينظر: تاج العروس ٤/٤٦٨.

وذكره الشاعر هنا على سبيل التشبيه، للدلالة على

ضعف الإنسان، واتساع الأرض، وضمها إياه.

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٢، ومكان النقاط

كلمة لم تتوجه لي قراءتها.

(١٧)

وقال:

[من مجزوء الكامل]

١- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي

أَلْقَى لِبُعْدِكَ مَا لَقِيتُ

٢- لِأَقَمْتُ عِنْدَكَ مَا بَقِيَ

سِتِ عَلَى الْحَيَاةِ وَمَا بَقِيتُ

التخريج: خريدة القصر ٢/١٧١.

[قافية الثاء]

(١٨)

وقال:

[من الخفيف]

١- قَدْ طَوَى بَعْدَ أَرْضِكُمْ سَوْقَ شَوْقٍ

ظَلَّ لِلْقَلْبِ مُزْعِجًا مُسْتَحِثًّا

٢- وَرَمَى بِي فَجَاجَ كُلِّ فَلَاةٍ

جُبْتُ حَزْناً مِنْكُمْ إِلَيْهِ وَوَعَثَا

الشرح: سوق شوق: أي حثه. ينظر تاج العروس

٢٥/٤٧٤، و"الْحَزَنُ، بِالْفَتْحِ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ".

تاج العروس ٣٤/٤١٤، و"الْوَعَثُ: الْمَكَانُ السَّهْلُ

الكَثِيرُ الدَّهْسُ تَغَيَّبَ فِيهِ الْأَقْدَامُ". تاج العروس

٥/٣٨٤.

التخريج: خريدة القصر ٢/١٧٢.

(١٩)

وقال:

[من البسيط]

١- طَلَّاعُ الشَّيْبِ قَدْ وَافَتْكَ وَانْتَقَضَتْ

عُرَى انْتِعَاشِكَ لِلضَّعْفِ الَّذِي حَدَّثَا

٢- رَدَّ الْوَدِيعَ لِمَنْ يَحْظَى مَثُوبَتُهُ

مِنْهُ فَعَمَّا قَلِيلٍ تَسْكُنُ الْجَدَثَا



٣- تَرْجُو وَأَنْتَ رُفَاتٌ نَيْلٌ مَغْفِرَةٌ

ولم تدع في الحياة الفسق والرُفثا

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٢.

### [قافية الجيم]

(٢٠)

وقال في قصيدة يرثي بها بعض العلويين:

[من الخفيف]

١- مَوْرِدُ الْمَوْتِ وَاضِحُ الْمَنْهَاجِ

ليس حيٍّ من الحِمَامِ بِنَاجِ

٢- وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ ثَاوٍ بِقَفْرِ

أَوْ بِقَصْرِ مُشَيَّدِ الْأَبْرَاجِ

ومنها:

٣- إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ

كسرابٍ بدا لنا في فِجَاجِ

٤- تُتْبَعُ الْحَلَوُ مِنْ جَنَى عَيْشِهَا الْحُدَى

وَبِمُرٍّ مِنَ الرِّزَايَا أَجَاجِ

٥- نَحْنُ فِيهَا كَمَثَلِ رَكَبٍ أَنَاخُوا

سَاعَةً ثُمَّ أَرْهَقُوا بِانْزَعَاكِ

الشرح: الفجاج: الطرق. ينظر تاج العروس

١٣٧/٦.

التخريج: خريدة القصر ١٧٢/٢.

(٢١)

وقال يعتذر من الهجا [من السريع]

١- أُحْوجْتُ فِي رَقَمٍ أَهَاجِيهِمْ

وَاللَّوْمُ مَصْرُوفٌ لِمَنْ هَاجَهَا

٢- لَوْ لَمْ يَكُنْ تَقْبِيحُهُمْ زَائِدًا

لَكُنْتُ قَدْ عَفَيْتُ مِنْهَا جَاحَهَا

التخريج: خريدة القصر ١٧٢/٢.

### [قافية الحاء]

(٢٢)

وقال من قصيدة في مدح الملك العادل " سيف

الدين أبي بكر بن أيوب " أخي الملك الناصر يصف

عصيان المعروف " بالكنز " : [من السريع]

١- فَأَيْنَ يَنْجُو هَائِبٌ هَارِبٌ

من نكبة شنعاء ذات اجتياح

٢- أُنَى وَظَهَرَ الْأَرْضِ مَعَ بَطْنِهَا

لنَاصِرِ الْإِسْلَامِ فِي بَطْنِ رَاحِ

الشرح: بطن راح: أي باطن كف اليد.

• الملك العادل هو محمد بن أيوب بن شادي، أبو

بكر سيف الإسلام، أخو الملك الناصر صلاح

الدين الأيوبي، ولد في دمشق أو في بعلبك

عام ٥٣٨ هـ، أو عام ٥٤٠ هـ، وتوفي عام ٦١٥ هـ،

أحد سلاطين الدولة الأيوبية، تولى السلطنة

بمصر، وحلب، والكرك، وأرمينية، واليمن.

تنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٤٧/٦، وما

به من مصادر.

• الكنز هو كنز الدولة بن متوج، كان مقيمًا

في أسوان، وهو خارجي، تمرد على الدولة

الصلاحية ونبذ الطاعة هناك، والتف حوله

خلق عظيم من السودان والعبيد وغيرهم،

وعاث في البلاد فسادًا، فجهز الملك العادل

جيشًا جرارًا، وقمع تمرده، وقتله عام (٥٩٠ هـ).

ينظر في أمره: كتاب جمهرة الإسلام ذات

النثر والنظام ١٩٩ - ٢٠٠. والقصيدة رقم

(٥٩) التي صرح العماد الأصفهاني بأن " ابن

عَرام " قالها فيه لا تشتمل لا على مديح، ولا

شعر

علي بن عَرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة

وتقديم)

على هجاء، وتشتمل على أبيات كثيرة في الغزل مما يرجح أنها في المديح، وربما يكون هذا المديح -إن صح الحدس- ثم تأليف ابن عَرَّام "كتاب تاريخ بني الكنز" من الأسباب التي جرَّت عليه بعض المنغصات في "أسوان" بعدما قضى الملك العادل الأيوبي على فتنة "كنز الدولة بنمتوج"، مما اضطر "ابن عَرَّام" إلى الفرار من "أسوان"، ومدح بعض أمراء الدولة الأيوبيَّة

التخريج: خريدة القصر ١٧٢/٢.

(٢٣)

وقال:

[من المجتث]

١- إني وإن كنتُ أمْضِي

من الظُّبَا والرمَّاحِ

٢- فالحبُّ أنْفَذُ مَنِي

يا صاحِ في الأرواحِ

التخريج: خريدة القصر ١٧٢/٢، وذيل خريدة

القصر ص ١٤١.

(٢٤)

وقال في رَجُل اسمه "أبو صالح" كان قد حكى

حكاية ثم دخل لينام فمات دون علة: [من السريع]

١- يا ذاهلاً عن عملِ صالحِ

انظرْ إلى مَوْتِ أبي صالحِ

٢- في حينه عَاجَلَهُ حَيْنُهُ

بغيرِ سَقَمٍ بَيْنِ لائِحِ

٣- يا قُربَ ما بين أحاديثه

وبين صوتِ النَّادِبِ النَّائِحِ

٤- ما أغفلَ الإنسانُ عن رَحْلَةٍ

تذهبُ بالغَادي وبالأرائِحِ

٥- تُودِّعُنَا مِن بَعْدِ توديعنا

في جَدَثِ داني المَدَى نازِحِ

٦- هُناكَ ما يتبع مَيِّتاً سَوَى

تَقْدِيمِهِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ

٧- والعمرُ قَدْ وَلَّى فَزِنْ بالتَّقْيِ

واقبلْ مَقَالَ المَشْفِقِ النَّاصِحِ

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٦.

(٢٥)

وقال:

[من الكامل]

١- وافى بياضَ الرأسِ بعدَ سَوَادِهِ

ينهاكَ عَن غِيِّ الشَّبَابِ الفَاضِحِ

٢- قَدْ يُعْذِرُ السَّارِي إِذَا مَا ضَلَّ فِي

ليلٍ وَيُعْذِلُ فِي الصَّبَاحِ الوَاضِحِ

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٣.

(٢٦)

وقال من قصيدة أولها:

[من الكامل]

١- الوَجْدُ لِلدَّنْفِ المُعْنَى فاضِحُ

ودليلُهُ بادٍ عليه ووَاضِحُ

٢- كيفَ السَّبِيلُ لَهُ إِلى كِتْمَانِهِ

والدمْعُ والسَّقَمُ المُبَرِّحُ بارِحُ

٣- إِنْ يُمَسِّ قَلْبِي وَهُوَ صَبُّ نازِحُ

فلأَنْ مِنْ يَهْوَاهُ عَنْهُ نازِحُ

٤- فجوارحي وَجْداً عليه جَرِيحَةٌ

وجوانحي شَوْقاً إِلَيْهِ جَوَانِحُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الطالع السعيد برواية: "عليه ولائح".

(٢) وورد البيت الثاني فيه برواية: "المبرح بائح".

(٣) وورد البيت الثالث فيه برواية: "أهواه عني".

الشرح: لعل كلمة نازح في صدر البيت بمعنى عامر بالحب، ففي تاج العروس ١٧١/٧: "وماء لا يَنْزَحُ ولا يَنْزَحُ: أي لا يَنْفَدُ"، ومعنى نازح في عجز البيت: بعيد. ينظر العين ١٦٢/٣.

التخريج: خريدة القصر ١٧٣/٢، والطالع السعيد ٢٧٤، والوافي بالوفيات ٣٦٦/٢٠ - ٣٦٧.

### [قافية الدال]

(٢٧)

وقال ضمن كتاب: [من الطويل]

١- وماذا عليه لو أجاب بلفظة

ولم يُلْهِهِ عن ذاك سَعْدٌ ولا سُعْدَى

٢- غرامٌ له ما بين بطنٍ لهذه

وظهر لذا أنسى الصداقة والودا

التخريج: خريدة القصر ١٧٤/٢ - ١٧٥.

(٢٨)

وقال من قصيدة: [من الكامل]

١- وإذا انتضى سيفاً هناك فنصله

في غمدٍ تَجَّاجٍ من الدم مُزِيدٍ

٢- وكأنما هو مُغَمَّدٌ في هامهم

فلذاك يُلْفَى الدهر غير مُجَرَّدٍ

الشرح: "الغمد: جَفَنُ السَّيْفِ". تاج العروس

٤٦٩/٨، و"تَجَّاجٌ: مَصْبُوبٌ". تاج العروس ٤٤٦/٥، مزبد: أي مائج كالبحر الذي يقذف بالزبد. ينظر تاج العروس ١٢٢/٨.

التخريج: خريدة القصر ١٧٣/٢.

(٢٩)

وقال يرثي "أبا عبد الله الأسواني، محمد بن رائق": [من الخفيف]

١- لهف نفسي على الذي أودى الـ

رَدَى منه بالصديق الودود

٢- أي دين تَضَمَّنَ القبرُ منه

وعفاف وأي رأي سديد

٣- فَقَدَ الشرعُ منه علامة البا

رع أعزَّزَ بذلك المفقود

٤- من يحوِّك القريضَ في سائر الأذ

حاء منه بعبد المجيد المُجِيدِ

٥- شاعر إن أراد نظماً بديعاً

فعبيدٌ له كبعض العبيدِ

٦- وإذا هم بالكتابة والنث

ر فعبد الحميد غير حميد

• أبو عبد الله الأسواني محمد بن رائق، عالم،

وأديب، وشاعر من شعراء القرن السادس

الهجري. الطالع السعيد ٥٢٠.

التخريج: الطالع السعيد ٥٢٠ - ٥٢١، وكذا ورد

البيت الأول. وفي هامش هذا المصدر: "يقصد

بعبيد: عبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي،

ويقصد بعد الحميد: عبد الحميد الكاتب الناصر

المعروف".

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صناعة)

وتقديم



(٣٠)

وقال من قصيدة في "ابن عين الزمان":

[من الطويل]

١- يزيد ضياء الحسن من ألمعية

مصادر ما تأتية قبل الموارد

ومنها:

٢- فإن ينقض عين الزمان فإنه

لإنسان تلك العين عين المشاهد

• ابن عين الزمان: لعله أحد أولي الشاعر

المشهور، ابن منير الطرابلسي، فقد كان

يلقب بعين الزمان، وكان مولد ابن منير عام

(٤٩٣هـ)، وكانت وفاته عام (٥٤٨هـ) بحلب،

التخريج: خريدة القصر ١٧٣/٢.

(٣١)

وقال من قصيدة: [من الطويل]

١- كريمٌ عليمٌ فهو يلقى مديحه

ومادحه في الناس بالنقد والنقد

٢- ترى الخير طبعاً في علاه عزيمة

فهل كان مهدياً لذاك من المهدي

الشرح: بالنقد والنقد: أي بالتقويم والعطاء.

التخريج: خريدة القصر ١٧٣/٢

(٣٢)

وقال:

[من المجتث]

١- خدني - بربك - صلني

تُنشئ بقربك وجدي

٢- عُدني أعذني ناراً

أجمل تأخرت بعدي

٣- دَعني بعشقتك أضني

موتي - وحقك - بُعدي

٤- مَنني ببغداد قلبي

لكن جِسمي بنجد

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٦.

(٣٣)

وله من قصيدة تنشد على المقابر أولها:

[من الخفيف]

١- الردى للأنام بالمرصاد

كل حي منه على ميعاد

٢- كيف يُرجى ثبات أمر زمان

هو جار طبعاً على الأضداد

٣- فإذا سرّ ساء حتماً ويقضي

بوجود إلى بلى ونفاد

ومنها:

٤- نحن في هذه الحياة كسفر

ربما أُعجلوا عن الإزواد

٥- عرّسوا ساعة بها ثم نادى

بالرحيل المجد فيهم مُناد

٦- كم أبٍ وإلهٍ بثكل بنيهِ

كم يتيم فينا من الأولاد

٧- فعلام المشاجرات وفيما

ولماذا تحاسد الحساد ؟

٨- يدعي المرء إرث أرض ودار

سَفهاً غير لائق بالسداد

٩- وهو مَوروثها إذا كان يَبقى

وهي تَبقى على مدى الآباد

١٠- وَقْصَارَاهُ أَنْ يُشَيِّعَ مَحْمُو

(٣٥)

وقال في الحكمة: [من مشطور الرجز]

- ١- مَنْ لَمْ يَمُتْ فِي يَوْمِهِ مَاتَ غَدَهُ
- ٢- لَا بُدَّ مِنْ مَنْهَلِهِ أَنْ يَرُدَّهُ
- ٣- يُفْنِي الزَّمَانَ وَالِدًا وَوَلَدَهُ
- ٤- وَيَهْدِمُ الْمَجْدَ الَّذِي قَدْ شَيَّدَهُ
- ٥- وَيُفْسَخُ الْعَهْدُ إِذَا مَا عَقَدَهُ
- ٦- وَيُعَدِمُ الشَّيْءَ الَّذِي قَدْ أَوْجَدَهُ
- ٧- كَمْ مِنْ حَمِيمٍ عَنْ حَمِيمٍ أَفْرَدَهُ
- ٨- مَنْ تَخَذَ الْعِلْمَ خَدِينًا عَضَّدَهُ
- ٩- وَحَاطَهُ فِي دِينِهِ وَأَيَّدَهُ
- ١٠- فَأَنْسَ بِهِ تَكْفَ شُرُورِ الْحَسَدَةِ
- ١١- فَبِنَ مِنَ النَّاسِ وَكُنَّ عَلَى حَدِّهِ
- ١٢- وَدَعَّ لَهُمْ دَنِيَاهُمْ الْمُسْتَعْبِدَةَ
- ١٣- فَهِيَ لِدَيْنِ الْمَرْءِ حَقًّا مُفْسِدَةً
- ١٤- حَاجِزَةً عَنِ الرَّشَادِ مُبْعِدَةً
- ١٥- مُتَعَبَةً لَطَالِبِهَا مُجْهِدَةً
- ١٦- تَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ الْمُؤَيَّدَةَ
- ١٧- عَلَيْكَ نَهْجَ الْحَقِّ فَاسْلُكْ جَدَّهُ
- ١٨- فَمَنْ هَدَاهُ رَبُّهُ وَأَرْشَدَهُ
- ١٩- بَصَّرَهُ بِسَمْتِهِ وَسَدَّدَهُ
- ٢٠- وَصَدَّهُ عَنْ غِيَّهِ وَأَبْعَدَهُ
- ٢١- أَفْلَحَ مَنْ آثَرَهُ وَاعْتَمَدَهُ
- ٢٢- وَلَمْ يَشَبْ بِشُبْهَةِ مُعْتَقَدِهِ
- ٢٣- وَاعْمَلْ لِمَا يَبْقَى بَقَاءَ السَّرْمَدَةِ
- ٢٤- مَا خَيْرَ مَا يُفْنِي الزَّمَانَ أَمَدَهُ
- ٢٥- مَنْ مَلَكَتْ أَحْدَاثُ دَهْرٍ جَلَدَهُ
- ٢٦- وَلَمْ يُوْطِنِ لِلْقَضَاءِ خَلَدَهُ
- ٢٧- فَمَا أَمْرٌ عَيْشُهُ وَأَنْكَدَهُ
- ٢٨- دُونَكَ فَعَلَ الْخَيْرَ فَاسْلُكْ مَقْصِدَهُ
- ٢٩- مَنْ عَرَفَ اللَّهَ يَقِينًا عَبَدَهُ
- ٣٠- مَا خَابَ مَنْ كَانَ الْإِلَهَ سَنَدَهُ

لَا بِأَكْضَانِهِ عَلَى الْأَعْوَادِ

١١- وَإِذَا الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ وَالْأَحْسَدُ

سَابُّ رَاحُوا فَأَنْتَ فِي الْإِثْرِ غَادِ

١٢- فَالْقُبُورُ الْبُيُوتُ مَضْجَعُنَا فِي

هَا وَمَامَ إِنْ سَوَى الثَّرَى مِنْ وَسَادِ

ومنها:

١٣- كَمْ أَحَالَ الْبَلَى إِلَيْهِ قَدِيمًا

جَسَدًا نَاعِمًا مِنَ الْأَجْسَادِ

١٤- شَاهِدُ الْمَوْتِ لَائِحٌ فِي جَبِينِ الْ

حَيِّ مَنَا فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ

الشرح: "الإرؤاد: الإمهال. تاج العروس ١٢٤/٨،  
و" أَعْرَسَ الْقَوْمُ فِي السَّفَرِ: نَزَلُوا فِي آخِرِ اللَّيْلِ  
لِلْإِسْتِرَاحَةِ، ثُمَّ أَنَاخُوا وَنَامُوا نَوْمَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ  
سَارُوا مَعَ انْفِجَارِ الصُّبْحِ سَائِرِينَ ". تاج العروس  
٢٤٨/١٦.

التخريج: خريدة القصر ١٧٤/٢.

(٣٤)

وقال في الهجاء: [من السريع]

١- عَنَاصِرُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَرْبَعِ

وَخَالِدُ عُنْصُرُهُ وَاحِدُ

٢- فَمِنْ كَثِيفِ الْأَرْضِ تَكْوِينُهُ

فَهُوَ ثَقِيلٌ يَابِسٌ بَارِدُ

التخريج: خريدة القصر ١٧٥/٢، والطالع

السعيد ٢٨٠.

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم

٣١- وَمَنْ غَدَا دُونَ الْوَرَى مُعْتَمِدَةً  
الرواية: (١١) ورد الشطر الحادي  
عشر في خريدة القصر برواية: "وبن".

الشرح: الخدين: مَنْ يُخَادِنُكَ، فيكونُ مَعَكَ في  
كُلِّ أَمْرٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ. تاج العروس ٤٨٣/٣٤.

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٣ - ٢٥٥،  
والأشطر (١، ٢، ٨ - ١٢، ١٤، ٢٨، ٢٩) له في  
خريدة القصر ١٧٥/٢.

### [قافية الذال]

(٣٦)

وقال في الأمير "مبارك بن منقذ" من قصيدة:  
[من الطويل]

١- لَجَأْتُ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ ابْنَ مُنْقِذٍ

ليصبحَ مِنْ أَسْرِ الْحَوَادِثِ مُنْقِذِي

٢- وَلَدْتُ بِحَرِّ فِي الْأَنَامِ مُنْجِدٍ

بصيرِ خبيرِ بِالْأَنَامِ مُنْجِدٍ

٣- أَقُولُ لِنَفْسِي إِنْ تَدَانِي مَزَارُهُ

خَذِي ذِمَّةً مِنْهُ لِنَائِبَةِ خُذِي

التخريج: خريدة القصر ١٧٥/٢.

### [قافية الراء]

(٣٧)

وقال من قصيدة: [من السريع]

١- يُغْضِي عَنْ الزَّلَّةِ حَتَّى يُرَى

كَأَنَّهُ مِنْ حِلْمِهِ مَا دَرَى

٢- ذُو قَلَمٍ يَرْقُمُ مَا شَاءَهُ

إِنْ شَاءَهُ فَهُوَ كَبْرَقٍ سَرَى

٣- كَأَنَّمَا الْقَرْطَاسُ فِي كَفِّهِ

أَوْدَعَ مِنَ الْفَاضِلِ جَوْهَرًا

ومنها:

٤- دُونَكَ مِنْ عَبْدِكَ مَدْحًا غَدَا

قَدْرُكَ مِنْ مَقْدَارِهِ أَكْبَرَا

٥- فَاصْفَحْ عَنِ الْهَفْوَةِ فِي نُطْقِهِ

إِذَا تَصَفَّحْتَ الَّذِي حُبَّرَا

التخريج: خريدة القصر ١٧٥/٢ - ١٧٦.

(٣٨)

وقال، ويبدو أنه مطلع موشحة: [من الرجز]

بَادِرُ بَصْرِفٍ رَاحَ \* فَالِدِيكَ قَدْ صَدَحَ \* (و) قَم

إِلَى اصْطَبَاحَ \* بِالزَّمْرِ وَالْوَتْرِ

التخريج: البدر السافر عن أنس المسافر

٢٦٨ / ١.

(٣٩)

وقال من قصيدة: [من الطويل]

١- وَمَا الْحِظُّ مَنْقُوصًا بِقُوصٍ وَإِنِّهَا

أَجَلٌ مُحِطٌ لِلْغَرِيبِ وَلِلْسَافِرِ

٢- وَأَسْنَى بِلَادِ اللَّهِ إِسْنَا لِسَاكِنِ

وْخَيْرُ مِنَ الْكَلِّ الرَّحِيلُ إِلَى مَصْرِ

٣- فَلَسْتُ عَلَى أَسْوَانَ أَسْوَانَ بَعْدَهَا

وَمَا أَنَا مَجْرٍ ذِكْرَهَا لِي عَلَى فِكْرِ

٤- فَلَا بَارِكَ الرَّحْمَنُ فِيمَنْ أَزَاحَنِي

عَنِ الظِّلِّ وَالْمَاءِ الزَّلَالِ الَّذِي يَجْرِي

٥- مَقِيلٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي ظِلُّهُ

وَسُقْيَا وَلَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْقَطْرِ



وقال من قصيدة في مراثية ابن عمه "أبي  
محمد بن عزام": [من الخفيف]

١- كل حيٍّ إلى الفناء يصيرُ  
وبهذا قضى اللطيفُ الخبيرُ

٢- فاغتنباطُ الفتى بدُنياه نقصُ  
و مواعيدها غرورٌ وزورُ

٣- فتبصّرْ تسلمْ هديت و أني  
يبصرُ الرشدَ جاهلٌ مغرورُ

٤- مَنْ لسودِ الخطوبِ غيرُك يجلو  
ها وقد غابَ منك بدرٌ منيرُ

٥- من يحوكُ القريضَ مثلكَ يُسدي  
له على خبيرةٍ به ويُنيّرُ

٦- ليس في العيشِ بعدَ فقدِكَ خيرُ  
حَبْدًا وافدُ الردى لو يَزورُ

٧- فوفّاتي من الوفاءِ كما  
أن حياتي غدرٌ لعمري كبيرُ

٨- كان ظنّي إذا المنايا انتَحَتْنَا  
أنني أوّلُ وأنْتَ أخيرُ

٩- خانني الدهرُ فيه آمَنَ ما كد  
ت عليه وعزّني المَقْدورُ

١٠- كيف لي بالسُّلوِّ عنه وطّي الد  
قلب من فقدِه جوى منشورُ

١١- فسقى قبره نداءه ففيه  
لثراه غنى ورِيٌّ غزيرُ

الرواية: (٤) ورد البيت الرابع في خريدة  
القصر برواية: "يجليها".

(٨) وورد البيت الثامن في الطالع السعيد  
برواية: "المنايا اتتنا".

(٩) وورد البيت التاسع في الطالع السعيد  
برواية: "وغرني المقدور".

الشرح: ينير: أي يخيطة. هامش خريدة القصر  
١٧٦/٢.

• أبو محمد هبة الله بن علي بن عزام من شعراء  
صعيد مصر في القرن السادس الهجري  
المشهورين، كان قاضيًا على أسوان. تنظر  
ترجمته في: خريدة القصر وجريدة العصر  
(قسم شعراء مصر) ١٨٦/٢، ومعجم الأدباء  
٢٧٧٦ - ٢٧٧٧ وما بهامشيها من مصادر.

التخريج: خريدة القصر ١٧٦/٢، ما عدا  
الأبيات (١-٣، ٧)، والأبيات كلها في الطالع  
السعيد ٣٧٤ - ٣٧٥.

وقال من قصيدة: [من الكامل]

١- قد قُلْتُ للمُجرى إلى مَضْمَارِهِ  
والمجدُ نهجٌ صَعْبَةٌ أَوْعَارُهُ

٢- مما يَشُقُّ لحاقُ شَهْمٍ سابقٍ  
فإليكَ عَمَّنْ لَا يُشَقُّ غَبَارُهُ

٣- بَشَرٌ تَحَلَّتْ بِالْفَضَائِلِ نَفْسُهُ  
قَمَرٌ تَجَلَّتْ لِلوَرَى أَنْوَارُهُ

التخريج: خريدة القصر ١٧٥/٢.

(٤٢)

وقال بيتاً مفرداً: [من السريع]  
أُنَحِّلَنِي بُعْدِي عَنْهَا فَقَدْ  
صِرْتُ كَأَنِّي دِقَّةُ خَصْرُهَا  
التخريج: خريدة القصر ١٧٧/٢.

### [قافية الشين]

(٤٣)

وقال في الحكمة: [من الطويل]  
١- وما المرءُ إلا من وقى الذمَّ عِرْضَهُ  
وعزَّ فلا ذامٌ لديه ولا غشُّ  
٢- وليس بمن يرضى الدناءة والخنا  
طباعاً ولا من دأبه الهجرُ والفحشُ  
التخريج: خريدة القصر ١٧٧/٢.

(٤٤)

وقال من قطعة [من الوافر]  
١- أَسْعَدَ الدِّينَ قَدْ نَشَأَتْ سَحَابٌ  
بِوَعْدِكَ وَالْمُرَادُ هُوَ الرَّشَاشُ  
٢- فما بالغيمِ لي نَقْعٌ ولكن  
بفيضِ الغيثِ قد يَرَوَى العِطَاشُ  
٣- فلم أَقْصِدْكَ دُونَ النَّاسِ إِلَّا  
رَجَاءً أَنْ يَكُونَ بِكَ انتِعَاشُ  
ومنها:

٤- وَكَمْ جَاَزَ الْقَفَارَ إِلَيْكَ عَبْدٌ  
يُؤَمِّلُ أَنْ يَكُونَ بِكَ انْتِشَاشُ  
٥- وَأَوْفَى مِنْ بِلَادٍ شَاسِعَاتٍ  
يُضِيقُ بِهَا لِسَاكِنَهَا الْمَعَاشُ

٦- فَأَمَنَهُ الزَّمَانُ فَقَدْ تَصَدَّى

له وَأَصَابَهُ مِنْهُ خِدَاشُ  
٧- وَكَمْ حَصَّ الزَّمَانُ جَنَاحَ قَوْمٍ  
وَلَكِنَّ الْكِرَامَ رَعَوْا فَرَاشُوا  
الشرح: "الرَّشَاشُ: المطر الخفيف". المعجم  
الوسيط ٣٤٧. انتياش: إنقاذ. هامش خريدة  
القصر، و"حَصَّ الطائر، وحَصَّ جناحه: قل شعره  
أو ريشه وتناثر". المعجم الوسيط ١٧٩، و"رَاشَ  
قُلَاناً، إِذَا قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ عَلَى مَعَاشِهِ، وَأَصْلَحَ حَالَهُ  
وَنَفَعَهُ". تاج العروس ٢٣١/١٧.

التخريج: خريدة القصر ١٧٧/٢.

### [قافية الصاد]

(٤٥)

وقال: [من مخلع البسيط]  
١- يَقْبَحُ أَنْ تَأْتِيَ الْمَعَاصِي  
وَالشَّيْبُ قَدْ جَلَّلَ النُّوَاصِي  
٢- أَعْرِضْ عَنِ الظُّلَمِ - وَيَكْ - خَوْفًا  
مِنْ مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْقَصَاصِ  
٣- وَتَبَّ وَأَضْمِرْ زُهْدًا وَإِلَا  
فَلَيْسَ فِي الْحَشْرِ مِنْ صِيَاصِي  
٤- حَبْسِي نَفْسِي عَنِ الدُّنَايَا  
أَرْجُو بِهِ فِي غَدٍ خَلَاصِي  
الشرح: الصِّيَاصِي: جمعُ صَيْصِيَّةٍ، وهي القلعة،  
يتحصَّن فيها القوم. ينظر العين ١٧٦/٧، وفي  
القرآن الكريم: "وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ  
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا". سورة الأحزاب،

### [قافية الضاد]

(٤٦)

وقال:

[من الطويل]

١- كَرِهْتُمْ مُقَامِي فَارْتَحَلْتُ وَلَمْ يَكُنْ

مَسِيرِي عَنْكُمْ لَا مَلَالًا وَلَا بُغْضًا

٢- وَلَوْ قَدْ صَبَرْتُمْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا

بِمَوْتٍ إِلَى أَنْ لَا يَرَى بَعْضُنَا بَعْضًا

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢، والطلالع

السعيد ٣٧٥.

(٤٧)

وقال من قصيدة:

[من الكامل]

١- قَمَرٌ وَلَكِنْ فِي الْغِنَاءِ تَخَالُهَا

قُمَرِيَّةٌ قَدْ غَرَدَتْ بِرِيَاضِ

٢- وَالْخَدُّ وَرْدٌ وَالْبَنْفُسُجُ فَوْقَهُ

آثَارُ تَقْبِيلٍ بِبَعْضِ عِضَاضِ

٣- كَانَ السُّرُورُ بِهَا فَلَمَّا أَنْ نَأَتْ

ذَهَبَ السُّرُورُ وَكُلُّ آتٍ مَاضٍ

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢.

### [قافية الطاء]

(٤٨)

وقال من قصيدة في الهجاء:

[من السريع]

١- يَا سَائِرًا فِي غَيْرِ نَهْجِ التَّقَى

وَسَادِرًا فِي غِيٍّ خَابِطًا

ومنها:

٢- فَحُلْ كَمَا يَزْعُمُ لِكِنَّهُ

.... لَلْمُرْدِ غَدًا لَا تُطَا

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢، ومكان النقاط

كلمة ذات دلالة مكشوفة.

(٤٩)

وله:

[من الطويل]

١- تَحَقَّقْ صِدْقَ الْوَدِّ مِنِّي وَصَفْوَهُ

فَأَصْبَحَ ذَا حُكْمٍ عَلَى الْقَلْبِ مُشْتَطِّ

٢- وَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْمَدِلِّ بِنَفْسِهِ

وَتَاهَ بِأَنْ أُعْطِيَ مِنَ الْحُسْنِ مَا أُعْطِيَ

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢.

### [قافية الظاء]

(٥٠)

وقال:

[من الطويل]

١- أَغْيَى وَقَدْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِعَارِضِي

وَفِيهِ لَعَمْرِي وَاعِظْ أَيُّ وَاعِظٍ

٢- سَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ تُقَارِفَ رِيبةً

بِسِرِّ دَفِينٍ أَوْ بَعِينٍ مُلَاحِظٍ

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢.

### [قافية العين]

(٥١)

وقال:

[من الكامل]

١- لَا يَرَكُنْ أَحَدٌ إِلَى الْأَطْمَاعِ

وَلَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ سَمَاعِ سَمَاعِ

٢- إِنَّ الْقِنَاعَةَ - فَالَّذِي أُوتِيَتْ مِنْ

رِزْقٍ - لِوَجْهِ الْحُرِّ خَيْرٌ قِنَاعِ

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم



٣- فاحذر من الدنيا الدنيّة إنّها

غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ بخداع

٤- ووفّأوها ما لا يَكُونُ وإنّما

كَرَمٌ لَمَنْ غَدِيتْ بِلَوْمِ طِبَاعِ

٥- فانفضّ بَنيها من بَنانِكَ إنّهم

كَسَرابِ قَفَرٍ مُطْمَعٍ لَمَاعِ

٦- واستغنّ عنهم فالرّقاعة كلّها

تقبيلُ أيديهم ورفْعُ رِقَاعِ

٧- ما نفعُ مالٍ ليس فيه مَطْمَعُ

لمؤمِّلٍ أو مَطْعَمٍ لجِيعِ

٨- قد كنتُ إذ أنا يافعٌ ومصاحبي

طَلَفٌ يُبَوِّئُني أَجَلٌ يَفَاعِ

٩- أَفَحِينَ شَبْتُ يَلُوحُ غَيْمٌ كاذِبٌ

يقتادُني بجواذبِ الأَطْمَاعِ

١٠- فاعملْ لِمَا بَعْدَ المَمَاتِ فَقَدْ دَنَا

مِيقَاتُهُ فاصْخُ لَصَوْتِ الدَّاعِي

١١- لا خيرَ في دُنْيَا تَزُولُ وَمَا (يدوم)

لمريدِهِ فَإِلَيْهِ سَعْيُ السَّاعِي

الشرح: الطلف: الفضل، والعطاء والهبة. ينظر:

تاج العروس ٩٨/٢٤، ٩٧، و"يَفَعُ الغُلامُ: رَاهَقَ

العِشْرِينَ كَأَيْفَعٍ، وفي الصَّحاح: أَيْفَعُ ارْتَفَعَ، وفي

النَّهْايَةِ: شَارَفَ الاِحتِلَامَ وهو يافِعٌ". تاج العروس

٤٣١/٢٢. وكذا ورد صدر البيت الأخير، وأرى أن

فيه ضرورة شعرية، وهي جزم المرفوع، لأن ما هنا

موصولة، لا تجزم الفعل المضارع. والمعنى: ليس في

الدنيا ثمة خير، لأنها زائلة، وأما الذي يدوم للإنسان

من الخير فهو ما يسعى للفوز به في الآخرة.

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٣.

(٥٢)

وقال: [من المتقارب]

١- أَأُثْنِي عَلَيْكُمْ وَأَكْسُوكُمْ

مَدَائِحَ تَطْرِبُ مَنْ يَسْمَعُ

٢- وَأُبْخَسُ حَقِّي وَيُخْتَارُ مَعِ

عِتَابِي عَلَى مَوْضِعِي مَوْضِعُ؟

٣- إِذَا مَا رَضِيتُ بِهَا خُطَّةً

فَقَدْ زَادَ مِنْ قَدْرِكُمْ أَوْضَعُ

التخريج: خريدة القصر ١٧٨/٢ - ١٧٩.

[قافية الغين]

(٥٣)

وقال: [من الطويل]

١- سَأَحْلُمُ عَنْ خَصْمِي بِمَجْلِسِ لَغْوِهِ

وَلَسْتُ حَلِيمًا عَنْهُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى

٢- وَأَسْتُرُ طَوْلَ الدَّهْرِ فِي الْغَيْبِ عَيْبِهِ

حِفَاضًا وَلَا أَبْغِي رِضَاهُ إِذَا بَغَى

التخريج: خريدة القصر ١٧٩/٢، وهما له في

البدر السافر عن أنس المسافر ١/ ٢٦٨.

[قافية القاف]

(٥٤)

وقال من قصيدة مدح بها "مالك بن محمد بن

شيبان الطودي": [من الطويل]

١- وَعَهْدِي بَرِيًّا وَهِيَ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ

عَلَّتْ غُصْنًا لَدُنَّا يَمِيسُ عَلَى نَقَا

٢- خَلَعْتُ عِدَارِي وَادْرَعْتُ بِحَبَّهَا

فَظَلْتُ أُسِيرًا فِي الْحَبَالَةِ مُطْلَقًا

- ٣- تُلَاحِظُنِي أَلْحَاضُهَا فِي حَدِيقَةٍ  
بِهَا الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ أَحَدَقَا
- ٤- تَمَايَلَتِ الْأَشْجَارُ فِيهَا كَأَنَّمَا  
سَقَتْهَا يَدُ الْأَنْوَاءِ خَمْرًا مُعْتَقَا
- ٥- فَصَاحَ فَصَاحٌ فِي الْغُصُونِ فَخَلَّتْهَا  
قِيَانَا تُغْنِي لَا حَمَامًا مُطَوَّقَا
- ٦- إِذَا مَا نَسِيمٌ هَبَّ أَلْفَيْتُ عَرَفَهَا  
لَمَشْتَاقَهُ مِنْ مِسْكِ دَارَيْنِ أَعْبَقَا
- ٧- بِهَا الْوَرْدُ غَضٌّ وَالْأَقَاحِي مُفْلَجٌ  
وَنَرَجِسُهَا يَرْنُو إِلَيْكَ مُحَدَّقَا
- ٨- تَرَى أَصْفَرًا مِنْ نُورِهَا وَمَرَائِشًا  
وَأَذْكَنَ مُخْضَرًّا وَأَحْمَرَ مُشْرِقَا
- ٩- كَأَن هَدِيرَ الْمَاءِ عَوْلَةً لَوْعَةً  
لَصَبَّ مَشُوقٌ لَا يُطِيقُ التَّفَرُّقَا
- ١٠- يَفِيضُ عَلَى تِلْكَ الرِّيَاضِ انْسِكَابُهُ  
كَجُودِ ابْنِ شَيْبَانَ إِذَا مَا تَدَفَّقَا
- ومنها في وصف مجلس عرس، ومعرس أنس:
- ١١- كَأَن دَخَانَ النَّدِّ فِي جَنَابَتِهَا  
ضَبَابٌ وَمَاءُ الْوَرْدِ غَيْثٌ تَرَقَّرَقَا
- الرواية (٣) ورد البيت الثالث في الطالع السعيد  
برواية: "أحداقها"
- (٥) وورد البيت الخامس في خريدة القصر  
برواية: "وصاح فصاح".
- الشرح: يَمِيسُ: أي يتحرك، وَادَّرَعْتُ: أي  
لبست. وَالنَّقَا: وَالنَّقَا مِنَ الرَّمْلِ، مَفْتُوحٌ مَقْصُورٌ:  
(الْقِطْعَةُ تَنْقَادُ مُحَدَوْدَةً، وَفِي الصَّحَاحِ: الْكُتَيْبُ  
مِنَ الرَّمْلِ". تاج العروس ١٢٣/٤٠، و"مرايش:

جمع مريش، وهو البرد الموشى بخطوط". هامش  
خريدة القصر. و"الجبالة...: المَصِيدَةُ". تاج  
العروس ٢٨/٢٦٥، ودارين: قُرْصَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ يَجْلِبُ  
إِلَيْهَا الْمِسْكُ مِنَ الْهِنْدِ". معجم البلدان ٤٣٢/٢.  
والمفْلَجُ: أي المبتسم عن أسنان ناصعة البياض  
متساوية. ينظر تاج العروس ٢٩/٣٢، والمُرَيْشُ:  
الْبُرْدُ الْمُوشَى، عَنِ اللَّحْيَانِي: خُطُوطٌ وَشِيهِ عَلَى  
أَشْكَالِ الرِّيشِ. تاج العروس ١٧/٢٣٣.

- مالك بن محمد بن شيبان الطودي: أحد أعيان  
الصعيد وأمرائه في القرن السادس الهجري.  
ينظر هامش خريدة القصر ١٧٩/٢.
- التخريج: خريدة القصر ١٧٩/٢، والطالع  
السعيد ٣٧٥ - ٣٧٦ ما عدا البيت الثامن.

#### [قافية الكاف]

(٥٥)

وقال في الأمير "مبارك بن منقذ"، وهي  
قصيدة طويلة: [من الطويل]

- ١- أَقْلِي مَلَامِي وَاطْرَاحِي وَجَفُوتِي  
هَمَا أَوْجِبَا لِي أَنْ أَفَارِقَ دَارِكِ
- ٢- أَوْطَانُ أَهْلِينَا وَأَوْطَانُنَا بِهَا  
قَلِيلَتِكَ حَتَّى قَدْ رَفَضْتَ ادِّكَارِكِ
- منها:

- ٣- أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ تَزَايَدَ ظُلْمُهُمْ  
تَ فِرَارِكِ مِنْ دَارِ الْهُوَيْنَا فِرَارِكِ
- ٤- فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ مُدَمِّمٍ  
رَيْنَ بِهِ بَيْنَ اللَّئَامِ احْتِقَارِكِ
- ٥- وَفِي غَيْرِ أُسْوَانِ مَرَادٍ وَمَنْهَبٍ  
فَلَا تَجْعَلِي شَرَّ النَّوَاحِي قَرَارِكِ

٦- فخيرُ بلادِ الله ما صانَ من أذى  
وأضحى محلاً للأميرِ مُباركٍ  
ومنها:

٧- يقولُ له من جاءَ يطلبُ رِفْدَهُ  
ونَجَدَتُهُ انْعَشَ بالنَّدَى وتَدَارِكِ  
٨- ويَشْرِكُهُ في ماله كلُّ قاصِدٍ  
ولكنه في المجد غيرُ مُشارِكِ

الرواية (٤) ورد البيت الرابع في خريدة القصر  
برواية: "الليالي احتقارَك".

التخريج: خريدة القصر ١٨٠/٢ ما عدا البيتين  
الأولين، وهما مع بقية الأبيات في الطالع السعيد  
٣٧٩ - ٣٨٠.

## (٥٦)

وقال: [من الطويل]

١- وإني مُحِبٌّ للقناعة والتَّقَى  
وللِحِرْصِ والطبعِ المُذَمَّمِ فَارِكُ  
٢- وساعِ إلى صنْعِ الجميلِ مُسَارِعُ  
ومُطَرِّحُ فِعْلِ القبيحِ وتَارِكُ  
٣- ومَنْ لي بخِلٍ في الزمانِ مُصَادِقُ  
يُسَاهِمُ في بأسائه ويشَارِكُ  
التخريج: خريدة القصر ١٨٠/٢.

## [قافية اللام]

## (٥٧)

وقال: [من مجزوء الرجز]

١- يا خالِقَ الأنامِ  
يا واهِبَ العقولِ

٢- يا مُرْسِلَ الغَمَامِ  
في أزمَلةِ المحوْلِ  
٣- عَفُواً بلا انتقامِ  
عن قائلِ يقوْلِ  
التخريج: البدر السافر عن أنس المسافر  
٢٦٨ / ١.

## (٥٨)

وله من قصيدة في مدح الملك العادل " سيف  
الدين أبي بكر أخي صلاح الدين ": [من البسيط]

١- أَحْبَبَ بعصرِ الصِّبَا المأثورِ والغَزَلَ  
أَيَّامَ لي بالغواني أعظمَ الشُّغْلِ  
٢- وإذْ غَرِيمي غَرَامٌ لستُ أَفْتَرُ مِنْ  
أوصابهِ وعَذابي فيه يَغْدُبُ لي

٣- مَنْ لي بَعُودِ شَبَابٍ مُنْذُ فارقني  
لم ألقَ من عَوْضٍ عنه ولا بَدَلِ  
٤- لبستُ بُرْدَ الصِّبَا حيناً بجدَّتِه  
فأَخْلَقَ البُرْدُ حتَّى صِرْتُ في سَمَلِ  
٥- كم ليلةٍ نلتُ من نَيْلِ المُنَى وشَفَتِ  
بذلك الوَصْلِ ما بالصدرِ من غُلَلِ  
٦- عَلَّقْتُهَا غِرَّةً غَرَاءَ غُرَّتُهَا  
كالبدرِ حَفًّا بليلاً فاحمِ رَجِلِ  
ومنها:

٧- صَدَّتْ وكم قد تَصَدَّتْ لِلوَصَالِ وما  
يُرْجى انعطافُ لَمَنْ قد صَدَّ عن مَلَلِ  
الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الطالع  
السعيد برواية: "أوصافه وعذابي".



(٤) وورد البيت الرابع فيه برواية: "وأخلق"

الشرح: غُلِّل: حرارة الجوف لوجاً وامْتِعَاضاً".  
تاج العروس ١١٤/٣٠، وَسَمَلَ الثَّوْبُ، سُمُولاً،  
وَسُمُولَةً، بَضَمَهُمَا: أَخْلَقَ. تاج العروس ٢٩/٢٢٣،  
وَشَعَرَ رَجُلٌ، بِالْفَتْحِ، وَكَجَبَلٍ، وَكَتِفٍ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ  
حَكَاهَا ابْنُ سَيِّدِهِ: بَيَّنَ السُّبُوطَةَ وَالْجُعُودَةَ، وَفِي  
صِفَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : كَانَ شَعْرُهُ رَجُلًا  
أَي لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ الْجُعُودَةِ، وَلَا شَدِيدَ السُّبُوطَةِ،  
بَلْ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ رَجُلٌ، كَفَرَحَ، رَجُلًا، بِالتَّحْرِيكِ،  
وَرَجَلَتُهُ، تَرْجِيلًا: سَرَحَتُهُ وَمَشَطَتُهُ ". تاج العروس  
٤٣/٢٩.

التخريج: خريدة القصر ١٨٠/٢ - ١٨١،  
والطالع السعيد ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٥٩)

وقال من بداية قصيدة في مدح من سمّي  
بـ "الفاضل": [من المتقارب]

- ١- عَلَى اللَّهِ مُعْتَمِدُ السَّائِلِ  
فَعَوَّلَ عَلَى لُطْفِهِ الشَّامِلِ
- ٢- وَقَدْ مَسَّنِي الضَّرُّ حَتَّى لَجَأْتُ  
إِلَى كَنَفِ الْفَاضِلِ الْفَاضِلِ
- ٣- لَقَدْ وَفَّقْتَ دَوْلَةً رَأَيْهَا  
إِلَى الْوَرَعِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ
- ٤- مَلِيٌّ بِتَدْبِيرِ أَحْكَامِهَا  
وَأَحْكَامِ مُشْكِلِهَا النَّازِلِ
- ٥- وَمَنْ يَفْزَعُ الْحَرُّ مِنْ فَضْلِهِ  
إِلَى خَيْرِ كَافٍ لَهُ كَافِلِ
- ٦- وَمَنْ تَمَّمَ اللَّهُ نَقْصَ الْأَنَامِ  
بِسُودِّهِ الْبَاذِخِ الْكَامِلِ

٧- تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ فَاعْتَلَى

وَكَمْ حَطَّ كِبَرٌ إِلَى سَافِلِ

٨- كَتَائِبُهُ كُتِبَتْ فِي الْعِدَى

وَأَقْلَامُهُ كَالْقَنَائِلِ

٩- إِذَا مَا اسْتَمَدَّ أَتَاكَ الْيَرَاغُ

بِمَدِّ بِلَاغَتِهِ الْهَاطِلِ

١٠- تَرَى الْبَرْقَ فِي جَرَى أَقْلَامِهِ

كَمَا الْوَبْلُ فِي جُودِهِ الْهَامِلِ

١١- تَظَاهَرَ بِالْحَقِّ فِي حُكْمِهِ

وَيَأْنَفُ مِنْ بَاطِنِ الْبَاطِلِ

التخريج: خريدة القصر ١٨١/٢.

(٦٠)

وقال من قصيدة في كَنز الدولة "ابن متوج"،  
أولها:

[من الطويل]

- ١- أَطْلَتَ مِنَ اللَّوْمِ الْمُرَدِّدِ وَالْعَدْلِ  
عَلَيَّ وَإِنِّي فِي الْغَرَامِ لَفِي شُغْلِ
- ٢- فَمَا الْحُبُّ إِلَّا النَّارُ وَالْعَدْلُ عِنْدَهُ  
هَوَاءٌ بِهِ يَزْدَادُ فِي قُوَّةِ الْفِعْلِ
- ٣- رَضِيتُ بِسُلْطَانِ الْهَوَى مُتَسَلِّطًا  
عَلَى مُهْجَتِي فِي الْحُكْمِ بِالْجَوْرِ لَا الْعَدْلِ
- ٤- بِقَلْبِي سَهْمٌ لَا بِقَلْبِكَ صَائِبٌ  
رُمِيتُ بِهِ مِنْ سِحْرِ أَعْيُنِهَا النُّجْلِ
- ٥- تَنَامُ خَلِيَّ الْحَالِ مِمَّا يُحْسُهُ  
شَجٌّ كَحِلَّتِ عَيْنَاهُ بِالسُّهْدِ لَا الْكُحْلِ

ومنها:

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم

٦- وَإِنْ غَزَالًا كَالْغَزَالَةِ وَجْهَهُ

ضعيف القوى يَسْطُو بليث أبي شبل

٧- وَمَنْ خَصَرُهُ الْمَهْضُومُ كَيْفَ مَعَ الضَّنَا

ينوءُ بِرِدْفٍ باهظٍ حَمْلُهُ عِبِل

٨- وَفِي خَدِّهِ نَارٌ وَمَاءٌ شَبِيبَةٌ

وما اجتمع الضَّدَانِ إِلَّا عَلَى قَتْلِي

٩- وَمَشْمُولَةٌ سَقِيَّتُهَا مِنْ رُضَابِهِ

وما لي سوى تقبيل خَدَّيْهِ مِنْ نُقْلِ

١٠- فَمِنْ شَفْتَيْهِ كَأْسُهَا وَحَبَابُهَا

يَرَى عَقْدَ تَغْرِ عَقْدُهُ غَيْرُ مُنْحَلٍّ

ومنها:

١١- وَإِنِّي وَإِنْ شَبَبْتُ لَا عَنْ شَبِيبَةٍ

فَمَذْهَبُ قَوْمٍ فِي الْقَرِيضِ مَضُوءًا قَبْلِي

١٢- أَاَخْطِئُ فِي قَصْدِي وَأَخْطُو لَصْبُوءَ

وَجَامِعَةُ السَّيْتِينَ قَدْ جَمَعَتْ رَجُلِي

ومنها يصف بستانًا وبركة وسواقي:

١٣- كَأَنَّ خَرِيرَ الْمَاءِ فِي جَنَابَتِهِ

أَنِينٌ لِمَهْجُورٍ يَحْنُ إِلَى وَصْلِ

١٤- جَدَاوِلُهُ تَجْرِي عُيُونًا كَأَنَّهَا

نُصُولُ سَيُوفٍ لَامِعَاتُ مِنَ الصَّقْلِ

ومنها:

١٥- وَفَوْقَ قَوَامِ الْغُصْنِ طَيْرٌ لَهَزَهُ

عَلَى أَلْفٍ لِلْقَطْعِ ثُبَّتْ لَا الْوَصْلِ

١٦- وَقَدْ غَرَّدَتْ أَطْيَارُهُ فَكَأَنَّهَا

قِيَانٌ تَطَارَحْنَ الْغَنَاءَ عَلَى مَهْلٍ

١٧- تَصُبُّ عَلَى فَسْقِيَةِ ذُوبِ فِضَّةٍ

تَفِيضُ كَمَا فَاضَتْ يَمِينُكَ بِالْبَذْلِ

١٨- بِسَاحَةِ بَسْتَانٍ أَنْيَقٍ مَجَاوِزِ

مَدَى الْوَصْفِ مَخْضَرِ الْجَوَانِبِ مَخْضَلِ

١٩- بِنَفْسُجِهِ آثَارِ قَرِصٍ بُوْجِنَةٍ

كَحَسْنَاءٍ تَاهَتْ بِالْذَّلَالِ وَبِالدَّلِّ

٢٠- وَنَرَجُسُهُ الْمَبْثُوثُ فِيهِ كَأَنَّهُ

عَيُونُ عَدَارَى نَاطِرَاتٍ إِلَى خَلٍّ

٢١- وَفِي خَدِّ ذَاكَ الْوَرْدِ حَصْبَاءُ لَوْلُؤِ

يَرُوقُكَ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ يَدُ الْطَلِّ

٢٢- وَطَابَقَهَا الدُّوْلَابُ فِي حُسْنِ زَمَرِهِ

مُطَابَقَةُ الشَّكْلِ الْمَلَائِمِ لِلشَّكْلِ

٢٣- وَأَظْهَرَتْ الْأَسْحَارُ سِرَّ نَسِيمِهَا

بِوَسْوَاسَةٍ كَالْخَطِّ يُعْرِفُ بِالشَّكْلِ

٢٤- فَلَنْ لَنَا ذَاكَ النَّسِيمُ كَأَنَّهُ

سِرَارٌ تَهَادَاهُ الْأَحِبَّةُ بِالرُّسُلِ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الطالع السعيد

برواية: "فأقلل فإني في الغرام".

(٤) وورد البيت الرابع في خريدة القصر

برواية: "عن سحر".

(٩) وورد البيت التاسع الطالع السعيد برواية:

"أسقيتها".

(١٢) وورد البيت الثاني عشر في خريدة

القصر برواية: "قد جمعت رجلي".

الشرح: أَعْيِيهَا النُّجْلُ: أي الواسعة. ينظر

تاج العروس ٤٦٠/٣٠، و"العَبْلُ أَي: العظيم. تاج

العروس ١٤٣/٣١، و" النَّقْلُ: الَّذِي يُنْقَلُ بِهِ عَلَى الشَّرَابِ، لَا يُقَالُ إِلَّا بِفَتْحِ النُّونِ، وَقَدْ يُضَمُّ، وَهُوَ الَّذِي اقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْجَوْهَرِيُّ، وَاشْتَهَرَ عَلَى السَّنَةِ الْعَامَّةِ، أَوْ ضَمُّهُ خَطَأً، حَكَى ابْنُ بَرِّي عَنْ ابْنِ خَالَوَيْهِ فِي كِتَابِ لَيْسَ: النَّقْلُ، بِفَتْحِ النُّونِ: الْإِنْتِقَالُ عَلَى النَّبِيذِ، وَالْعَامَّةُ تَضُمُّهُ". تاج العروس ٢٦/٣١، والمشمولة: هي الخمر الباردة، التي عرضت لريح الشمال، شبه ريق المحبوب بهذه الخمر، ينظر تاج العروس ٢٨٩/٢٩. و"الْحَضِيلَةُ كَسْفِينَةٍ: الرُّوْضَةُ الْعَمِيْمَةُ النَّدِيَّةُ، عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ. الْخُضْلَةُ كَحَرْفَةِ: النُّعْمَةُ وَالرِّيُّ وَالرَّفَاهِيَةُ وَهُمْ فِي خُضْلَةٍ مِنَ الْعَيْشِ: أَيِ نَعْمَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ. وَنَزَلْنَا فِي خُضْلَةٍ مِنَ الْعُشْبِ: إِذَا كَانَ أَخْضَرَ نَاعِمًا رَطْبًا". تاج العروس ٤٣١/٢٨. و"الْوَسْوَسَةُ: الْكَلَامُ الْخَفِيُّ فِي اخْتِلَاطٍ". تاج العروس ١٢/١٧، والسَّرَارُ: بَوَّحُ الْمُحِبِّينَ بِأَسْرَارِهِمْ. ينظر: لسان العرب ص ١٩٨٩.

التخريج: خريدة القصر ١٨١/٢ - ١٨٢ ما عدا الأبيات (١٧ - ٢١)، والقصيدة في الطالع السعيد ٣٧٦ - ٣٧٩ ما عدا البيت السابع.

## (٦١)

وقال: [من الوافر]

- ١- مشيبيك يقتضي قُربَ الرِّحِيلِ
- فما أعددتَ للسَّفرِ الطَّويلِ؟
- ٢- وجسمُك قد تخلَّى عنك حتَّى

غداً للنفسِ كالرَّبعِ المحيلِ

- ٣- فقدَّم صالِحاً تقدَّم عليه

فليسَ إلى خُلُودٍ مِن سَبِيلِ

- ٤- وَمِنَ الْأَمْوَاتِ مَحْيَانَا وَإِنَّا

إلى الْأَمْوَاتِ نَرْجِعُ عَنْ قَلِيلِ

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥٠.

## (٦٢)

وقال: [من الخفيف]

- ١- إِنْ تَمَادَى الْهَجْرَانُ مِنْكَ اتِّصَالَا
- صَيَّرَ الْحُبَّ بَيْنَنَا ذَا انْفِصَالِ
- ٢- وَصُدُودُ الدَّلَالِ إِنْ زَادَ أَفْضَى
- بِكَ عِنْدِي إِلَى صُدُودِ الْمَلَالِ
- ٣- وَاعْتِقَادِي أَنْ لَوْ صَبَرْتُ قَلِيلاً
- فَرَقْتُ بَيْنَنَا صُرُوفَ اللَّيَالِي

تخريج: خريدة القصر ١٨٣/٢.

## (٦٣)

وقال مما يُنْقَشُ عَلَى سَكِينٍ: [من المتقارب]

- ١- إِذَا مَلَكَتْنِي كَفُّ الْفَتَى
  - فَمَا السَّيْفُ وَالْأَسْمَرُ الذَّابِلُ
  - ٢- وَأَفْتَكُ مِنِّْي الْعَيُونُ الَّتِي
  - تُعَلِّمُ مِنْ سِحْرِهَا بَابِلُ
- الشرح: الأسمر: الرُّمَح. ينظر المعجم الوسيط ٥٧٧. و"الذَّابِلُ وَهُوَ دِقَّةُ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ رِيَّانَ مِنَ النَّاسِ وَالنَّبَاتِ ثُمَّ ذَبَلٌ". العين ١٨٧/٨

التخريج: خريدة القصر ١٨٣/٢، وذيل خريدة القصر ص ١٤١.

## [قافية الميم]

## (٦٤)

وقال في أثناء كتاب كتبه إلى بعض أصدقائه:

- [من الطويل]
- ١- أَظُنُّهُمَا قَدْ صَافَحَا وَرَدَّ خَدَّهُ
- وَمَرًّا عَلَى تِلْكَ السُّوَالِفِ وَاللَّمَى

شعر

علي بن عرام

الأسواني

(ت ٥٨٠ هـ)

(صنعة)

وتقديم



٢- وإلا غرامي فيهما وصبابتي

وكثرة تقبيلي هُما دائما لهما ؟

الشرح: اللّمي: سمرة في الشفة تستحسن.

المعجم الوسيط ٨٤٠.

التخريج: خريدة القصر ١٨٣/٢.

(٦٥)

وقال من قصيدة أولها شكوى: [من الخفيف]

١- لا تطيلي على الرحيل ملامي

فلأمر إمر كرهت مقامي

٢- أي خير في بلدة يستوي ذو الـ

نقص فيها بفاضل الأقوام

منها:

٣- ضاع سغي وما أفدت من الآ

داب فيما مضى من الأعوام

٤- كم كتاب مثل الكتاب أغنى

عنهم في العدى غناء الحسام

٥- كم بقول أقلت من عثرات

كم كلام أسوتها بكلام

منها

٦- وعدهم وهو رفدهم كسراب

أو خيال من كاذب الأحلام

٧- وإذا نكبة عرتهم وحلت

بذراهم من الخطوب الجسام

٨- فهي فوقى تحتي يميني يساري

وورائي من هولها وأمامي

٩- وإذا الأمن عمهم واستقروا

خفت منهم بوادر الإنتقام

١٠- فأنا الدهر في عذاب إذا ما

سخطوا أو رضوا عن الأيام

١١- ليس دنياهم لغير عبيد

أدنياء النفوس من آل حام

١٢- حكموهم فيها وفيهم فعادوا

كل رأس منهم بغير زمام

١٣- وتولوا تدبيرها وهي كالشم

س ضياء فأصبحت كالظلام

١٤- فدعونا لا تأخذوا ما بأيدي

نا وروحووا يا ويحكم بسلام

١٥- إن في الأرض غير أسوان فاهرب

من أذاهم إلى بلاد الشام

١٦- فالرحيل الرحيل عنهم سريعا

فهم من لئام هذا الأنعام

الشرح: فلأمر إمر: أي عجيب أو منكر. هامش

خريدة القصر ١٨٣/٢/٢.

التخريج: خريدة القصر ١٨٣/٢ - ١٨٤،

والآيات (١٠٢، ١٥، ١٦) له في الطالع السعيد

٣٧٩.

(٦٦)

وقال من قصيدة: [من الطويل]

١- شكوت لها نهدين في الصدر باعدا

معانقها عن ضمّه وهو مغرم

٢- ولو ملكت أمرا لما كان خصرها

على ضعفه من ردفها يتظلم

التخريج: خريدة القصر ١٨٣/٢.

## [قافية النون]

(٦٧)

وقال: [من مجزوء الكامل]

- ١- كَيْفَ الْخَلَاصُ مِنَ الْهَوَى
  - كَيْفَ الْأَمَانُ مِنَ الْأَمَانِ
  - ٢- كَمْ ذَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَا
  - ءٍ وَبِالْغُرُورِ مِنَ الزَّمَانِ
  - ٣- وَجَمِيعُ مَا فَوْقَ الْبَسِيدِ
  - طَةِ مُسْتَحِيلِ الْحَالِ فَإِنْ
  - ٤- وَإِذَا نَأَى شَرْخُ الشُّبَا
  - بِ عَنِ الْفَتَى فَالْمَوْتُ دَانُ
  - ٥- فَاعْمَلْ لِمَا يُرْضِي الْإِلَـ
  - هَ وَجُدْ فِيهِ غَيْرَ وَانْ
- التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥١.

(٦٨)

وقال: [من مجزوء الكامل]

- ١- بَصَرِي وَثِقْتُ بِهِ فَخَانَا
- يَا لَيْتَ أَنَّ الْحَيْنَ حَانَا
- ٢- لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا تُذِيدُ
- قُكَ بَعْدَ عِزَّتِهَا هَوَانَا
- ٣- تَرْكِيْبُ شَخْصِكَ قَائِلُ
- لَكَ أَنْ أَنْ الْحَلَّ أَنَا
- ٤- وَتَبَطَّلَتْ أَعْمَالُ جَسَدِ
- حَمَكِ وَالْخُطَى ضَعْفًا تَدَانِي
- ٥- وَسَوَاكِ يَطْلُبُ أَنْ تَوْسِدَ

سَعَ بِالرَّحِيلِ لَهُ الْمَكَانَا

٦- وَافَى الْحَصَادَ مَصِيرُ زَرٍ

عِ يَابَسَ بَلَغَ الْأَوَانَا

٧- فَارْغَبْ لِمَا لَا ضِدَّ لَهُ

وَلَا فَسَادَ وَلَا كِيَانَا

٨- أُخْرَى تَدُومُ لَنَا إِذَا

مَا الْعِيشُ فِي دُنْيَاكَ بَانَا

٩- يَلْقَى بِهَا مَنْ حَلَّهَا

مِنَّا مِنَ الْمَوْتِ الْأَمَانَا

١٠- لِدَاتِهَا لَا تَنْقُضِي

وَبِضِدِّ ذَاكَ تَرَى الزَّمَانَا

١١- فَهُنَاكَ يَسْعَدُ عَامِلُ

وَرَعٌ عَلَا بِالْعِلْمِ شَانَا

١٢- فَتَزَوَّدُوا وَتَزَيَّدُوا

خَيْرًا وَأَعْمَالًا حَسَانَا

التخريج: عيون الأخبار ص ٢٥١.

(٦٩)

وقال من قصيدة: [من مخرج البسيط]

- ١- قَامَ بَعْدِي لَهُ عَذَارُ
- أَشْبَهُ شَيْءٍ بِبَعْضِ نُونِ
- ٢- انْظُرْ إِلَى شَخْصِهِ تَشَاهِدُ
- مَحَاسِنًا جَمَّةَ الْفُتُونِ

التخريج: خريدة القصر ٢/ ١٨٤.

## [قافية الهاء]

(٧٠)

وقال: [من المنسرح]

١- إِنَّ نَهَارِي مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ

ومنها:

كالليل هذا بذاك مُشْتَبِهٌ

٩- وقافية لَيْسَتْ تَفَارُقُ مَرَكَزًا

٢- يَقْطَعُ هَذَيْنِ مُدْنَفٌ كَلَفٌ

وتقطعُ آفاق البلادِ بلا عَدُوِّ

يَكَابِدُ الْوَجْدَ وَهُوَ مُنْتَبِهٌ

١٠- لَهَا رَوْنَقٌ مِنْ قَبْلِ تَلْحِينِ وَزْنِهَا

التخريج: خريدة القصر ١٨٥/٢.

١١- أَمَادِحُهُ اسْتَيْقِظَ فَشَعْرُكَ وَافِدٌ

إِذَا كَانَ بَعْضُ الشَّعْرِ يَحْسُنُ بِالْحَدْوِ

### [قافية الواو]

(٧١)

وقال من قصيدة يطلب فروة: [من الطويل]

١٢- فَمَنْ كَانَ فِي قَوْلٍ مُجِيدًا وَقَاصِدًا

مَجِيدًا بِهِ فَلْيَحْذُ فِي نَظْمِهِ حَذْوِي

التخريج: خريدة القصر ١٨٤/٢ - ١٨٥.

(٧٢)

وقال:

[من المجتث]

١- كَمْ قَدْ تَصَيَّرْتُ عَنْهُ

فَمَا أَطَقْتُ سُلوًوه

٢- أَرَى الصَّلَاحَ لِقَلْبِي

إِذَا نَظَرْتُ دُنُوًوه

التخريج: خريدة القصر ١٨٥/٢.

### تنويه:

بعد عودتي في الإجازة الصيفية لهذا العام من السعودية إلى مصر وقفت قدراً بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٢م على حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية لعام ٢٠١١م، وبها بحث بعنوان: "شعر علي بن عرام ت ٥٨٠ هـ" للدكتور: "بديع فتح الله عليوة"، درس فيه شعر "ابن عرام"، ثم أردف الدراسة بثبت لأشعار الشاعر ضم (٢٨٣) بيتاً، وبعد النظر فيه، وعرضه على عملي رأيت أن دواعي نشر عملي الذي يضم تحقيق الشعر

٣- أَيَا مَلِكًا يُعْطِي عَلَى كُلِّ حَالَةٍ

وَيُعْطِي أَخُوهُ الْغَيْثُ فِي الْغَيْمِ لَا الصَّحْوِ

٤- وَمَا أَبْتَغِي مَالًا، وَلَوْ شِئْتُ لَمْ يَفُتْ

لَدَيْكَ، وَهَذَا لَيْسَ قَصْدِي وَلَا نَحْوِي

٥- وَلَكِنْ لِفَضْلِ الْبَرْدِ فِي الْجِسْمِ سَوْرَةٌ

وَلَيْسَ بِوَاقٍ مِنْ أَذَاهِ سِوَى الْفَرَوِ

٦- فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَيُرَوِّي مِنَ الظَّمَا

وَمَدَحِي لَمَّا أَوْلَيْتُ مِنْ حَسَنِ يَرَوِّي

٧- وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَجْحَدُ الْعُرْفَ رَبَّهُ

وَيَسْتَرُ مَشْهُورَ الصَّنِيعَةِ أَوْ يَزْوِي

٨- وَظَاهِرُ أَمْرِي فِي الْوَلَاءِ كِبَاطِنِي

وَكَمْ ذِي نِفَاقٍ مُعْلِنٌ ضِدًّا مَا يَنْوِي



في بحث مستقل، واكتفيت بإلحاق هذه التتوية، ومن هذه الدواعي في تحقيق النص الشعري: الزيادة عندي في عدد النصوص والأبيات الشعرية زيادة تناهز (١٢٠) بيتاً، هذا فضلاً عن تكثيف التخريج، وتثبيت الروايات، وضبط النصوص، والالتزام بالمنهج، ومن الدواعي في الدراسة: اختلاف اللغة والأسلوب، والموضوعات المدروسة، وتوظيف النصوص في الموضوعات، والإحصائيات الإيقاعية، والنماذج المطروحة في الدراسة. وكل هذا أفضى إلى الاختلاف في النتائج المستنبطة.

وللأخ الفاضل الدكتور "بدیع" فضل السبق في الالتفات إلى شعر هذا الشاعر، فاستحق هنا التتوية بريادته، والشكر على جهده، ولو كنت أعلم بجهده أثناء إعداده لتوقفت. هذا وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

### الهوامش

١. مصادر ترجمته هي: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) ١٦٥/٢، والوافي بالوفيات ٣٦٥/٢٠، وما بعدها، والطالع السعيد ٣٧١، وما بعدها، وحسن المحاضرة ٥٦٥/١، والأعلام ٦١/٥، ومعجم المؤلفين ٢٠/٧، وتظهر ترجمة الشاعر هذه في بحثي الموسوم بـ "شعر علي بن عرّام الأسواني: دراسة تحليلية في جماليات الشكل وتنوع الإيقاع" لما ينشر بعد.
٢. تظهر ترجمته في: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) ١٨٦/٢، ومعجم الأدباء ٢٧٧٦ - ٢٧٧٧ وما بهماشيها من مصادر.
٣. ينظر في ترجمته: أعيان العصر في أعوان النصر ٦٥٧/٢، وما بهامشه من مصادر.
٤. تظهر ترجمته في الطالع السعيد ص ٤٦٠.
٥. تظهر ترجمته في أعيان العصر في أعوان النصر ١٨٦/١.
٦. تظهر ترجمته في الطالع السعيد ص ٧٣٦.

٧. ينظر الوافي بالوفيات ٣٦٦/٢٠، حيث قال الصفي: "وله تصانيف كثيرة في كل فن".
٨. ينظر الطالع السعيد ١٣٠، وبنو الكنز بطن من ربيعة قدموا مصر حوالي عام (٢٤٠هـ)، ونزلت طائفة منهم في أعالي الصعيد. ينظر هامشه ٠
٩. تُنظر دراسة الباحث لكلّ من غَرَضِي المديح والرّثاء في بحثه السالف الذكر، وتُنظر مقدّمات القصائد والمقطعات في هذا المجموع الشعري، وقد تمّ فيه التّرجمة لكلّ من اتّصل بهم.
١٠. تُنظر المقطعات والقصائد ذوات الأرقام: (٣١)، (٤٠)، (٦٦) ودراسة شعر الشكوى في البحث المشار إليه آنفاً
١١. يذهب العماد الأصفهاني في ترجمته للشاعر إلى أنّه لم يغادر وطنه، حيث قال: "وهجر في لزوم وطنه الرّحل والقلوص. وسألت عنه بمصر سنة ثلاث وسبعين فقل: إنّّه حيّ في أسوان، وهو على حظه أسوان". بيد أنّي استنتجت رحيله عن أسوان من تصريحاته في شعره، ومن المهام المسندة لممدوحيه في أماكن متعدّدة من الدّولة العربيّة آنذاك.
١٢. القصيدة رقم (٧١).
١٣. خريدة القصر وجريدة العصر ٦٥/٢، و"كَبَّوان: نجم يُقالُ له: زُحَل". كتاب العين ٤٢١/٥، و"أَصْحَرَ القَوْمُ: أي بَرَزُوا إلى الصَّحراء". السابق ١١٤/٣، و"العوان: منتصف العمر". ينظر السابق ٢٥٤/٢.

### المصادر

- ١- أساس البلاغة: للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، بعناية: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٢- الأعلام: لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٥ هـ)، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٠م.
- ٣- أعيان العصر وأعيان النصر: للصفي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: علي أبي زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- ٤- البدر السافر عن أنس المسافر: للأدوي، تحقيق: محمود فوزي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.

### شعر

علي بن عرّام  
الأسواني  
(ت ٥٨٠ هـ)

### صنعة

### وتقديم

- ٥- تاج العروس: للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: ليف من المحققين، سلسلة التراث العربي، الكويت.
- ٦- جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام: للشيزري (ت ٦٢٢ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم حور، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٥ م.
- ٧- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: للسيوطي (ت ٩١١ هـ) - تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- ٨- خريدة القصر وجريدة العصر: للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، (قسم شعراء مصر)، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٥ م.
- ٩- ذيل خريدة القصر وجريدة العصر: العماد الأصفهاني، تحقيق: عارف عبد الغني وغيره، دار كنان، دمشق، ط ١، ٢٠١٠ م.
- ١٠- شعر علي بن عرّام الأسواني: دراسة في جماليات الشكل وتنوع المضمون: عبد الرازق حويزي، قيد النشر.
- ١١- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد: لجعفر بن ثعلب الأدفوي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦ م.
- ١٢- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، وغيره، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ١٣- عيون الأخبار: مصورة مخطوطة توننجن (٦٩)، ألمانيا، وقد كتبت عنه بعض البحوث تناولت التعريف به وبمؤلفه، وبيان أهمية، وأعمل في تحقيقه.
- ١٤- فقه اللغة وأسرار العربية: للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، بعناية: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
- ١٥- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، تحقيق عبد الله الكبير، دار المعارف، القاهرة.
- ١٦- معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م.
- ١٧- معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٢٩٨ هـ، ١٩٧٧ م.
- ١٨- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.
- ١٩- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- ٢٠- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: نخبة من المحققين، دار النشر: فرانز شتاينر، نشر على سنوات متعددة.



# الملامح التطريزية في الدراسات النحوية والصرفية القديمة ونظرية تكامل العلوم

الدكتور أحمد البايبي

الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية

جامعة مولاي اسماعيل - مكناس - المغرب

## تمهيد:

تؤثر الملامح التطريزية Prosodic Features في الأصوات الكلامية، وتسهم في تنظيم الأقوال وبُنْيَتِها Structuralisation، وتضم، في الغالب، الملامح التالية: التنغيم Intonation، والنغم Tone، والنبر Stress، والإيقاع Rhythm، والطول Long، والوقف Pause.

وقد تضاربت آراء الدارسين بخصوص وجودها في اللغة العربية أحياناً، أو بخصوص تناول الدراسات التراثية لها بعامة والدراسات النحوية والصرفية بخاصة، وسنحاول في هذه الدراسة أن نبين جوانب من معالجة الدراسات النحوية والصرفية لها، كما سندعو إلى ضرورة أن يؤخذ الدارس بعين الاعتبار الدراسات النحوية والصرفية التطبيقية الواردة في حقول معرفية أخرى زيادة عن الدراسات القرآنية التي وظفت مقولات نحوية وصرفية، وكتب الموسيقى والخطابة العربية القديمة في إطار "نظرية تكامل العلوم التراثية". وبذلك نستبين وضعية التطريز في مكنون تراثنا بعامة، والتراث النحوي والصرفي بخاصة.

## ١. مفهوم الملامح التطريزية:

لقد تواترت الدراسات التي عالجت الملامح التطريزية في الدراسات اللسانية، لكن ليس ثمة إجماع كلي بين اللسانيين حول طبيعة هذه الملامح نفسها ولا حول الإطار العام لوصفها، ويصعب

الحصول على صورة واضحة لمجال امتدادها الكلي<sup>(١)</sup> حيث شكل تعريف هذه الملامح، ووصفها، وتعيين حدودها تحديداً دقيقاً ومتقناً إشكالا بالنسبة للدراسات الصوتية Phonological البنيوية والتوليدية الكلاسية برمتها، التي خلصت في دراستها للأنساق الصوتية إلى تقطيع السلسلة



الكلامية إلى عنصرين كُليَّين هما: الصوامت Consonants والمصوتات Vowels، بينما أغفلت الملامح التطريزية، أو أقحمتها في قوالب قطعية Segmental غير ملائمة. وقد شهدت السنوات الأخيرة استدراكا وتصحيحا لهذا الوضع المختل؛ إذ إن نظريات صوتية عديدة اهتمت بهذه الملامح، بل وقامت نظريات صوتية حديثة أخرى على أساسها وفي مقدمتها النظرية المستقلة القطع Autosegmental والنظرية العروضية Metrical<sup>(٢)</sup>.

ورغم استحالة الحديث عن إجماع كلي بين اللسانيين حول طبيعة الملامح التطريزية نفسها، فإننا سنحاول تعريف هذه الملامح بحسب ما تتيحه الأبحاث الصوتية Phonological والأصواتية Phonetic.

لقد اشتق "التطريز" من المصطلح الإغريقي prosida (تطريزة) وهو مصطلح موسيقي يدل، أحيانا، على "ترنيم أغنية في الموسيقى" "song sung to music" أو "الدور الغنائي المصاحب" "sung accompaniment" وهذا يستتبع أن التطريزة هي الدور الموسيقي المصاحب للكلمات نفسها.<sup>(٣)</sup>

ووظف العروض الغربي، من جهته، هذه الدلالات فعرّف التطريز: بأنه مجموع قواعد نظم الشعر التي تعنى بكمية المصوتات (في اللغة الإغريقية أو اللغة اللاتينية).<sup>(٤)</sup> ومن هاهنا فهو يحيل على مبادئ النظم المشتملة على القوالب الإيقاعية، وصيغ التقفية وبنية البيت الشعري.

لكنه استعمل في الأصواتية والمصوتات فوق القطعية Suprasegmental ليدل إجمالا على تنويعات في العلو الموسيقي Pitch والارتفاع (القوة) Loudness ودرجة سرعة اللحن

## Tempo والإيقاع Rhythm.

وقد استعمل، أحيانا بشكل غير دقيق، مرادفا لـ"فوق قطعي". لكن التطريز، بالمعنى الضيق، يحيل فقط على التنويعات السالفة الذكر، بينما يطلق على بقية الملامح فوق القطعية: ملامح اللسانيات الموازية Paralinguistic Features<sup>(٥)</sup>. إن هذا المعنى الضيق هو أقرب مفهوم إلى الاستعمال التقليدي لمصطلح "تطريز"؛ حيث يدل على خصائص بنية البيت الشعري وتحليلاتها. ومن هنا فإن المصطلح المفضل في اللسانيات هو اصطلاح الملامح التطريزية، الذي يتيح، جزئيا، تمييزا منسجما مع الاستعمال التقليدي للتطريز.<sup>(٦)</sup>

ويرى دوبو Duboit وشركاؤه في (قاموس اللسانيات) أن: "التطريز هو دراسة الملامح الصوتية التي تخصص متواليات في اللغات المختلفة. هذه الملامح لا تماثل، في حدودها، تقطيع السلسلة الكلامية إلى فونيمات. وتكون هذه الملامح تحتية، مثل المورات (= المجزآت) mores، أو علوية، من قبيل المقطع أو مختلف أجزاء الكلمة أو الجملة. التطريز هو، إذن، جزء من الصوتية، كما أن علم الفونيمات Phonemics يشكل كذلك جزءا منها، لكنه يختص بدراسة الوحدات الفونيمية فقط.

ويحدد، تقليديا، التطريز في دراسة ثلاث وحدات، هي: النبر الديناميكي (أو نبر الطاقة، المربوط بزيادة القوة في قذف هواء التنفس أو نقصانها)، ونبر التنغيم (أو نبر العلو، المربوط بتردد كبير زائد من أساسه أو ناقص) والمدة أو الكمية، المربوطة بالمسك الطويل الزائد أو الناقص للفونيم Phoneme<sup>(٧)</sup>. وبالنسبة لسبانسر Spencer, A. يشكل التطريز مظاهر مهمة في التنظيم الصوتي للغة التي تتجاوز

كونها مجرد لائحة للفونيمات ولبدائلها المتغيرة، وأن ملامحه: "تتضمن النبر، والطول، والنغم، والتنغيم. وكثيرا ما يطلق التطريز على النبر والإيقاع بالإضافة إلى التنغيم، (رغم أن توظيف هذا المصطلح (ومشتقاته) يشهد تنوعا في معانيه الفنية أيضا)."<sup>(٨)</sup>

لكنه، بتعبير فوكس (٢٠٠٠)، يلتحم التحاما قويا، في السياقات اللسانية، بمعنى مختلف كما ذكرنا سلفا، ويحيل على العديد من خصائص الأقوال، مثل النبر، والتنغيم في النثر أكثر من الشعر. ومع كل هذا يصعب الظفر بتخصيص محدد للمجال، ولمسار المعنى اللساني "للتطريز"، وضبطه بواسطة مصطلحات إضافية مرتبطة به.<sup>(٩)</sup>

لقد تميز الإرث اللساني القديم بتضخم الاهتمام بالملامح القطعية التي حصرت في المصوتات والصوامت أو أوصافهما، وقد قيل إن الكتابة أسهمت إلى حد كبير في بلورة هذا التصور القطعي والخطي، وزكته ورسخته<sup>(١٠)</sup>. فمن المعلوم أن الكلمات في النسق الكتابي الأبجدي تمثلها سلاسل من رموز الصوامت (أو المصوتات أو بعض المصوتات) (الحروف المتعاقبة). وقد كان من نتائج ذلك أن نظر إلى التمثيلات الصوتية باعتبارها قطعية. إلا أن الكتابة العربية بعامة، والكتابة القرآنية منها بخاصة تفند مثل هذا الزعم؛ حيث تتكون من طبقة الصوامت (الحروف)، وطبقة المصوتات (الحركات)، وعلامات: الشدة، (٣) والمد (~)، والوقف، والإمالة... الخ.

لقد بدت الملامح التطريزية للتصور التقليدي بدوًا محيرًا وذات أهمية قليلة، بل وهامشية أو ثانوية "تتقل أشياء متنوعة ومختلفة مثل الانفعالات والأحوال النفسية وتلوينات الفكر والإحساس،

فصارت بذلك أقرب بكثير إلى الوقائع غير اللسانية مثل الفيزيولوجيا وعلم النفس. وفضلا عن ذلك فهي تتلون وتتغير بحيث يصح اعتبارها عناصر غير تعاقدية ووحدات معللة"<sup>(١١)</sup>.

وعلى المستوى الأصواتي، يعتبر لدفوجيد Ladefoged (١٩٧٥): "ملامح فوق قطعية [أو تطريزية] تلك المظاهر الكلامية التي تتشكل من أكثر من صامت أو مصوت منفرد. والملامح فوق القطعية الرئيسة هي: النبر، والطول، والنغم، والتنغيم. وتكون هذه الملامح مستقلة عن المقولات اللازمة لوصف الملامح القطعية (مصوتات وصوامت)، وتتكون من حركات تيار الهواء، وأوضاع المزمار، والتمفصلات الأولية والثانوية، والترددات المشكّلة لها."<sup>(١٢)</sup>

وفي هذا الصدد يرى فوكس أن أغلب الملامح القطعية تنتج -على المستوى الفيزيولوجي- بواسطة مكون فوق الحنجرة. حيث يتوقف موضع النطق وطريقته على وضعية اللسان وحركته، وعلى الطبق اللين، والحنك، وهكذا. ويستثنى الجهر وحده من هذا التعميم، حيث ينتج في الحنجرة مع ملامح حنجرية أخرى مثل النفسية والتهميز<sup>(١٣)</sup>

وخلافا لذلك، يمكن أن ينظر إلى الملامح التطريزية على أنها نتاج للنشاط الحنجري أو تحت المزماري. إن النغم والتنغيم يرتكزان على العلو الموسيقي Pitch، الذي تتحكم في إنتاجه العضلات الحنجرية (الجال الصوتية)، بينما تنسب ملامح النبر، دائما، لنشاط عضلات التنفس.

وترتكز ملامح التطريز، أكوستيكيا، على العلو الموسيقي والارتفاع والشدة إلا أن كل منها "ينتقي" من تلك البارامترات بحسب ما يناسب طبيعته الفيزيائية والسمعية.

وبتعبير بروسنهان ومالمبرج (١٩٧٠) Brosnahan & Malmberg: "يعبر عن الملامح التطريزية، التي تستعملها اللغات عموما في الطور الأكوستيكي للمادة الصوتية، في شكل اختلاف التردد الأساس، وفي الشدة، أو المدة؛ أي في اختلاف السمات الأساس للمادة الأكوستيكية. أما اختلاف الخواص الأخرى، الأقل أهمية، من قبيل زيادة العلائق الأكوستيكية أو نقصانها بين التأنيف، والتغوير، أو بين الملامح الأخرى المشكلة للبنية، ونوعية الجهر، أو حتى الجهر نفسه، فليس اختلافا مجهولا بصفته مادة أسلوبية للملامح التطريزية، لكنه يظل اختلافا نادرا جدا. الاحتمال الثالث، وهو أيضا طريف نسبيا، هو أن الملمح التطريزي عبر عنه بوصفه نوع من الانقطاع في استمرارية خاصية من خواص المادة الأكوستيكية، وذلك بهدف تقابل مقطع أو كلمة بانقطاع مع مقاطع أو كلمات بدون أي انقطاع." (١٤)

وإذا كانت التطريزات تركز على هذه الخصائص الأكوستيكية مجتمعة إلا أن هذا الارتكاز يكون أقوى في ملامح دون أخرى، وفي خصائص دون أخرى.

وعلى الرغم مما قادتنا إليه المعطيات الأصواتية الفيزيولوجية والأكوستيكية معا من تمايز واضح بين الملامح التطريزية وأخواتها القطعية، إلا أنه لا ينبغي الاقتصار، بحال من الأحوال، عند تعريفها، على المعطيات الأصواتية فحسب؛ وذلك لسبب بسيط، وهو أن أصحاب الدراسات الأصواتية أنفسهم، عند معالجتهم لهذه الملامح، يلجؤون عموما إلى المبادئ الصوتية.

وفي هذا السياق يرى فري (١٩٦٨) Fry أن الملمح التطريزي يقابل الملمح الصوتي، وأن الملامح التطريزية لا يمكن تعريفها إلا انطلاقا

من دورها اللساني؛ وهكذا فإن "الخواص التمييزية الملائمة على المستوى اللساني تصنف وحدها فقط على أنها ملامح تطريزية في لغة معينة" (١٥)، وبالنسبة لبروسنهان ومالمبرج (١٩٧٠) يتجسد هذا الدور اللساني في كون: "اللامح التطريزية للغة ما تعين الحدود أو تقضي إلى تعيين المجموعات الأصواتية في السلسلة الكلامية. وتعمل كذلك، على ما يبدو، بطريقتين مختلفتين وشهيرتين: تكون الأولى بزيادة التقابل بين الوحدات المتتالية أو المتجاورة، والثانية بالإشارة إلى حدود تلك الوحدات." (١٦)

وبهذا يكون الدور اللساني للتطريز، في منظور الباحثين المذكورين، تقابليا من جهة وإشاريا بالنسبة لحدود الوحدات الأصواتية من جهة ثانية. لكن ما تواطأ عليه جمهور الصوتيين أن "الخاصية المميزة الأساس للملمح التطريزي، في مقابل الملمح القطعي، هي انسحاب هذه الملامح على مجالات أكثر اتساعا من القطعة المنفردة" (١٧)، وفي هذا الصدد يقول هايمان (١٩٧٥) Hyman: "قد نظر للملامح التطريزية نظرة جيدة على أنها امتداد فوق الوحدات التي تتسع لأكثر من قطعة." (١٨) وبتعبير لوهيست (١٩٧٠) Lehiste هي: "اللامح التي يمتد مجالها فوق أكثر من قطعة واحدة" (١٩).

إن الفونيم يبقى حاضرا في تحديد الماهية الصوتية لهذه الملامح التي لم تحظ في المدارس التقليدية بوضع لساني معتبر لأنها لم تحدد تحديدا مستقلا عن القطع والفونيمات؛ فالفونيم هو "الذي يحدد الوضع اللساني للظواهر التطريزية التي توضع فوق مجموعات قطعية أو فوق مقاطع أو على التوالي صوامت ومصوتات. فهي، إذن ظواهر تحدد بالنظر إلى القطع. إنها تقع فوقها أو أنها



فونيمات تعرف بالضد: (ليست لا بالمصوتات ولا بالصوامت)، لأنها لا تندرج معها ضمن المتواليات نفسها ولأنها تمتد إلى أكثر من قطعة لكنها تتزامن معها. والدليل على كل ذلك أن أنغام القول، مثلاً، قد كتبت، بشكل متواتر، على سطر منفصل فوق الأصوات اللغوية التي تؤلف القول، وكأنها ملامح إعجامية لا تكاد تتجاوز الدور المساعد. ومهما يكن من أمر، فنحن بإزاء مستويين مختلفين متوازيين يتشكل أحدهما من توالي الصوامت والمصوتات، ويتشكل الثاني من الظواهر "فوق-القطعية"<sup>(٢٠)</sup>.

وبهذا نخلص إلى أن ملامح التطريز- من خلال المعيار الصوتي- هي تلك الملامح الممتدة فوق مجالات أكثر اتساعاً من مجال القطعة المنفردة، غير أن هذا التعريف لن يكتمل إلا بالنظر إلى الدور اللساني المسنود لتلك الملامح المحددة في التنغيم والنغم والنبر والإيقاع والوقف والطول على المستوى المركبي فضلاً عن الاستبدالي، أولنقلُ عموماً على أساس إسهامها في تكوين بنية تطريزية وفي تنظيم الأقوال.

## ٢. الملامح التطريزية في الدراسات النحوية والصرفية القديمة:

### ١،٢ إغفال النحويين والصرفيين للظواهر التطريزية في نظر بعض المستشرقين والعرب المحدثين:

ذهب بعض الدارسين من المستشرقين والعرب المحدثين إلى نفي الظاهرة التطريزية برمتها أو جوانب منها عن كتب النحو والصرف العربية القديمة. يقول هنري فليش Henry Fleisch "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب، بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم (...). أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته

جزئياً، وذلك في حالة واحدة فحسب، حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة) (...). وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للنبر"<sup>(٢١)</sup>، وينفي جان كانتينو Jaune Cantineau نفيًا يكاد يكون قاطعاً إمكانية التعويل على النحاة العرب القدامى فيما يتعلق بالتطريز؛ وذلك بقوله: "لا يمكن أن نعول على النحاة العرب القدامى فيما يخص التطريز، فهم لم يهتموا بالمقطع ولا بالتقطيع المقطعي، فإذا كانوا قد اهتموا بكمية الحركات والإيقاع الشعري المبني على هذا الكم فإنهم لم يهتموا لا بنبر الكلمة ولا بتنغيم الجملة، واقتصرت دراستهم على الوقف"<sup>(٢٢)</sup> ويحذو أنيس فريجة حذوهم بقوله: "إن قضية النبرة لم يعرها العرب أقل انتباه (...). ولم يعطها لغويو العرب حقها من العناية، حتى إنهم لم يضعوا لها لفظاً خاصاً، ونعني قضية النبرة وأثرها في الحركة من حيث الطول والقصر"<sup>(٢٣)</sup> وهذا التعميم وقع فيه الأنطاكي كذلك بقوله: "قواعد التنغيم في العربية مجهولة تماماً، لأن النحاة لم يسيروا إلى شيء من ذلك في كتبهم"<sup>(٢٤)</sup>، وردد تمام حسان ما يماثل هذه الأحكام عندما قال: "التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل ولا مدروس، ومن ثم نخضع دراستنا إياه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية"<sup>(٢٥)</sup>. وأضاف في موضع آخر أن: "دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية تتطلب شيئاً من المجازفة؛ ذلك لأن العربية لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين، وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية"<sup>(٢٦)</sup>. ولم يتوقف الأمر عند هؤلاء الدارسين، بل ما زالت الكتابات تتوالى مجتراً

آراء السابقين، ومن ذلك قول الضالع (١٩٩٩):  
"على الرغم من إحاطة العرب القدماء بالتحليل اللغوي الدقيق والدرس النحوي العميق للغة العربية ونصوصها لم نعثر -حسب علمي- على ما يدل على تناولهم لظاهرتي النبر والتنغيم. ومع أنهم قدموا لنا في علمي التجويد والقراءات ما تناولوه عن الوقف والاستغراق الزمني، وهما من المظاهر التطريزية prosodic أو الفو[ق] قطعية suprasegmental التي تشمل النبر والتنغيم إلى جانب هاتين الظاهرتين، فلم يذكروا عنهما شيئاً ولو بأوجز عبارة تدل على وجودهما في اللغة العربية وإحساس القدماء بهما.

وبطبيعة الحال لا تخلو أي لغة طبيعية من نبر وتنغيم. فهما يتحققان في أي كلام منطوق في أي لغة من اللغات الحية. واللغة العربية كانت قديماً - وما زالت حديثاً - إحدى اللغات الحية؛ فمن الطبيعي أن يوجد بها نبر وتنغيم قديماً، كما يوجد بها حديثاً (...). ولكن النبر بطبيعة الحال موجود في اللغة العربية على المستوى الصوتي phonetic أي في التحقيق الصوتي غير الوظيفي (...). والتنغيم موجوداً أيضاً في اللغة العربية على المستوى الصوتي phonetic level بصورة بسيطة بالمقارنة مع بعض اللغات الأخرى مثل الإنجليزية" (٢٧)

ومن النافين للتنغيم والنبر في كتب القدماء وكذا في اللغة العربية محيي الدين رمضان في مقاله الذي حمل عنواناً مستقزاً: هل في العربية الفصيحة تنغيم؟ ومما قاله الباحث المذكور: "وأغلب من تحدث عن التنغيم في الدرس اللغوي الحديث من العرب لم يخالف في وصفه ولا مناقشته ولا تقريره ولا نتائجها. وهو ما يجده القارئ في ما كتب بالإنجليزية دون أي تباين.

ويحاول بعض الباحثين أن ينص على وجود هذه الظاهرة في فصيحة العربية، ويضرب لذلك مثلاً من النص العزيز، بالرغم من أن بعض الدارسين يقطع بعدم وجودها على نحو ما هي عليه في الإنجليزية إلا من بعض الإشارة إلى ما يشبه ذلك." (٢٨) ثم انتقل إلى الحديث عن النبر فيما يشبه الخلط بين الظاهرتين، فبيّن انطلاقاً من باحثين آخرين فقدان الدليل على وجود هذه الظاهرة في الفصيحة، وفيما يخص التنغيم نقل عن رمضان عبد التواب نفيه أن يكون القدماء قد تناولوا ظاهرة التنغيم أو عرفوا كنهه إلا بعض إشارات نادرة (٢٩) ثم أخذ يؤول أقوال القدماء على أنها ليست من قبيل المصطلح المذكور، ويستعرض خصائص العربية التي ليس منها التنغيم.

"بل إن الظاهرة اللغوية أية ظاهرة، مما تحتوي عليها اللغة، ويتكلم بها الناس، هي بعض أنظمتها الصوتية، فلا تضاف إليه إضافة، ولا يقترح أن تُجعل في اللغة بعد أن لم تكن! وهذا من بديهيات العلم منهجاً ونتائج. ودعوة من دعا إلى الانتفاع بالتنغيم في الفصيحة من قبيل تزجية الكلام واستهواء الظاهرة له في اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات التي من سمتها أن تجري في كلام المتحدثين بها." (٣٠) "فأما في العربية الفصيحة بترائها من الشعر والنثر ولا سيما النص العزيز، وبما تضمنته من خصائص النظم، ومذاهب اللغة والنحو والصرف فإن فيها ما يغنيها ويغني أهلها في تكوينها وإسماعها، ولا تشمل كل أصناف الجمل وأجزاء الكلام.

ثم إن الحديث عن الظاهرة لا بد أن يبدأ من معالم في الكلام تشتمل على عناصر اللغة، لا أن يبدأ بالبحث في ظاهرة من عادة متكلمين بلغات أخرى لاصطناعها" (٣١)

## ٢,٢ النبر والتنغيم في الدراسات النحوية والصرفية القديمة:

وظف علماء النحو والصرف مصطلح "النبر" أو "النبرة" في مصنفاتهم توظيفاً يماثل، من حيث الاصطلاح والمفهوم، ما هو قائم في دراساتنا الصوتية الحديثة؛ فهذا ابن جني يستهل كتابه (الخصائص) بـ(باب القول على الفصل بين الكلام والقول)، ويقوده حديثه عن إكثار الشعراء من استعمال اصطلاح الكلام للدلالة على الجمل التامة إلى القول: "ومما يؤنسك بأن الكلام إنما هو للجمل التوام دون الأحاد أن العرب لما أرادت الواحد من ذلك خصته باسم له لا يقع إلا على الواحد، وهو قولهم: "كَلِمَة"، وهي حجازية، و"كَلِمَة" وهي تميمية. ويزيدك في بيان ذلك قول كُثَيِّر:

لو يسمعون كما سمعت كلامها

خروا لعزة ركما وسجودا

ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزن، ولا تتملك قلب السامع، إنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه، بغدوبة مستمعه، ورقة حواشيه (...). وقد أكثر الشعراء في هذا الموضع حتى صار الدال عليه كالدال على الشاهد غير المشكوك فيه ألا ترى إلى قوله:

وحديثها كالغيث يسمعه

راعي سنين تتابعت جديا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا

ويقول من فرح هياربًا

يعني حنين السحاب وسَجَرَه، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة، ولا رَزْمَة مختلصة، إنما يكون مع البدء فيه والرجع، وتثنّي الحنين على صفحات

ويجتز هذه الآراء دارسون آخرون<sup>(٢٢)</sup>، حتى إنه يجوز لنا أن نستنتج مع أحمد كشك: وجود "إحساس عام عند اللغويين المعاصرين يؤكد بعد التنغيم [والنبر] عن أن يكون له [لهما] قيمة صرفية أو نحوية في لغتنا العربية، وأنه لم يخطر ببال القدامى استخدامه [هما] من هاتين الناحيتين"<sup>(٢٣)</sup>.

وتكاد تتفق هذه الآراء على النفي القاطع لمعرفة أو فهم النحويين والصرفيين القدامى لظاهرتي النبر والتنغيم بخاصة (أو للظاهرة التطريزية بعامة على نحو ما ذهب إليه كانتينو)، أو لتوظيفهم لأي اصطلاح يحيل على النبر، والتنغيم، (أو حتى وجود هذه الظواهر في اللغة العربية على نحو ما ذهب إليه محيي الدين رمضان) وفي هذا تعميم يخل بالنسبية العلمية، و"من شأن هذا الحكم القطعي أن يحرف أبصارنا وبصائرنا عن الحقيقة العلمية حتى ولو كانت بسيطة ونسبية أو نتيجة عن مجرد حدوس"<sup>(٢٤)</sup> وقد يفند هذه الأحكام الاستقصاء المتأني.

والواقع أن الدراسات النحوية والصرفية تشهد لأصحابها على إسهابهم في معالجة جوانب من التطريز وبخاصة: الوقف (الإشمام، والروم...)، والطول (المد والإدغام...)، والإيقاع (تخفيف الهمز، والإمالة، والتفخيم...) فهذه ظواهر قتلت بحثًا من جوانبها المتعددة.<sup>(٢٥)</sup>

ولكن إذا كان قَصْدُ هؤلاء من التطريز هو "نطاقه الأكثر أرثوذكسية، أي النبر والنغم والتنغيم"<sup>(٢٦)</sup> بتعبير أندرسن، فإن تلك المظان التراثية، مع ذلك، لم تخل خلوا مطلقا منه، وهذا يدعو كل باحث عن الحقيقة، ومترصد لها، أن يطيل النظر في مكنون إرثنا الصوتي بكل صبر وأناة.



السمع" (٢٧).

يذهب أبو الفتح إلى أن الشعراء قد أكثروا في استعمال الكلام للإحالة على الجمل التوام لا على الكلمة الواحدة. إن حديث المتغزل بها - في البيت الشعري - يشجي ويضطرب وهذا لا يتأتى إلا عن كلمات لا عن كلمة واحدة، وهذا معلوم عندهم حتى صار الدال عليه كمقيم الدليل على مما لا يشك فيه من الأمور المعلومة بالضرورة. وهذا الحديث يماثل حنين السحاب وسجره (٢٨)، يسمعه راعي توالى عليه سنين من الجذب وتتابع، فأصاخ السمع لصوت الرعد وكله رجاء أن يصير السحاب مطرا. وقد عقب على هذا بقوله: "وهذا لا يكون عن نبرة واحدة، ولا رزمة مختلصة إنما يكون مع البدء فيه والرجع، وتثنى الحنين على صفحات السمع". "وقوله" وهذا" يعني الشجو والطرب والاستحسان والاستعزاب لحديثها، لا يكون عن نبرة واحدة: أي لا يكون عن كلمة واحدة منبورة، ولا رزمة مختلصة أي ولا يكون عن مجموعة أصوات أو كلمات مختلصة أي ذهب فيها بعض الصوت وبقي بعضه نتيجة السرعة وعدم التأنى في النطق. (٢٩)، وإنما يكون مع البدء والرجع، وما يحدثه الحنين من تموج (أو تثنٍ) على صفحات السمع. (٤٠)

وهذا التأويل يؤكد ما قاله ابن جني في بيت كثير عزة، مما يعني أن مراده بالنبرة الواحدة الكلمة المنبورة، والرزمة المختلصة مجموعة من الكلمات ذات الأصوات المختلصة.

وبهذا يتضح من نص ابن جني:

١. أن النبر يقابل الاختلاس، وأن فيه يرفع الصوت، وهذا يساوق قول نحاة آخرين، يقول صاحب (كتاب الأفعال) موظفا مصطلح النبر: "وَبَرَّ الكلام نبرا: همزه، والشيء: رفعه، ومنه المنبر، وبالرمح: طعن، والغلام: ترعرع، والحرف:

همزه، وقريش لا تنبر أي لا تهمز" (٤١). ويكون النبر عند أبي الفتح بالتأني، والاختلاس بالسرعة. وهذا التأني يبرز الأصوات ويجعل السلسلة الكلامية متموجة لما تتخللها من نبرات، وهذا ما يفهم من قوله: "تثنى الحنين على صفحات السمع".

٢. أن النبر يقع في الكلمة، ولا يتم ذلك إلا في جزء واحد أو مقطع بتعبير المحدثين.

٣. أن تعاقب النبرات في الكلام التام (الجمل) ينتج عنه الإيقاع، أي الشجو والطرب والاستحسان، ولا يتحصل ذلك من كلمة واحدة منبورة أو من كلمات مختلصة. (٤٢) "ومجمل القول أن ابن جني يقول: إن الشجو والطرب بحديثها لا يكون عن كلمة واحدة منبورة، ولا يكون عن مجموعة كلمات اختلست أصواتها اختلاسا أي لم تنبر، وإنما يكون مع مد الصوت وترديده في الحلق مترنمة، ومع النطق بكلمات متوالية منبورة أي يكون عن توالي عدد من النبرات فيما يسمى بالكلام المتصل، فتبدو الأصوات على صفحات السمع متشعبة متعوجة." (٤٣)

وبهذا نخلص إلى أن ابن جني لم يدرك النبر لفظا فحسب، وإنما استوعب - فضلا عن ذلك - معناه وأثره؛ حيث اعتبر النبر عملية تدرك بالسمع في صورة ضغط على جزء من الكلمة، وبتوالي النبرات (أي التثني) في السلسلة الكلامية يتحصل الإيقاع في شكل شجو وطرب، وأن "ما فات علماء العربية القدامى بصدد ظاهرة النبر هو عدم نصهم على أمكنة وقوعه، أما مسمى هذه الظاهرة وكنهها أو حقيقتها، وملامحها، ودورها في اللغة فقد عرفوه تماما، ولا يختلف البحث الحديث معهم في شيء منها." (٤٤)

ولا تخلو المصنفات اللغوية القديمة من حديث عن ظاهرة التنعيم، وقد ردّد باحثون كثيرون مقولة

ابن جني النفيسة: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، ولتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتقمخه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك.

فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز (...). ومن ذلك ما يروى في الحديث: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد؛ أي لا صلاة كاملة أو فاضلة، ونحو ذلك. وقد خالف في ذلك من لا يعد خلافة خلافاً." (٤٥)

وبهذا يتضح أن النحاة لم يغفلوا بتاتا التنعيم؛ فحذف الصفة - حسب النص أعلاه - منسوب لإمام النحو سيبويه، ويعوض المحذوف بقرينة أداء الكلام؛ أي التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، وهي تلوينات صوتية تسد مسد التلفظ بالصفة والتصريح بها. "إن الأمر يعني أن يذهب الصوت وأن يجيء في الهواء وأن يطول ويرفع ويعلى ويزاد في مده أي أن المتكلم يحدث تغييرات في طبقة الصوت" (٤٦)؛ إذ ورد في (لسان العرب): "تَطَوَّحَ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ فِي الْهَوَاءِ" وفيه أيضاً: "طَرَّحَ الشَّيْءَ: طَوَّلَهُ، وَقِيلَ: رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ

به البناء فقال: طَرَّحَ بِنَاءَهُ تَطَرِّحاً طَوَّلَهُ جَدًّا" (٤٧) ويذهب بنا الفكر، من خلال هذا النص، ومن خلال قول أبي الفتح في موضع آخر في المدات: "وذلك من شأن المدات، ولذلك استعملن في الأرداف والوصول والتأسيس والخروج وفيهن يجري الصوت للغناء والحداء والترنم والتطويح." (٤٨)، أن التطويح وكذا التطريح - في كتاباته - هما المرادفان الاصطلاحيان للتنعيم في الدرس الصوتي الحديث.

لقد شدد أبو الفتح على قيمة هذه التلوينات الصوتية، وجعلها في مستوى دلالات الحال، "فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز."

ويذهب الضالع (١٩٩٩) أن نص ابن جني "لا يدل على تنبيهه إلى النبر والتنعيم، ولكنه يدل على تنبيهه إلى الوسائل الصوتية والحركية غير اللغوية التي تضاف إلى الوحدات اللغوية وتحيط بها معبرة عن دلالات مقصودة حسب الموقف والمقام والحال. فمن الوسائل الصوتية الرمزية التي يستعين بها المتكلم في تلوين كلامه وتصوير ألفاظه: التفخيم كما يحدث عندما ننطق كلمة "كبير" بلفظ مفخم يتسع فيه التجويف الفموي لتصوير العظم والمبالغة في الضخامة، والترقيق كما يحدث عندما ننطق كلمة "صغير" بلفظ مرقق يضيق فيه التجويف الفموي لتصوير الضآلة وقلة الحجم، وإطالة الحركات القصيرة ومطل الحركات الطويلة ومدّها تصويراً للطول أو البعد. وقد يصاحب هذه الوسائل الصوتية حركات جسمية أو إشارية." (٤٩)

ويبدو أن هذا الرأي لا يخلو من تمحل بعيد في تخريج كلام ابن جني، والواقع أن الأمر عند ابن جني يتجاوز الإشارات إلى النصوص

الطويلة المنظمة لهذه الظاهرة<sup>(٥٠)</sup>، ونعصد تلك النصوص بقوله في (المنصف): إن أهل اللغة "قد يصلون إلى إبانة أغراضهم بما يصحبونه الكلام مما يتقدم قبله، أو يتأخر بعده، وبما تدل عليه الحال (...). فإن لها في إفادة المعنى تأثيرا كبيرا، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليه"<sup>(٥١)</sup>

إن الإحساس الواعي بالتنعيم (أو التطويح) عند ابن جني ثابت ثبوتا لا تخطئه بديهية الدارس المنصف، وهو وإن لم يذكر لفظ تنعيم فإنه أدرك الظاهرة التي تنطبق عليها قوله الموصلي الشهيرة: "تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة".

وينبعث الإحساس بالتنعيم في كتابات نحاة آخرين من قبيل ابن يعيش القائل في باب الندبة: "أعلم أن المندوب مدعو ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به وإن كان بحيث لا يسمع كأنه تعده حاضرا وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن وقلة صبرهن، ولما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله (بيا أو وا) لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرًا للترنيم كما يأتون به في القوافي المطلقة وخصوصا بالألف دون الواو والياء لأن المد فيه أمكن من أختيها"<sup>(٥٢)</sup>، كما يقول في حرف النداء: "الغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتبنيه المدعو فإذا كان المنادى متراخيا عن المنادى أو معرضا عنه لا يقبل إلا بعد اجتهاد أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف النداء ما خلا الهمزة وهي يا وأيا وهيا وأي لأنها تقيد تنبيه المدعو ولم يرد منها امتداد الصوت لقرب المدعو"<sup>(٥٣)</sup>.

إن رفع الصوت، ومده، والترنم به هي ملامح تنعيمية بامتياز.

فهذه إشارات للغويي العرب القدامى، وهي ليست قليلة ولا نادرة، خاصة إذا أضيفت إليها أعمال النحاة المبسوطة في نطاق حقول معرفية أخرى، أو نظر إلى تلك الإشارات ضمن نظرية وحدة العلوم.

### ٣. الملامح التطريزية بين أعمال النحاة خارج كتب النحو والصرف وأعمال علماء الموسيقى والخطابة في إطار نظرية وحدة العلوم؛

#### ١،٣ الملامح التطريزية في أعمال النحاة خارج كتب النحو والصرف / أو الأعمال التطبيقية الموازية؛

لقد أسهب النحاة العرب القدامى في توظيف التطريز بوصفه آلية تأويلية في نطاق مجالات معرفية موازية للدراسات النحوية والصرفية الخالصة، فصارت جزءا منها، وأقسمها التطبيقي، والأمر يتعلق بحقل الاحتجاج للقراءات القرآنية المشهورة والشاذة (من قبيل أعمال أبي علي الفارسي، وتلميذه النجيب ابن جني، ومكي ابن أبي طالب القيسي...)، وبحقلي إعراب القرآن ومعانيه (من مثل أعمال الفراء، وابن خالويه، والزجاج، ومكي بن أبي طالب القيسي، والنحاس، والعكبري...). مع بعض الإشارات في كتب التجويد وكذا القراءات القرآنية وعلوم القرآن.

لقد تناولت هذه الدراسات الظواهر التطريزية تناولًا تطبيقيًا مستفيضًا<sup>(٥٤)</sup> وسنأخذ نماذج من تلك النصوص التي وظفت التطريز توظيفًا تطبيقيًا، وذلك بهدف التنبيه على أن أعمال النحاة خارج كتب النحو والصرف أو مصنفاتهم التطبيقية في أعمال موازية تكشف عن إدراكهم للتطريز، ومنها:

١. حديث الفراء وابن خالويه عن منحني



الرفع - باعتباره ملمحا تنغيما - عند إثبات الخبر وتأكيده، يقول الضراء: "حدثني قيس عن رجل قد سماه عن بكير بن الأخنس عن أبيه قال: قرأت من الليل: "ويعلم ما تفعلون" فلم أدر أقول: يفعلون أم تفعلون؟ فغدوت إلى عبد الله بن مسعود لأسأله عن ذلك، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، رجل ألمّ بامرأة في شعبة، ثم تفرقا وتابا، أيحل له أن يتزوجها؟

قال، فقال عبد الله رافعا صوته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥٥)</sup>. "وقد جاء ذلك في سياق استفهام بالهمزة.

وأورد ابن خالويه القصة نفسها نقلا عن الضراء: وجاء في المقطع الذي يعنيها: "فقال عبد الله: - ورفع بها صوته وهو يقول- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾"<sup>(٥٧)</sup>

فاستعمال منحنى الرفع في ترديد هذه الآية دليل على إثبات قبول الله تعالى لتوبة التائبين، وعفوه عن سيئات المسيئين، وعلمه بأفعال الناس أجمعين، ومن ثمة فكأنما أراد ابن مسعود أن يقول للسائل بالإثبات: نعم يحل لك الزواج بها.

لقد وظف هذان النحويان ملمحا تنغيما باعتباره قرينة لفظية للدلالة على معنى الإثبات.

٢. استعمال ابن جني لملمح التاني مع ما يرافقه من مماثلة وإشباع ولملمح الإسراع مع ما يلازمه من اختلاس وخفض للصوت، وذلك في سياق احتجاجه لقراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبي الزناد؛ حيث قال: "يا حسره" ساكنة الهاء، "على العباد": "أما" يا حسره"، بالهاء ساكنة ففيه النظر. وذلك أن قوله: "على العباد" متعلق بها، أو

صفة لها. وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه، ووجه ذلك عندي ما أذكره، وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته وغير معتمدة عليه - أسرع فيه، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه. وذلك كقوله: قلنا لها قمي لنا قالت قاف\*

معناه وقفت، فاقتصرت من جملة الكلمة على حرف منها، تهاونا بالحال وثاقلا عن الإجابة واعتماد المقال. ويكفي في ذلك قول الله سبحانه: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" قالوا في تفسيره: هو كقولك: لا والله، وبلى والله. فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثيت فيه، والإشباع له، والمماثلة عليه من قول الهذلي:

فوالله لا أنسى قتيلا رزئته

بجانب قُوسى ما مشيت على الأرض؟

أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة في النطق هنا بها، وتمطيك لإشباع معنى القسم عليها؟ وكذلك أيضا قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنها تعفو الكلوم وإنما

نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

أفلا تراه لما أكذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه - أطال الإقامة على قوله: (بلى)، رجوعا إلى الحق عنده، وانتكاثا عما كان عقد عليه يمينه؟ فأين قوله هنا: (فوالله) وقوله: (بلى) منهما في قوله: لا والله، وبلى والله؟ وعليه قوله تعالى: "ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان" أي وكدتموها وحققتموها"<sup>(٥٨)</sup>.

يبرز هذا النص جوانب من التغييرات الحادثة في طبقة الصوت؛ حيث توظف العرب ملمح الإسراع "إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته

ولا معترضة عليه " بل و" تهاونا بالحال وتثاقلا عن الإجابة واعتماد المقال"، مما قد يؤدي إلى الاختصار "من جملة الكلمة على حرف منها". بينما تستعمل العرب ملمح التآني تعبيراً عما اعتمدته واعتزمت عليه؛ في مثل القسم: "أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة في النطق (...) وتمطيك لإشباع معنى القسم" فهذا التطعم للفظ والتلذذ به، بل والتثبت فيه والمماثلة أو طول الإقامة عليه يكون أيضاً "رجوعاً إلى الحق عنده، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينه" أو "لما أكذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه"، فالتآني إذن يصاحب هذه السياقات التداولية التي يكون فيها توبة وندم ورجوع إلى الحق علاوة على القسم. وهكذا نستنتج - مثلاً - أن لفظتي: الله، وبلى، بالتآني (مع ما يصاحبه من تطعم ومماثلة وتمطيط) غير لفظتي الله وبلى بالإسراع.<sup>(٦٠)</sup>

وفضلاً عن ذلك يبرز النص أن تحقيق القسم يقتضي رفع الصوت وتقوية المد.

٣. إسناد النحاة للتنعيم القيام بوظيفة تركيبية، لقد جاء في كتاب (إعراب القرآن) المنسوب للزجاج في "الباب السابع والأربعين: ما جاء في التنزيل من إضمار الحال والصفة جميعاً": "وهو شيء لطيف غريب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾<sup>(٦١)</sup> أي: فمن شهد منكم صحيحاً بالغا.

ومن ذلك قوله في الصفة: "وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت" والتقدير: وله أخ أو أخت من أم، فحذف الصفة. (...) وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾<sup>(٦٢)</sup>، والذي لا يموت يحيا، والذي لا يحيا يموت؛ ولكن المعنى: لا يحيا حياة طيبة يعتد بها ولا يموت موتاً مريحاً، مما دفعوا إليه مقاساة

العذاب، وكأن الإحياء للعذاب ليس بحياة معتد بها. قال عثمان<sup>(٦٣)</sup>: وأما حذف الحال فلا يحسن، وذلك أن الغرض فيها إنما هو تأكيد الخبر بها، وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف، لأنه ضد الغرض ونقيضه، ولأجل ذلك لم يجز أبو الحسن تأكيد "الهاء" المحذوف من الصلة، نحو: الذي ضربت نفسه زيد، على أن يكون "نفسه" توكيداً للهاء المحذوفة من "ضربت" وهذا مما يترك مثله (...)

فأما ما أجزناه من حذف الحال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>(٦٤)</sup>، أي: فمن شهد صحيحاً بالغاً، فطريقه: أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفاً.

وأما إذا عُرِّيت الحال من هذه القرينة، وتجرد الأمر دونها، لما جاء حذف الحال على وجه. وحكى سيبويه: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقامه قوله: "طويل" ونحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن يكون في مدح، فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ"الله" هذه الكلمة، وتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت عليها، أي: رجلاً فاضلاً شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك؛ وكذلك تقول: سألتناه فوجدناه إنساناً، وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه؛ فتستغني بذلك عن وصفه، وتريد: إنساناً، وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه؛ فتستغني بذلك عن وصفه وتريد: إنساناً سمحاً، أو جواداً، أو نحو ذلك؛ وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق، قلت: سألتناه وكان إنساناً. وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني عن ذلك قوله: إنساناً لئيماً، أو بخيلاً، أو نحو ذلك. فعلى هذا وما

يجري مجراه تُحذف الصفة.

فأما إذا عُرِّيت من الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فإن حذفها لا يجوز، ألا تراك لو قلت: وردنا البصرة فاجتزنا بالأبلة على رجل، أو رأينا بستانا، وسكت، لم تفد بذلك شيئا، لأن هذا ونحوه مما لا يُعَرِّى منه ذلك المكان، وإنما المتوقع أن تصف من ذكرت وما ذكرت، فإن لم تفعل كُلفت علم ما لا يدل عليه، وهو لغو من الحديث، وتجوُّز في التكليف.

ومن ذلك ما يروى في الحديث: "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد." أي لا صلاة كاملة أو فاضلة، ونحو ذلك. ومثله: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ، عليه السلام.<sup>(٦٥)</sup>

إن هذه النصوص تدل على النحاة (سيبويه، وابن جني، والزجاج (أو القيسي)...) لم يغفلوا التطريز بعامة والتنغيم بخاصة؛ فالحديث عن حذف الصفة والحال أو إضمارهما (بحسب صاحب "إعراب القرآن") وقيام النطاقات التنغيمية مقامهما منسوب في أصله لإمام النحو سيبويه، وما النصوص المعروضة أعلاه إلا موسعة ومبلورة لفكرة (صاحب الكتاب)، ولعل في استعمال صاحب "إعراب القرآن" لاصطلاح "إضمار" بدلا عن "حذف"، فيه إشارة ذكية إلى بقاء أثر "الصفة" من خلال تلك التلوينات الصوتية على مستوى الأداء، وهو ما يعرف في الدراسات الصوتية بالتنغيم.

٤. اعتبار النحاة أن التطريز يخرق المستويات

التركيبية والصواتية... بل والإعرابية؛ يقول ابن جني في هذا الصدد: "وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عن وضعها ما يحكى أن رجلا ضرب ابنا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك؛ فرفعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس

مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك، ومدت فتحة النون جدا، فقال الرجل: والله ما كان منه هذا الطويل الطويل (...). وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه مما استطلناه فحذفناه يدل أن الأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت (...). علمت أن قراءة من قرأ: "يا حسره على العباد" بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتببيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه، الدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره. ثم قال من بعد: "على العباد"، عاذرا نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لما كان فيه، ودالا للسامع على أنه إنما تجشم ذلك - على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب ونحجره على جملة - ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالناطق.<sup>(٦٦)</sup>

ويضيف ابن جني في النص نفسه: "ولا يجف ذلك عليك على ما به من مظاهر انتقاض صنعتها، فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى، ألا ترى أن أقوى اللغتين وهي الحجازية في الاستفهام عن الأعلام نحو قولهم فيمن قال: مررت بزيد: من زيد؟ فالجر حكاية لجر المسؤول عنه، فهذا مما احتمل فيه إضعاف الإعراب لتقوية المعنى. ألا ترى أنه لو ركب اللغة التميمية طلبا لإصابة الإعراب فقال: من زيد؟ لم يضح من ظاهر اللفظ أنه إنما يسأل عن زيد هذا المذكور آنفا ولم يؤمن أن يظن به أنه إنما ارتجل سؤالا عن زيد آخر مستأنفا؟ (...) فهذا ونظائره يؤكد أن المعاني تتلعب بالألفاظ، تارة كذا، وأخرى كذا (...) وهذا في القرآن ما لا أحصيه لكثرتة."<sup>(٦٧)</sup>



إن هذه النصوص مجتمعة تبرز أن الظاهرة التطريزية وفي مقدمتها التنعيم تخرق مستويات الدرس اللغوي بما فيها الإعراب وهو أسمى المستويات عند النحاة العرب القدامى.

وهذا التوظيف التطبيقي للتطريز -بما فيه التنعيم- لم يقم به النحاة فقط، بل استعمله أصحاب الدراسات القرآنية أيضا، وذلك في معرض حديثهم الوظيفي عن قضايا ومقولات نحوية؛ فهذا المفسر النسفي يستعمل منحى الرفع أو قوة النغمة كذلك في الدلالة على القسم. قال النسفي: في قوله تعالى: ﴿قَالَ كُنْ أَرْسَلْنَاكَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوْنِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُوْنَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾<sup>(٦٨)</sup>: "فلما آتوه موثقهم قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام. قال بعضهم يسكت عليه لأن المعنى؛ قال يعقوب: (الله على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع)، غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز، فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله"<sup>(٦٩)</sup>.

ومن النصوص القديمة الواردة في حقل علم التجويد والموظفة للتنعيم قصد التفريق بين أنواع الجمل، وبخاصة بين النفي والإثبات والخبر والاستفهام، والتي اعتبرت إهمال المنحنيات التنعيمية عند قراءة القرآن الكريم لحنا خفيا قول أبي العلاء العطار الهمداني: "وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشاهدة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية. وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات والمملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي

والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف والإتمام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط"<sup>(٧٠)</sup> فالقارئ الذي لا يملك قدرة التمييز بين الأساليب والأبواب واقع، لا محالة، في اللحن الخفي، إذ التمييز بين هذه الأبواب والأساليب ضروري لتحقيق كمال الترتيل.

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق من النصوص القيمة التي حاولت أن توظف التنعيم تنظيرا وتطبيقا في التمييز بين المقولات النحوية القرآنية نصوصا مخطوطة في علم التجويد للسمرقندي (ت ٧٨٠هـ)؛ حيث قال في قصيدته (العقد الفريد):

"إذا (ما) لنفي أو لجحد فصوتها ار

فعن وللاستفهام مكن وعدلا

وفي غير اخفض صوتها والذي بما

شبيه بمعناه فقسه لتفضلا

كهزمة الاستفهام مع مَنْ وَأَنْ وَإِنْ وأفعل تفضيل وكيف وهل ولَّا"، قال في الشرح: "مثال ذلك: (ما قلته)، ويرفع الصوت بـ(ما) يعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية. وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن"<sup>(٧١)</sup>.

فرفع الصوت إذا يكون في جملة النفي وجملة الجحد، بينما تعديله يكون مع الاستفهام، بينما الجملة الخبرية يخفض فيها الصوت، وليس ذلك مقصورا على مثال واحد بل يشمل كل اللغة وكل الألسن. وقد أكد تمام حسان هذا بقوله في سياق حديثه عن التنعيم: "وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها

أداة الاستفهام فتقول لمن يكلمك ولا تراه: "أنت محمد"، مقررًا ذلك أو مستفهماً عنه وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام ولكن كل شيء فيما عدا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه." (٧٢)

وإذا كانت ثمة قوالب تركيبية تشترك في بنيتها من قبيل: "أفعل" التي تكون للتفضيل ولغيره، فقد نبه السمرقندي على أن التنغيم يميز ويفرق بينها فقال: "فينبغي أن يفرق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل، والذي ليس بمعنى التفضيل." (٧٣)

وكذلك الفرق بين (لا) النافية و(لا) الناهية. وكذلك اللام التي لتأكيد الفعل وبعدها همزة وصل مثل (لاتبعتم) تشبه بلا النافية التي بعدها همزة وصل في التلفظ نحو(لا انفصام لها)، وقال السمرقندي: "والفرق بينهما أنه في نحو (لانفصام) يكتب بألف واحدة، ويرفع الصوت على (لا) ويخفض على اللام ... فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية ودراية ومشاهدة وبياناً." (٧٤)

وفي السياق نفسه يقول الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن": "فحق على كل امرئ مسلم أن يرتله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه (...). فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم (...). فإذا مر به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك وسأل الله تعالى أن يعيده من النار.

وإن هو مر بآية فيها نداء وللذين آمنوا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقف عندها - وقد كان بعضهم يقول: "لبيك ربي وسعديك." ويتأمل ما بعدها مما أمر به ونهي عنه، فيعتقد بقول ذلك

(...) وإن كان ما يقرؤه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام، والانتهاز عن المنهي والاجتناب له، فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيد أو وعد الله به المؤمنين فليُنظر إلى قلبه، فإن جنح إلى الرجاء فزّعه بالخوف، وإن جنح إلى الخوف فسخ له في الرجاء؛ حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين، فإن ذلك كمال الإيمان (...). وإذا كان موعظة اعطش بها، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل" (٧٥)

إن الزركشي يشدد على قراءة القرآن على منازل؛ إذ لكل منزلة نمطها التنغيمي الخاص بها؛ فتمط التهديد ليس هو نمط التعظيم، ولا التخويف... بل إن الأمر يقتضي كذلك التأمل والاستحضار والاتعاظ، أي التفاعل المزدوج الأدائي والسلوكي.

ويضيف الزركشي في موضع آخر: "وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مثبثا ونافيا (...). ومنها: تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف، والإعراض، والإغضاب، والتشجيع، والتخويف. ويكون في مدح وذم، وشكاية واعتذار، وإذن ومنع.

(...) ومن ذلك: استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل، وزيادة تفهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خُفٍّ﴾ (٧٦)، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعْزِفُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (٧٧)؛ وسر هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثلث عليهم، فيسارع إلى التصديق، ويلقى في نفسه نور من التوفيق (...). ومثال الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»<sup>(٧٨)</sup>.

(...) ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٧٩)</sup>.

(...) ومنه الإبانة بالمدح، وربما مدح الكريم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب؛ كما أشار إليه القرآن (...) ومنه أن يذكر الترغيب مع التهيب ويشفع البشارة بالإندار.<sup>(٨٠)</sup>

إن كل هذه الأغراض التي هدف إليها القرآن الكريم تقتضي نطاقات تنغيمية خاصة بها لتحمل دلالتها أبلغ ما يكون؛ فإذا كان التنغيم الداعي الخاشع مقبولا مثلاً في آيات الاستغفار والتوبة فلا بد له من أن يختلف عن تنغيم آيات التهديد والوعيد؛ أي يجب أن يوافق التنغيم المعنى ويظهره، ليجعل المتلو في ذهن السامع وقلبه، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد.

ووظف القراء كذلك - في سياق حديثهم عن مقولات نحوية من قبيل النفي والتعظيم والدعاء والاستغاثة... نطاقاً تنغيميا سموه: المد المعنوي، وجعلوه قرينة لفظية على المبالغة في النفي والتعظيم، وكذا في الدعاء والاستغاثة؛ يقول ابن الجزري: "وأما السبب المعنوي [للمد] فهو قصد المبالغة في النفي (...) ومنه مد التعظيم في نحو (لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت) (...) ويقال له أيضاً مد المبالغة، قال ابن مهران في كتاب المدات له: إنما سمي مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله قال وهذا معروف عند العرب؛ لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة (...) وقد استحَب العلماء والمحققون

مد الصوت بلا إله إلا الله إشعاراً بما ذكرنا وبغيره. قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في الأذكار، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله (لا إله إلا الله) لما ورد فيه من التدبر (...) وروينا في ذلك حديثين مرفوعين أحدهما عن ابن عمر، من قال: (لا إله إلا الله) ومد بها صوته، أسكنه الله دار الجلال، داراً سمى بها نفسه (...) والآخر عن أنس من قال: (لا إله إلا الله) ومدّها هدمت له أربعة ذنوب. وكلاهما ضعيفان ولكنهما في فضائل الأعمال. وقد ورد مد المبالغة للنفي في (لا) التي للتبرئة في نحو (لا ريب فيه، لا شية فيها، لا مرد له، لا جرم) عن حمزة<sup>(٨١)</sup>.

وبهذا يتضح أن الدراسات المحايثة للدراسات النحوية الصادرة عن نحاة، أو تلك الموظفة لمقولات نحوية قد وظفت التطريز بعامه، والتنغيم بخاصة توظيفاً تطبيقياً مستفيضاً وتوظيفاً تنظيرياً محدوداً على نحو ما قام به الهمداني، ولكننا نزعّم أن ثمة حقولاً معرفية عربية قديمة قد استفاضت في التنظير للظاهرة التطريزية، بما في ذلك نطاقها الأشد أرثوذكسية. ويتعلق الأمر بكتب الموسيقى والخطابة.

## ٢,٣ الظواهر التطريزية في كتب الموسيقى والخطابة العربية؛

### ١,٢,٣ عوامل اهتمام كتب الموسيقى والخطابة العربية بالظواهر التطريزية؛

يقف المتفحص للدرس الصوتي العربي على توزيع قضاياه على مضان، وحقول تراثية متعددة، وفي ظل هذا التوزع، استأثرت كتب الموسيقى، والخطابة بحظ وافر من الظاهرة التطريزية؛ حيث خص علماء الحقلين المعرفيين "النغم، والتنغيم،



والمقطع، والنبر، والطول والوقف، [والإيقاع] بالدرس تعريفاً وتحديداً ودوراً في بنية الخطاب الموسيقي أو اللفظي.<sup>(٨٢)</sup>

ويعود هذا الاهتمام في رأي حنون (١٩٩٧)، إلى عوامل ذكر منها:

"أولاً، لأن الأمر يتعلق، في الحالتين، بالأداء أو بالإلقاء اللذين يعتمدان في الشعر والأغاني والخطب. فالشعر كان معداً في الأصل للإلقاء والإنشاد، والأغنية معدة للإلقاء والتطريب، والخطبة معدة للمخاطبة والإلقاء. وبما أن الأمر يتعلق بالإلقاء. فلم يكن بد من الاهتمام بالمشافهة وبكل تلاوين الصوت وتلاوين النغمات واتتلافها.

ثانياً، لأن للشعر والأغنية والخطبة لحناً يلزم كلا منها في حالة القراءة، بحيث يمكننا أن نفترض وجود ثوابت تطريزية وبنيات إيقاعية تعكسها النصوص الشعرية أو النثرية أو المغناة، وإذن، فالأمر يتعلق بـ "موسيقى لفظية" فيما يتصل بهذه النصوص. ومن هنا يمكن اعتبار الإيقاع اللفظي مناسباً للإيقاع الموسيقي.

ثالثاً، لأن هؤلاء المؤلفين قد واجهوا مسألة "طريقة التصويت"، أو "أسلوب التصويت"، أو "التعبير" في مقتضيات حالية متنوعة ومقامات متعددة تتنوع معها الانتقالات التطريزية.<sup>(٨٣)</sup>

وزيادة على ذلك يرجع هذا الاهتمام كذلك إلى:

رابعاً، احتكاك هؤلاء الفلاسفة احتكاكاً قوياً بالتراث الإغريقي، الذي خص هذه المظاهر باهتمام لافت. فقد كان هؤلاء في طليعة حركة الترجمة والاتصال بتراث الآخر.

خامساً، كون الخطابة - مفهوماً واصطلاحاً - تحمل التلوينات الصوتية، بل إن لفظ خطبة في

القواميس العربية يحيل على تنويعات في الكلام، وتلوينات في الأجسام.<sup>(٨٤)</sup>

سادساً، طبيعة نشأة التطريز نفسه؛ إذ نشأ منذ بداياته الأولى في أحضان الموسيقى، ولذلك من الطبيعي أن تكون قضايا هذا العلم ذات طبيعة موسيقية. ومن هنا تكون الموسيقى هي الحقل المعرفي الذي يلتقي التقاء موضوعياً مع المستوى اللحني للأقوال.

وتترتب نتائج في غاية الأهمية، على اهتمام الموسيقى بالقضايا التطريزية، منها:

١. "بما أن الموسيقى قد كانت العلم الذي أفاض في دراسة هذه المظاهر، فإنه قد كان عليها أن تكون المرجع الجوهري في دراسة الأصوات اللغوية مفردة ومركبة، ذلك أن "علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيها من صناعة الأصوات والنغم"<sup>(٨٥)</sup>، وأن بعض علم النحو مأخوذ من صناعة الموسيقى "كقولهم: الحركات أنواع: صاعد عال، ومنحدر سافل، ومتوسط بينهما"<sup>(٨٦)</sup>

٢. من "الحقائق التي تبدو لنا جديرة بالوقوف عليها والبحث فيها كون المصطلح الصوتي العربي القديم موسيقياً في جوهره."<sup>(٨٧)</sup>

٣. إن كتب النحو والصرف والقراءات والتجويد "تختزل وتكثف ما كتبه علماء الموسيقى وعلماء التشريح، فباتت العودة أولاً إلى الطبيعيات والتشريح القديمين عودة لا مفر منها من أجل فهم أفضل للمعرفة الصوتية القديمة، ولتجديد المعرفة الصوتية الحالية وتحديثها."<sup>(٨٨)</sup>

إن هذه النتائج أو الفرضيات في حاجة ماسة فعلاً إلى دراسة مستقلة لاختبار صحتها.<sup>(٨٩)</sup>

وبما أن كتب الموسيقى والخطابة قد أفاضت في

الحديث عن المقومات التطريزية، فإننا نقترح في هذا القسم، عدم الاكتفاء بترديد تلك النصوص، وإنما سنقوم بعرضها عرضاً منظماً، يسعفنا في الوقوف على القواعد التي تتحكم في التطريز، وفي إبراز أهمية هذين الحقلين المعرفين في بناء المعرفة التطريزية في الصوالة العربية.

## ٢،٢،٣ المقطع وعلاقته بالمالامح التطريزية؛

أصبح المقطع، منذ بزوغ الصوالة العروضية، الوحدة التطريزية الأساس لمقاربة النبر، والتنغيم، والإيقاع... وقد أفاضت الدراسات الموسيقية والخطابية العربية القديمة في الحديث عن هذا المكون وعن علاقته بالظاهرة التطريزية؛ وفي هذا الصدد اعتبر ابن سينا المقطع في مقدمة العناصر السبعة للفظ والمقالة، وأنه ينقسم إلى مقطع ممدود ومقطع مقصور، وأنه يتشكل من صوامت ومصوتات، وأن هذه الأخيرة تكون ممدودة ( ويطلق عليها المدات )، ومقصورة ( ويطلق عليها الحركات )، وذلك في قوله: "وأما اللفظ والمقالة فإن أجزاءه سبعة: المقطع الممدود والمقصور كما علمت، ويؤلف من الحروف الصامة - وهي التي لا تقبل المد البتة مثل الطاء، والباء والتي لها نصف صوت وهي التي تقبل المد مثل السين، والراء - والمصوتات التي يسميها مدات، والمقصورة وهي الحركات".<sup>(٩٠)</sup> وإذا كان هذا التحديد يبرهن على إدراك ابن سينا للمكونات المقطعية (الصوامت والمصوتات)، ولجزء من الأشكال المقطعية العربية، فإن الإدراك الأعظم مثله تعريف ابن رشد القائل: "المقطع: هو الذي يألف من حرفين: مصوت وغير مصوت؛ فإن كان المقطع مقصوراً قيل في حده حد الحرف المصوت وغير المصوت وكذلك المقطع الممدود ينحصر في حده حد

الحرف الغير مصوت والمصوت الممدود".<sup>(٩١)</sup> ويوضح بقوله: "وإذا تقرر أن هاهنا أموراً مركبة لم يجتمع منها شيء واحد بالفعل كالمركبة من الأشياء التي لا يكون منها واحد إلا بالتماس مثل الكدس المجموع من حبوب كثيرة، بل يكون المجتمع فيها بحيث يحدث عنه شيء زائد غير المجتمعات من غير أن يكون المجتمعات أنفسها، مثل المقطع الذي يحدث عن اجتماع الحرف المصوت وغير المصوت، فإن المقطع ليس هو اجتماع الحروف التي يتولد منها، بل هو شيء زائد عن الحروف الذي تولد منها شيء بل هو شيء زائد على الحروف مثل المقطع الذي هو باء أو لام".<sup>(٩٢)</sup> وليبرهن ابن رشد على الترابط الحاصل بين مكونات البنية المقطعية يستند على صورة حسية من الموجودات فيأخذ صورة اللحم الذي هو - على صعيد الأسطوانات الكلية - متكون من الأرض والماء والنار<sup>(٩٣)</sup> فيقارن بينهما؛ إذ "إن هذه إذا انحلت وفسدت ليس ينحل المقطع إلى مقاطع واللحم إلى لحوم كما تنحل الأشياء المجموعة إلى تلك التي اجتمعت منها أعني التي لا يحدث فيها عن الاجتماع شيء زائد (...) فالحروف هي التي نسبتها إلى السلابي نسبة النار والأرض إلى اللحم (...) فالسلابي شيء آخر هو، وليس هو الحروف، أي الحرف المصوت والذي لا صوت له، بل هو شيء آخر أيضاً. فإذا المقطع ليس هو الحروف التي تتركب منها أعني المصوت وغير المصوت".<sup>(٩٤)</sup>

لقد عرف أبو الوليد المقطع تعريفاً صوتياً دقيقاً، وبين أنه تأليف جديد يتكون من الصوامت والمصوتات، وهذا التأليف ليس مجرد تجميع لتلك العناصر الصوتية، أو تكديس لها، كما تتكدس، الحبوب وتتكوم. إنما هو وحدة صوتية كبرى، و"بنية لها نظامها الخاص المتميز المتفرد بفضل

صوغه الخاص لوحدي الصامت والمصوت.<sup>(٩٥)</sup>

وتنتج عن تركيب الصامت والمصوت الأشكال المقطعية الآتية:

المقطع الممدود (ص مص ص)؛ حيث يكون المصوت ممدودا، والمقطع المقصور (ص مص)؛ حيث يكون المصوت مقصورا.

وبعد عرض مبارك حنون لأراء الفلاسفة عن المقطع استنتج أن البنية المقطعية من خلال هذه الأعمال الموسيقية تتألف من:

١- ص مص

٢- ص مص مص

٣- ص مص ص

٤- ص مص مص ص

٥- ص مص ص ص<sup>(٩٦)</sup>

ورغم كون المقاطع مجرد قوالب فارغة مشكلة من القطع الصامته والمصوتة، فإنها تبقى وحدة حمالة للظواهر التطريزية كما قال تربتسكوي<sup>(٩٧)</sup>، ومن هاهنا يتساءل الدارس عن مدى ربط علماء الموسيقى والخطابة لقضايا التطريز بالمقطع؟

يقول أبو نصر الفارابي: "والحروف منها مصوت، ومنها غير مصوت. والمصوتات منها قصيرة، ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب "الحركات". والحروف غير المصوتة، منها ما يمتد بامتداد النغم، ومنها ما لا يمتد بامتداده، والممتدة مع النغم هي مثل اللام والميم والنون والهمزة والعين والزاي وما أشبه ذلك، وغير الممتدة مثل التاء والذال والكاف وما جانس ذلك. والحروف الممتدة بامتداد النغم، منها ما يبشع مسموع النغم إذا اقترنت بها، مثل العين والحاء والظاء وما أشبه ذلك، ومنها

ما لا يبشعه، وهي الثلاثة اللام والميم والنون، فاللام من بينها، تمتد وإن لم يسلك الهواء في مقعر الأنف، والميم والنون، فاللام من بينها، تمتد وإن لم يسلك الهواء في مقعر الأنف، والميم والنون، لا يمتدان إلا أن يسلك الهواء في الأنف<sup>(٩٨)</sup>. ويضيف الفارابي قائلا: "ويجمع إلى هذه (أي المصوتات الطويلة)، من غير المصوتات الممتدة، تلك الثلاثة التي لا تبشع مسموع النغم فتكون جميع الحروف التي تساقق النغم وتقترن بها ولا تنفك منها نغمة إنسانية وتستعمل استعمالا سلسا وتبين غير مستكره وتحس حسا غير مستبشع، خمسة عشر حرفا"<sup>(٩٩)</sup> وهذا النتيجة التي توصل إليها الفارابي، وجدناها أيضا في قول الحسن ابن أحمد بن علي الكاتب: "والحروف المصوتة تنقسم على ثلاثة أقسام وهي الألف والواو والياء، وهي التي تسمى حروف المد واللين عند العرب، وهي المصوتة الطوال التي تقع أبدا على أواخر الكلام ممتدة في اللحن. وهي المصوتة الطوال التي تقع أبدا على أواخر الكلام ممتدة في اللحن. فالألف حرف مستعل، والياء حرف منخفض، والواو حرف متوسط بين الاستعلاء والانخفاض، وكل هذه تنقسم أيضا إلى ثلاثة حروف ممتزجة، فتكون ممتزجة من الألف والياء ومن الياء والواو ومن الواو والألف كقولك: (يا) و(وي) و(إي). وكل هذه تمتد بسهولة. فصارت الحروف المصوتة تسعة. ويضاف إليها الحروف التي تمتد مع النغم بسهولة، هي: اللام والميم، والنون، وهذه تسمى حروف الغنة، فتكون الحروف التي تقتن بالنغم وتساققها ولا تبعد منها نغمة البتة، ويسهل استعمالها ولا تستكره خمسة عشر حرفا. وهذا ما يحتاج إليه في الألحان أشد الحاجة"<sup>(١٠٠)</sup> ويقول ابن الطيب السرخسي: "فالألف والواو والياء حروف الأصوات التي تلزمها النغم، لأنها في كل حال لا تخلو من مراتب الرقة



والغلظ اللازمة للأصوات، وهي التي تسمى الشدة واللين (...) ولكن الصحيح أن النغمة لا تنفك من حركة، فحيث يكون الحرف تكون الحركة وحيث تكون حركة الحرف تكون نغمة، والحرف لا ينفك من حركة وسكون<sup>(١٠١)</sup>

وتكشف هذه النصوص عن اقتران النغم -بصفته مستوى لحنيا- بالمصوتات الطويلة وبداؤها التسعة، والمصوتات القصيرة، وبصنفين من الصوامت: الصنف الأول ويتكون من الهمزة (والراجع أنه يقصد الألف) والعين والزاي والحاء والطاء، إلا أن هذه الحروف تبشع مسموع النغم، الصنف الثاني ويتكون من اللام والميم والنون المسماة بحروف الغنة، وهي حروف لا تبشع مسموع النغم. إن الأمر، إذن يعني أن النغم يقتصر بمكونات مقطعية معينة، وهي القطع التي تكون أكثر جهرارة، ومن ثم يمكن الحديث عن سلم الجهرارة التالي:

١. المصوتات الطويلة وبداؤها التسعة.

٢. المصوتات القصيرة .

٣. حرفا اللين (الواو والياء)

٤. حروف الغنة (الميم والنون واللام).<sup>(١٠٢)</sup>

ويمكن استخلاص علاقة المقطع بالنبر، من خلال قول ابن رشد: "إلا أن العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، كانت أواسط الأقاويل أو في أواخرها. وأما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم إذا كانت في أواسط الأقاويل. وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا (...) وقد يمدون المقاطع المقصورة في أواسط الأقاويل إذا كان بعض الفصول الكبار ينتهي إلى المقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة (...) وبالجمل إن ما

يمدون المقطع المقصور عند الوقف."<sup>(١٠٣)</sup>

وبهذا فإن العرب -حسب ابن رشد- تقرر النبر بالمقاطع. ولعمري إن هذا الفهم متقدم على تصور تلك المدارس اللسانية البنيوية والتوليديّة الكلاسيكية التي ربطت النبر بالقطع لا بالمقاطع، وبخاصة المقاطع الممدودة سواء كانت في أواسط الأقاويل أو في أواخرها. ومعنى هذا أن النبر يقتصر تحديدا بالنواة المقطعية المديدة أو ذات المورتين، ولا تحمله البتة المقاطع القصيرة، فإن حملته في أواخر الأقاويل، أي عند الوقف، تحولت هذه المقاطع القصيرة، في الأصل، إلى مقاطع طويلة، لتحقيق تجانس مقاطع هذه الفصول، أي بهدف إيقاعي محض. فالنبر لا يقع على المقاطع القصيرة فإذا حدث ذلك لزم تطويلها، وذلك عند الوقف، وهذا يعني تلازم النبر والطول والوقف في هذه الحالة<sup>(١٠٤)</sup>.

### ٣،٢،٣ في قواعد التنغيم والنغم والنبر والإيقاع:

لقد نظر الفلاسفة العرب لقواعد التنغيم، وبينوا وظائفه وتفاعله مع الملامح التطريزية الأخرى، وخاصة ملمح النبر، يقول ابن سينا: "للنغم مناسبة ما مع الانفعالات المختلفة والأخلاق. فإن الغضب تبعث منه نغمة بحال، والخوف تبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تبعث منه نغمة بحال، فيشبه أن يكون الثقل والجهر يتبع الفخامة، والحاد المخافت فئة تتبع ضعف النفس.

ومن أحوال النغم: النبرات، وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية، يبتدأ بها تارة، وتخلل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تكثر في الكلام، وربما تقل. ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصور ولتفخيم الكلام.

وربما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك. وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاما، والاستفهام تعجبا وغير ذلك<sup>(١٠٥)</sup>

لقد ذكر الشيخ الرئيس زمرة من الملامح التطريزية. إلا أنه - حسب فهمنا - خلط بينها. ويتجلى وجه الخلط في أنه يسند للنغم وظائف دلالية وتركيبية ويربطه بالنبر. والنبر إنما يرتبط بالتنعيم لا بالنغم فالتنعيم هو حصاد نبرات ونغمات.<sup>(١٠٦)</sup>

ويبدو لنا أن مصطلح النغم عند الفلاسفة العرب عموما يدل على شيئين: النغم إذا تعلق الأمر بالمفردات، والتنعيم (ويطلقون عليه اللحن أيضا) إذا كانوا يتحدثون عن الأقوال. وقد عَنَّا لنا هذا الاستنتاج من خلال الاحتكاك المتأني بالنصوص الفلسفية، وتؤكد هذا الحدس مقولة عبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): "ونجد الفارابي، قد استخدم مصطلح "النغم" Ton، ليستدل به على التنعيم (...). ويبدو أن اللحن عند الفارابي ذو منعكس دلالي، والمراد به التنعيم المصاحب للألفاظ. وعنده إن اللحن جماعة النغم التي تصاحب الحروف في رحلتها الإسماعية"<sup>(١٠٧)</sup> وتعقيب زاهيد (٢٠٠٠) على كلام ابن سينا السابق ذكره: "وليست دلالة النبرات هنا هو ما يعرف في علم الأصوات الحديث بنظرية النبر. بل ينضوي تحت هذا المصطلح في سياق ابن سينا كل الظواهر فوق مقطعية"<sup>(١٠٨)</sup>. وسبق لزاهيد (١٩٩٩) أن عقب على كلام الفارابي بشأن اللحن فقال: "فمرادف اللحن في علم الأصوات في نظري هو التنعيم.

فلا يمكن الحديث عن اللحن في إطار النغمة مفردة، بل في إطار مجموعة من النغمات، فكما أن التنعيم لا يمكن الحديث عنه في إطار الكلمة المفردة، بل في إطار مجموعة من الكلمات التي تكون الملفوظ Enoncé. فمن هذه الزاوية اللحن والتنعيم يتحققان في شيء أكبر من المفرد.<sup>(١٠٩)</sup>

وبهذا فإن ابن سينا يبرز أن للتنعيم وظائف تعبيرية ودلالية، وأن لكل نطاق تنغمي مناسبة مع انفعالات وأخلاق معينة؛ فالانتقال من نطاق إلى آخر إنما هو في الواقع نتيجة للانتقال من حالة انفعالية إلى حالة أخرى، ويوضح ذلك ابن زيلة عندما يقول: إن "الانتقال إلى النغمة الحادة يحاكي شمائل الغضب، والانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدراية، والانتقال إلى هبوط يتدارك بصعود راجع يعطي النفس همة شريفة مقوية مع شجى مخيل، وضدها يعطي هيئة لذيذة مائلة إلى الحق مع شجى"<sup>(١١٠)</sup> ويضيف أيضا: "أفضل الانتقالات في تركيب النغم هو الانتقال المحدث للسرور، وهو الذي يكون فيه من ثقل النغمات إلى حدثها، فيتبعه انتقال الصوت من خفض إلى رفع، وأما ما أشبهه فهو الذي يكون الانتقال فيه من حدة النغمات إلى ثقلها، فيتبعه انتقال الصوت من رفع إلى خفض. ومنها انتقالات في تركيب النغم تحدث السخاء، وأخرى تحدث الشجاعة، وأخرى تحدث الحمية والألفة، وأخرى تميل بالنفس إلى القوة، وأخرى تميل بها أضداد هذه الشمائل"<sup>(١١١)</sup>

فلأداء أدوار انفعالية ودلالية متنوعة، يتم الانتقال بين النطاقات التنغمية، حيث توظف الحدة والثقل<sup>(١١٢)</sup> إلى جانب عمليتي الصعود والهبوط، يقول حنون (١٩٩٧): "وهكذا يتضح أن هناك نطاقات تنغمية مختلفة يناسب كل نطاق تنغمي منها حالة أو موقفا للمتكلم يخص ما يرمي

إليه. وعليه، فكل تشكيل تنغمي متميز يسند إلى القول وظيفة انفعالية أو تعبيرية متفردة. وبطبيعة الحال، فالأمر لا يتعلق فحسب بصعود النغم وهبوطه، وإنما يتعلق أيضا بالحدة والثقل<sup>(١١٣)</sup>. وهذا التفاعل بين هذين المقومين هو ما انتبه إليه ابن زيلة قائلا: "إما أن يكون من طرف الثقل هابطا إلى الحدة، أو يكون من طرف الحدة صاعدا إلى الثقل، أو من الوسط هابطا إلى الحدة مرة، وصاعدا إلى الثقل مرة"<sup>(١١٤)</sup>.

وبهذا يمكن توزيع النغمات إلى ثلاثة مستويات:

١. النغمة العالية حيث تنتهي بدرجة إسماع عالية. ففي حالات الاستفهام والشرط، والغضب مثلا، تتوتر الحبال الصوتية عند نهاية الجملة، فيكون الصوت حادا. ولذلك حق لابن زيلة أن يخلص إلى أن "الانتقال إلى النغمة الحادة يحاكي شمائل الغضب". وإلى هذا السبب يرد وجود النغم الصاعد.

٢. النغمة المتوسطة: وتكون في الحالة العادية.

٣. النغمة الهابطة (الثقل): حيث تنتهي بدرجة إسماع منخفضة. وحسب ابن زيلة إن "الانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدراية". ففي حالات الضعف والعجز، والهدوء، والحلم، أو في الجمل التقريرية عموما، ترتخي الحبال الصوتية في نهاية الجملة، فيكون الصوت ثقيلًا. وهذا ما يفسر وجود النغم الهابط.

إلا أن ثمة انتقالا من مستوى إلى آخر، أو من نطاق إلى آخر، حيث إن "الانتقال إلى هبوط يتدارك بصعود راجع يعطي النفس همة شريفة مقوية مع شجى مخيل"، و"أفضل الانتقالات في تركيب النغم هو الانتقال المحدث للسرور، وهو الذي يكون فيه من ثقل النغمات إلى حداثها، فيتبعه

انتقال الصوت من خفض إلى رفع".

وبخصوص ما يطرأ على المقاطع من تغييرات بسبب اقتران النغم بها، يقول الحسن بن أحمد الكاتب: "فمتى وقع في طرف منها حرف ساكن من الحروف المصوتة جاء امتداده حسنا سهلا [ص مص مص]، ومتى وقع دونها حرف وجب أن تستعمل المدات في ذلك الحرف، ويتخطى إلى الآخر بسهولة وتلطف. [ص مص م+]

ومتى وقع أحد الحروف المصوتة قبل آخر الجزء بحرفين أو ثلاثة ولم يمكن الوقوف والتنغم إلا على آخر الجزء، فينبغي أن يردف الحرف بحرف مصوت ويمتد مع النغم. [...] مص [م] ص مص ص مص أو مص [م] ص مص ص مص ص مص [م]

ومتى كان الحرف من غير الحروف المصوتة ساكنا، وجعل بداية نغمة فلا بد من تحريك ذاك الساكن وتطويل الحرف القصير. [ص مص مص] فإن كان أحد الحروف الثلاثة المصوتة امتد مع النغم بسهولة، ومتى كان من غيرها أردف بحرف مصوت<sup>(١١٥)</sup>. ويقول ابن رشد في السياق ذاته: "إن عادة العرب في النغم قليلة. والنغم إنما تحدث إما مع المقاطع الممدودة، أو مع المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم إذا كانت في أوساط الأقاويل. وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا: فإن كانت فتحة أردفوها بألف، وإن كانت ضمة أردفوها بواو، وإن كانت كسرة أردفوها بياء. وذلك موجود في نهايات الأبيات التي تسمى عندهم القوافي. وقد يمدون المقاطع المقصورة في أوساط الأقاويل إذا كانت بعض الفصول الكبار ينتهي إلى مقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة، مثل قوله تعالى: ﴿وتظنون



بالله الظنوناً». وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف<sup>(١١٦)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى النبر الذي يعد كما أشار ابن سينا هيئة من هيئات التنعيم فإننا نضيف إلى ما قاله سابقا الشيخ الرئيس قول الحسن بن أحمد بن علي الكاتب: "والنبرات حروف في أوائلها همزات، وهي تقع أبدا في الحروف المصوتات"<sup>(١١٧)</sup> حيث ربط عملية النبر بالهمز أي الضغط ورفع الصوت الذي يكون حصرا على المصوتات لا غيرها ولكن ابن رشد سيحدد ذلك بالتدقيق في نصه الطويل: "والنبرات تستعمل إما في أبعاد ما بين الأقاويل، وإما في أبعاد ما بين الألفاظ المفردة، وإما في أبعاد ما بين الأرجل والمقاطع، وإما في أبعاد ما بين الحروف. والتي تستعمل منها في أبعاد ما بين الأرجل والمقاطع تخص الوزن الشعري. والتي تستعمل منها في أبعاد ما بين الحروف تخص الأغاني. فإذا كان مستعملا في أبعاد ما بين الألفاظ المفردة والأقاويل. والأقاويل صنفان: منها قصار ومنها طوال، ومنها التام ومنها غير التام (...). فالنبرات يستعملها الخطيب في أحد ثلاث مواضع: إما في نهاية الألفاظ المفردة، والأقاويل القصار التي هي أجزاء الأقاويل الطوال، وإما في أطراف الأقاويل التامة بالوجه الثاني أو في أنصافها أعني في أجزاء الخطبة الكبرى، فالتى تستعمل منها في نهاية الأقاويل القصار جدا والألفاظ المفردة تضارع الكلام الموزون لقرب مساواة الألفاظ المفردة والأقاويل القصار للمقاطع والأرجل. ولذلك ينبغي للخطيب أن يتوخى عند استعماله هذه النبرات أن يصير الكلام موزونا. وذلك أنها متى وقعت بين المقاطع والأرجل كان القول موزونا خطايا. وكثيرا ما يعرض في الخطب أن تقع

هذه النبرات والسكنات عند الأمة التي تستعمل السكنات أكثر ذلك موضع النبرات بين المقاطع والأرجل من غير أن يقصدوا ذلك، فيكون القول موزونا وهم لا يشعرون. وإنما يصح للخطيب هذا النوع من الوزن إذا اختار من الألفاظ المفردة الأقاويل القصار ما يقرب أن يكون مساويا للمقاطع والأرجل. والذي يستعمل هنا في أجزاء الأقاويل القصار التي هي أجزاء الأقاويل الطوال إنما يستعمل ليدل على انفصال قول من قول. وهذا إنما يستعمل في الأقاويل التامة بالتمام الأول فيما أحسب، وهي ضرورية في جودة التفهيم. وهذا الصنف من النبرات هو قليل إذا كان إنما يقع في نهاية الأقاويل القائمة بأنفسها، وهذه فيما أحسب هي التي تسمى عند العرب مواضع الوقف، فإن العرب تستعمل أكثر ذلك عوض النبرات: وقفات.

والصنف الثالث يستعمل في ابتداء الأقاويل وفي ختمها وفي توسطها لموضع الراحة. وهذه النبرات التي تستعمل في هذه المواضع الثلاثة عند الأمة التي تستعملها: منها ما يبتدأ فيها بمقاطع ممدودة وتنتهي بمقاطع مقصورة، ومنها ما يبتدئ بمقصورة وتنتهي بممدودة، ومنها ما تكون كلها ممدودة. والتي تكون من مقاطع ممدودة تشاكل الوسط لموضع الراحة. وينبغي أن تعلم أن الوقفات إذا أقيمت مقام النغمات صار القول باردا.<sup>(١١٨)</sup>

إن النبر هو هيئة من هيئات التنعيم وقواعد النبر التي تقترحها هذه النصوص يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

١. إن هناك أشكالا نبرية متعددة، منها ما يخص الشعر، ومنها ما يميز الغناء، ومنها ما يخص الأقوال النثرية الخطابية، وبخصوص ما يهم هذه الأخيرة فإن ابن رشد يميز بين نبر الكلمة ونبر الجملة أو ما يصطلح عليه بنبر السياق.

٢. إن النبر إنما يقع في الألفاظ وكذا في الأقاويل القصار على المقطع الأخير ولا يكون إلا طويلا، فإن لم يكن طويلا يتم تطويله

٣. إن نبر السياق يقع أيضا في أجزاء الجملة على الأطراف، أو لنقل المقطع الطويل الختامي، وما ليس طويلا فهو يطول، ومعنى هذا أن الطول المرتبط بالوقف إنما هو نبر، والأقاويل إنما هي أقاويل قصار، والأقاويل القصار إنما هي تأليف لألفاظ مفردة. وبهذا فهو يميز في الجوهر بين نبرين: نبر لفظي ونبر جملي أو سياقي.

٤. إن المقطع هو المتحكم في الطول.

٥. إن النبر في نهاية الأقاويل القصار والألفاظ المفردة يضارع أو يشابه النبر في الكلام الموزون أي يقع على المقاطع الطويلة الختامية لتشابه الأقاويل القصار جدا والألفاظ المفردة مع المقاطع والأرجل.

٦. إن المجهودات الجادة المبذولة من طرف المحدثين لتقعيد النبر في العربية تلتقي عموما مع خلاصة ابن رشد في كون النبر مرتبط بالمقاطع الطويلة. (١١٩)

وفي ما يخص الإيقاع أشار ابن رشد في النص السابق (والذي نضطر إلى تثبيت جزء منه) إلى أن الكلام المنثور يمكن أن يضارع الموزون؛ فيتوفر على الإيقاع وذلك بقوله: "التي يستعمل منها في نهاية الأقاويل القصار جدا والألفاظ المفردة تضارع الكلام الموزون لقرب مساواة الألفاظ المفردة والأقاويل القصار للمقاطع والأرجل. ولذلك ينبغي للخطيب أن يتوخى عند استعماله هذه النبرات أن يصير الكلام موزونا. وذلك أنها متى وقعت بين المقاطع والأرجل كان القول موزونا خطايا." لقد ربط أبو الوليد بين النبر والإيقاع حيث إن الإيقاع

هو حصاد نبرات في أجزاء متناسبة في الطول والقصر، ويتضح ذلك بجلاء من خلال مقولة ابن سينا التالية: "وللعرب أحكام أخرى في جعل النثر قريبا من النظم [أي متوفرا على العنصر الإيقاعي]، وهو خمسة أحوال. أحدها، معادلة ما بين مصاريع الفصول بالطول والقصر، والثاني، معادلة ما بينها في عدد الألفاظ المفردة، والثالث، معادلة ما بين الألفاظ والحروف (...)، والرابع، أن يناسب بين المقاطع الممدودة والمقصورة (...)، والخامس، أن يجعل المقاطع متشابهة" (١٢٠).

فقد ربط هذا النص الإيقاع في النثر بـ:

- تساوي مصاريع الأجزاء طولاً وقصراً.
- تساوي الأجزاء في عدد الألفاظ.
- تساوي ما بين الألفاظ والحروف.
- التناسب بين المقاطع مداً وقصراً.
- تشابه المقاطع.

وبهذا فإن الفلاسفة يركزون على مسألة التناسب والتشابه في الكمية وذلك بشكل هرمي: الأجزاء ثم المفردات ثم المقاطع. ويربطون بين النبر والإيقاع، من جهة وبين الطول والإيقاع من جهة أخرى. (١٢١)

والحاصل أن علماء الموسيقى والخطابة قد قدموا تنظييراً وافياً للقضايا التطريزية العربية؛ حيث بينوا قواعدها وتفاعلهما فيما بينها، وهذا التنظير لم يبق معزولاً عن المعارف العربية الأخرى، التي تفاعلت معه واستثمرت جوانب منه لتشكيل تكاملاً في بناء المعرفة الصوتية العربية.

### خلاصة:

لقد حاولنا أن نبرهن على وحدة المعرفة الصوتية العربية وعلى تكامل معارفها في تناول

(1) Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 1.

(٢) انظر فيما يتعلق بالنظرية المستقلة القطع والنظرية العروضية من بين آخرين:

Goldsmith J (1976). An Overview of Autosegmental Phonology.

Goldsmith, J (1976): Autosegmental Phonology.

Halle, M and Vergnaud, J, R (1982): On the Framework of Autosegmental Phonology

Lieberman, M, and Prince, A (1977): On Stress and Linguistic Rhythm.

Hogg, R and McCully, C, B (1987): Metrical Phonology: a Coursebook. Dell, F, Hirst, D, Vergnaud, J-R (1984) (ed) *Forme Sonore du langage: Structure des représentations en phonologie*.

Dell, F, Vergnaud, J-R (1984): *Les développements récents en phonologie: quelques idées centrales*.

Goldsmith, J. (1990), *Autosegmental and Metrical Phonology*.

Encrevé, P(1997): *L'Ancien et le Nouveau: Quelques remarques sur la phonologie et son histoire*.

هاري فان درهالست ونورفال سميث (١٩٩٢): *الفونولوجيا التوليدية الحديثة*.

العلوي، أحمد (١٩٩٢): *النظرية الفونولوجية*.

(3) Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 2.

(4) Mounin, G (1974): *Dictionnaire de la linguistique*, P. 274.

(٥) اللسانيات الموازية Paralinguistic أو اللغة الموازية

Paralanguage هو مصطلح استعمل من طرف

الصوارة فوق القطعية للإحالة على تغييرات النغم التي تبدو أقل نسقية من الملامح التطريزية (خاصة التنغيم

والنبر). مثلاً تتضمن الاستعمال المكبوت للأنفاس

المسموعة أو الصوت الصار، واللامح المتشنجة،

(مثل الضحك عند الكلام)، وتستوعب أيضاً استعمال

التمفصل الثانوي (مثل استدارة الشفتين، أو التأنيف)

لإنتاج نغم الصوت بهدف التلميح للمواقف، والدور

الاجتماعي، أو بعض المعاني الخاصة باللغة. ولمزيد من

قضاياها ومنها الملامح التطريزية، وفي ظل هذا التكامل خلصنا إلى ما يلي:

١. إن كتب الموسيقى والخطابة العربية قامت

بدور تنظيري للتطريز.

٢. إن الدراسات النحوية والصرفية والقرآنية...

تختزل وتكتف تلك التنظيرات، فشكلت مجالاً

تطبيقياً موازياً وواسعاً، يشهد على عدم إغفال

القدماء عامة، والنحاة خاصة للتطريز، كما زعم

دارسون كثرون، ويدعو الدارس إلى البحث بصبر

وأناة قبل إطلاق الأحكام.

٣. لا بد من تمكين العلاقة بين حقول المعرفة

الصوتية العربية في إطار نظرية تكامل العلوم

بأبعادها المتعددة والشاملة مع الكشف عن مواطن

التأثير والتأثر فيما بينها على مستوى الاصطلاحات

والقضايا.

وبالنظر إلى هذه النتائج يبدو لنا من المفيد

للمعرفة الصوتية العربية ربط حديثها بقديمها

في تناول قضاياها بعامة والقضايا التطريزية

بخاصة؛ إذ أصبح في حكم المتجاوز التسليم في

كون الحديث عن الملامح التطريزية للغة العربية

الفصحى قد انطلق مع المستشرقين الأوائل من

أمثال: كيرستان (١٦٠٨) وكيو (١٧٦٠)

Kallius، وميشايل (١٧٨١)، ولامبارت (١٨٩٧)

Lambert، وبركلمان (١٩٠٧)<sup>(١٢٢)</sup>، أو من خلال

الاستناد إلى مماثلة لغات أخرى سامية كالعبرية

والأثيوبية<sup>(١٢٣)</sup>، أو من خلال اللهجات العربية

المعاصرة<sup>(١٢٤)</sup>، أو الادعاء بأنه ليس لدينا ما يهدينا

إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها

في العصور الإسلامية الأولى.<sup>(١٢٥)</sup>



التفاصيل انظر:

- العربية ونحوها و صرفها، ص. ٢٥٢.
- (٢٥) حسان، تمام (د.ت): اللغة العربية :معناها ومبناها، ص. ٢٢٨.
- (٢٦) حسان، تمام (١٩٨٦): مناهج البحث في اللغة، ص. ١٩٧-١٩٨.
- (٢٧) الضالع، محمد صالح (١٩٩٩): قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، ص. ١٠.
- (٢٨) رمضان، محيي الدين (٢٠٠١): هل في العربية الفصيحة تنغيم؟، ص. ٥٥.
- (٢٩) رمضان، عبد التواب (١٩٨٢): المداخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، ص. ١٠٣-١٠٧.
- (٣٠) المرجع نفسه، ص. ٦١.
- (٣١) المرجع نفسه، ص. ٦٢.
- (٣٢) نستثنى من هؤلاء عددا من الباحثين منهم: كمال، بشر (١٩٨٠): علم اللغة العام: الأصوات، المسدي، عبد السلام (١٩٨١): التفكير اللساني في الحضارة العربية، ومجاهد، عبد الكريم عبد الرحمن (١٩٨٢): الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، وبوهاس، جورج (١٩٨٤): هل يمكن أن الحديث عن النبر في اللغة العربية؟، الفيومي، أحمد عبد التواب (١٩٩١): أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، وحنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنية اللغة، وكشك، أحمد (١٩٩٧): من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، وعبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): الأصوات اللغوية، وعبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): علم الصرف الصوتي، وزاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩)، الجوارنة، يوسف عبد الله (٢٠٠٢): التنغيم ودلالته في اللغة العربية، والبايبي، أحمد (٢٠٠٢): التنغيم عند ابن جني، و طالب، محمد هائل (٢٠٠٣): ظاهرة التنغيم في التراث العربي، والحازمي، عليان بن محمد (د.ت): التنغيم في التراث العربي ...
- (٣٣) كشك، أحمد (١٩٩٧): من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ص. ٥٧.
- (٣٤) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنية اللغة، ج. ٢، ص. ٣٥٢.
- (٣٥) يمكن العودة على سبيل المثال إلى كتب سيبويه، وابن
- Crystal, D (1964): Systems of prosodic and Paralinguistic Features in English. و Cruttenden. A (1986): Intonation, P. 177-180.
- (6) Crystal, D (1992): A Dictionary of Linguistics and Phonetics, P. 283.
- (7) Duboit, J. et Autres (1973): Dictionnaire de Linguistique, P. 398.
- (8) Spencer, A (1996): Phonology, Theory and Description, P. 35-36.
- (9) Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 1.
- (10) Robins, R.H (1957): Aspects of Prosodic Analysis, P.265-266.
- (١١) حنون، مبارك (٢٠٠٣): في الصوارة الزمنية: الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، ص. ٢٠.
- (12) Ladefoged, P (1975): A Course of Phonetics, P. 219.
- (13) Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 3-4.
- (14) Brosnahan, L. F, Malmberg, B (1970): Introduction to Phonetics, P. 147.
- (15) Fry, D (1968): Prosodic phenomena, P. 364, Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 5.
- (16) Brosnahan, L. F, Malmberg, B (1970): Introduction to Phonetics, P. 147.
- (17) Fox, A (2000): Prosodic Features and Prosodic Structure, P. 5.
- (18) Hyman, Larry M (1985): Phonology: Theory and Analysis, P. 186.
- (19) - Lehiste, I (1970): Suprasegmentals, P. 1.
- (٢٠) حنون، مبارك (٢٠٠٣): في الصوارة الزمنية: الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، ص. ٢٣.
- (٢١) فليش، هنري (١٩٦٦): العربية الفصحى، ص. ٤٩.
- (22) Cantineau, J (1960): Etudes de Linguistique Arabe, P. 149.
- (٢٣) فريجة، أنيس (١٩٥٥): اللهجات وأسلوب دراستها، ص. ٧٠، نقلا عن مجاهد، عبد الكريم عبد الرحمن (١٩٨٢): الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، ص. ٧٤.
- (٢٤) الأنطاكي، محمد (١٩٦٩): المحيط في أصوات

يعيش، والاستربادي، وابن جني، والإشبيلي، للوقوف على هذه الظواهر.

(36) Anderson, S, R (1985): Phonology in the Twentieth Century, P. 213.

(٣٧) ابن جني، عثمان (١٩٨٣): الخصائص، ج. ١، ص. ٢٧-٢٩.

(٣٨) صوت الناقة إذا مدت حينها اثر ولدها، وقد استعمل هنا في صوت الرعد.

(٣٩) الفيومي، أحمد عبد التواب (١٩٩١): أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، ص. ١٨٢.

(٤٠) في لسان العرب لابن منظور مادة (رزم): الرَزْمَةُ، بالتحريك: ضرب من حنين الناقة على ولدها حين تَرَأَّمه، وقيل: هو دون الحنين والحنين أشد من الرَزْمَةِ (...). رَزْمَةُ الصبي: صوته. وَأَرَزَمَ الرَّعد: اشتد صوته، وقيل: هو صوت غير شديد، وأصله من إِرْزَام الناقة. ابن الأعرابي: الرَزْمَةُ الصوت الشديد. وَرَزْمَةُ السباع: أصواتها. وفيه أيضا مادة (ث ن ي) التثني هو: التكسر والانحناء، وهو في معجم العين للخليل مادة (ث ن ي): التلوي.

(٤١) السعدي، علي بن جعفر (١٩٨٣): كتاب الأفعال، ج. ١، ص. ٢٤٣.

(٤٢) البايبي، أحمد (قيد الإنجاز): القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص. ١٤٨-١٤٩.

(٤٣) الفيومي، أحمد عبد التواب (١٩٩١): أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، ص. ١٨٢-١٨٤.

(٤٤) المرجع، نفسه، ص. ١٨٥.

(٤٥) ابن جني، عثمان (١٩٨٣): الخصائص، ج. ٢، ص. ٣٧٠-٣٧٢.

(٤٦) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبينية اللغة، ج. ٢، ص. ٣٥٦.

(٤٧) ابن منظور: مادتا: (ط و ح)، و(ط ر ح).

(٤٨) ابن جني، عثمان (١٩٨٣): الخصائص، ج. ٢، ص. ٢٣٢.

(٤٩) الضالع، محمد صالح (١٩٩٩): قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، ص. ٢٥.

(٥٠) انظر: البايبي، أحمد (٢٠٠٣): التنغيم عند ابن جني، ص. ٦-١٧؛ حيث تمت تجلية التنغيم عند النحاة

من خلال أعمال ابن جني النبيلة، وسيقت نصوصه منظمة في ثلاث فقرات؛ عولجت في الأولى الملامح التنغيمية، وفي الثانية وظائف التنغيم الانفعالية والتعبيرية والتركيبية والدلالية على التوالي، وبهذا ظهر في الفقرة الثالثة أن التنغيم ليس مشارا إليه فحسب، بل يخرق قواعد النحاة التركيبية، والصوتية، والدلالية، والإعرابية.

(٥١) ابن جني، عثمان (١٩٨٣): المنصف: شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، ج. ١، ص. ٢٥٥.

(٥٢) ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي (د.ت): شرح المفصل، ج. ٢، ص. ١٣.

(٥٣) المصدر، والجزء نفسيهما، ص. ١٥.

(٥٤) انظر نصوص ابن جني الواردة في كتاب المحتسب على سبيل المثال في: البايبي، أحمد (٢٠٠٣): التنغيم عند ابن جني، ص. ٦-١٧.

(٥٥) الشوري، آ: ٢٥.

(٥٦) الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد (د.ت): معاني القرآن، ج. ٣، ص. ٢٣.

(٥٧) ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (١٩٩٢): إعراب القراءات السبع وعللها، ج. ٢، ص. ٢٨٣.

(٥٨) ابن جني، عثمان (١٩٩٤): المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، ج. ٢، ص. ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٦٠) البايبي، أحمد (٢٠٠٣): التنغيم عند ابن جني، ص. ٧-٨.

(٦١) البقرة، آ. ١٨٥.

(٦٢) طه، آ. ٧٤.

(٦٣) يقصد ابن جني كما سيتضح من بقية النص، لأنه يطابق نصا لابن جني، عثمان (١٩٩٤): المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، ج. ٢، ص. ٢٠٩، ولعل هذا يزكي تشكيك محقق كتاب (إعراب القرآن للزجاج (ت ٣١٦هـ) بينما عاش ابن جني ما بين ٣٢٢ و٣٩٢هـ)، فكيف يستدل السابق باللاحق؟ إن هذا يؤكد فرضية انتساب هذا الكتاب لمكي بن أبي طالب القيسي.

(٦٤) البقرة، آ. ١٨٥.

(٦٥) الزجاج (١٩٨٦): إعراب القرآن، ج. ٣، ص. ٧٨٣-٧٨٦.

- (٦٦) ابن جني، عثمان (١٩٩٤): المحتسب في تبیین وجوه القراءات والإيضاح عنها، ج. ٢، ص. ٢١٠-٢١١.
- (٦٧) المصدر والجزء نفسيهما، ص. ٢١١.
- (٦٨) يوسف، آ: ٦٦.
- (٦٩) النسفي، عبد الله بن أحمد (د.ت): مدارك التنزيل، ج. ٢، ص. ١٩٧.
- (٧٠) الهمداني، أبو العلاء العطار (مخطوط): التمهيد، ص. ١١٩-١٢٠، نقلًا عن: قدوري، غانم الحمد (١٩٨٦): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٥٦٧.
- (٧١) السمرقندي، محمد بن محمود بن محمد (مخطوط): روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، ١٣٩٩، نقلًا عن: قدوري، غانم الحمد (١٩٨٦): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٥٦٧.
- (٧٢) حسان، تمام (١٩٨٦): مناهج البحث في اللغة، ص. ١٩٨.
- (٧٣) السمرقندي، محمد بن محمود بن محمد (مخطوط): روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، ص. ١٤١ و١٤٢، نقلًا عن: قدوري، غانم الحمد (١٩٨٦): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٥٦٨.
- (٧٤) المصدر نفسه، ص. ١٤١، والمنقول عنه نفسه، الصفحة نفسها.
- (٧٥) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٨٨): البرهان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٥٣٢-٥٣٣.
- (٧٦) سبأ، آ: ٤٦.
- (٧٧) العنكبوت، آ: ٤٣.
- (٧٨) الأعراف، آ: ٢٣.
- (٧٩) الممتحنة، آ: ٩.
- (٨٠) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٨٨): البرهان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٣٨٩-٣٩٤.
- (٨١) ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد (د.ت): النشر في القراءات العشر، ج. ١، ص. ٣٤٤-٣٤٥، وانظر كذلك: السيوطي، جلال الدين (د.ت): الإتيان في علوم القرآن، ج. ١، ص. ٩٦-٩٧، والمارغيني، إبراهيم (١٩٩٥): النجوم الطوالع على الدرر اللوامع

- في أصل مقرأ الإمام نافع، ص. ٥١.
- (٨٢) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنينة اللغة، ج. ٢، ص. ٣٥٧.
- (٨٣) المرجع نفسه، ص. ٣٥٨.
- (٨٤) ورد في ابن فارس، أحمد (١٩٧٩): معجم مقاييس اللغة، مادة (خ ط ب): "وَالْخُطْبَةُ: الكلام المخطوب به (...) وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَاخْتِلَافُ لَوْنَيْنِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: الْخُطْبَاءُ: الْأَتَانُ الَّتِي لَهَا خَطٌّ أَسْوَدٌ عَلَى مَتْنِهَا، وَالْحِمَارُ الذَّكَرُ أَخْطَبُ: الْأَخْطَبُ: طَائِرٌ، وَلَعَلَّهُ يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ لَوْنَانِ". وفي ابن منظور، محمد مكرم (د.ت): لسان العرب، مادة (خ ط ب): "وذهب أبو إسحق إلى أن الْخُطْبَةَ عند العرب الكلام المنشور المسجع ونحوه (...) وَالْخُطْبَةُ لَوْنٌ يَضْرِبُ إِلَى الْكَدْرَةِ مَشْرَبٌ حَمْرَةٌ فِي صَفْرَةٍ كَلَوْنِ الْحَنْظَلَةِ الْخُطْبَاءِ قَبْلَ أَنْ تَبْيَسَ وَكَلَوْنِ بَعْضِ حَمْرِ الْوَحْشِ وَالْخُطْبَةُ الْخَضْرَاءُ وَقِيلَ: غَبْرَةٌ تَرْهَقُهَا خَضْرَاءُ وَالْفِعْلُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ خُطِبَ خُطْبًا وَهُوَ أَخْطَبَ وَقِيلَ: الْأَخْطَبُ الْأَخْضَرُ يَخَالُطُهُ سَوَادٌ وَأَخْطَبَ الْحَنْظَلُ أَصْفَرَ أَيِ صَارَ خُطْبَانًا وَهُوَ أَنْ يَصْفَرَ وَتَصِيرَ فِيهِ خُطُوطٌ خَضِرٌ، وَحَنْظَلَةٌ خُطْبَاءٌ صَفْرَاءٌ فِيهَا خُطُوطٌ خَضِرٌ وَهِيَ الْخُطْبَانَةُ وَجَمْعُهَا خُطْبَانٌ وَخُطْبَانُ الْأَخِيرَةِ نَادِرَةٌ وَقَدْ أَخْطَبَ الْحَنْظَلُ وَكَذَلِكَ الْحَنْظَلَةُ إِذَا لَوَتْ".
- (٨٥) ابن جني، عثمان (١٩٨٥): سر صناعة الإعراب، ج. ١، ص. ٩.
- (٨٦) السيوطي، جلال الدين (١٩٧٦): الأشباه والنظائر في النحو، ص. ٩٥.
- (٨٧) حنون، مبارك (١٩٩٩): تصدير لكتاب زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): الصوت في علم الموسيقى العربية، ص. ٤.
- (٨٨) المرجع والصفحة نفسيهما.
- (٨٩) البايبي، أحمد (قيد الإنجاز): القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص. ١٦٠-١٦٢.
- (٩٠) ابن سينا (١٩٦٦): الشفاء: المنطق، ٩. الشعر، ص. ٦٥. نقلًا عن: المسدي، عبد السلام (١٩٨١): التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص. ٢٦١-٢٦٢.
- (٩١) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد (١٩٦٧): تفسير ما بعد الطبيعة، ص. ٨٩٢.
- (٩٢) المصدر نفسه، ص. ١٠١٦.



الفلاسفة في: زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): الصوت  
في علم الموسيقى العربية، ص. ٥٣-٦٩.

(١١٣) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنية  
اللغة، ج. ٢، ص. ٣٦٣.

(١١٤) ابن زيلة (١٩٦٤): الكافي في الموسيقى، ص. ٤١.

(١١٥) الكاتب، الحسن بن أحمد بن علي (١٩٧٥): كمال أدب  
الغناء، ص. ٧٢.

(١١٦) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد  
(١٩٥٩): تلخيص الخطابة، ص. ٢٨٦-٢٨٧.

(١١٧) الكاتب، الحسن بن أحمد بن علي (١٩٧٥): كمال أدب  
الغناء، ص. ٧٩.

(١١٨) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد  
(١٩٥٩): تلخيص الخطابة، ص. ٢٨٥-٢٨٧.

(١١٩) انظر: أنيس، إبراهيم (١٩٦١): الأصوات اللغوية،  
ص. ١٦٣-١٧٥. وحسان، تمام (د.ت): اللغة العربية:  
معناها ومبناها، ص. ١٧٠-١٧٥. وانظر مناقشة هذه  
الاقتراحات واقتراحات جديدة في عبده، داود (١٩٧٩):  
دراسات في علم أصوات العربية، ص. ١٠٧-١٣٧. وانظر  
كذلك: حسان، تمام (٢٠٠٠): البيان في روائع القرآن،  
ج. ١، ص. ١٧٥-١٨٩. وكلها تركز على المقطع الطويل  
كمجال لحصول النبر، وسنبور هذه الملاحظة لاحقا.

(١٢٠) ابن سينا (١٩٥٤): الخطابة، ص. ٢٢٥.

(١٢١) البايبي، أحمد (قيد الإنجاز): القضايا التطريزية  
في القراءات القرآنية، ص. ١٦٨-١٧٢.

(١٢٢) انظر من بين آخرين: Angoujard, J-P (١٩٩٠):  
Metrical Structure Of Arabic، والمساي، مناف  
مهدي محمد (١٩٩١): النبر والتنغيم في اللغة.

(١٢٣) انظر من بين آخرين: Lambert, M (١٨٩٧):  
De l'accent en arabe، المساي، مناف مهدي محمد  
(١٩٩١): النبر والتنغيم في اللغة.

(١٢٤) انظر من بين آخرين: Brame, M.K (١٩٧٠):  
Arabic Phonology

(١٢٥) انظر من بين آخرين: أنيس، إبراهيم (١٩٧٩):  
الأصوات اللغوية.

(٩٣) المسدي، عبد السلام (١٩٨١): التفكير اللساني في  
الحضارة العربية، ص. ٢٦٣.

(٩٤) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد (١٩٦٧):  
تفسير ما بعد الطبيعة، ص. ١٠١٦-١٠١٧.

(٩٥) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنية اللغة،  
ج. ٢، ص. ٣٨٤.

(٩٦) المرجع نفسه، ص. ٣٨٨.

(97) Troubetzkoy, N.S. (1939/1976): Principes  
de Phonologie. P.196.

(٩٨) الفارابي (١٩٦٧): كتاب الموسيقى الكبير، ص. ١٠٧٢-  
١٠٧٣.

(٩٩) المصدر نفسه، ص. ١٠٧٤.

(١٠٠) الكاتب، الحسن بن أحمد بن علي (١٩٧٥): كمال أدب  
الغناء، ص. ٦٣.

(١٠١) نقلا عن: المصدر نفسه، ص. ٦٤-٦٥.

(١٠٢) حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبنية اللغة،  
ج. ٢، ص. ٢٨٦.

(١٠٣) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد  
(١٩٥٩): تلخيص الخطابة، ص. ١٠٠.

(١٠٤) البايبي، أحمد (قيد الإنجاز): القضايا التطريزية  
في القراءات القرآنية، ص. ١٦٤-١٦٧.

(١٠٥) ابن سينا (١٩٥٤): الخطابة، ص. ١٩٨.

(١٠٦) انظر من بين آخرين:

Selkirk, E (1984): Phonology and Syntax: The  
Relation between Sound and Structure,  
و Selkirk, E (1995): Sentence Prosody:  
Intonation, Stress, and Phrasing,

(١٠٧) عبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): الأصوات اللغوية،  
ص. ٢٥٥.

(١٠٨) زاهيد، عبد الحميد (٢٠٠٠): الصوت في الدراسات  
النقدية والبلاغية التراثية والحديثة: عرض ونقد،  
ص. ٨٥.

(١٠٩) زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): الصوت في علم  
الموسيقى العربية، ص. ٣٦-٣٧.

(١١٠) ابن زيلة (١٩٦٤): الكافي في الموسيقى، ص. ٤٣.

(١١١) المصدر نفسه، ص. ٦٥.

(١١٢) انظر الحدة والثقل وأسبابهما في الصوت عند

## المصادر والمراجع

### باللغة العربية:

#### القرآن الكريم.

ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (١٩٩٧): التمهيد في علم التجويد، تح غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط. ٤.

ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (د.ت): النشر في القراءات العشر، صححه محمد علي الضباع، دار الفكر.

ابن جني، عثمان (١٩٥٤): المنصف: شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، تح، إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، القاهرة، ط. ١.

ابن جني، عثمان (١٩٨٣): الخصائص، تح. محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط. ٢.

ابن جني، عثمان (١٩٨٥): سر صناعة الإعراب، تح. حسن هنداي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط. ١.

ابن جني، عثمان (١٩٩٤): المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، تح. علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (١٩٩٢): إعراب القراءات السبع وعللها، تح. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط. ١.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد (١٩٥٩): تلخيص الخطابة، تح. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد (١٩٦٧): تفسير ما بعد الطبيعة، تح. مورييس بوجاس، دار المشرق، بيروت، لبنان.

ابن زيلة (١٩٦٤): الكافي في الموسيقى، تح. زكرياء يوسف، دار القلم، القاهرة، مصر.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (١٩٥٤): الخطابة، تح. محمد سليم سالم، نشر وزارة المعارف، القاهرة، مصر.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (١٩٦٦): الشفاء:

المنطق، ٩. الشعر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.

ابن فارس، أحمد (١٩٧٩): معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام هارون، بيروت، لبنان.

ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (د.ت): شرح المفصل، دار صادر، بيروت، لبنان.

الإشيلي، ابن عصفور (١٩٧٠): الممتع في التصريف، تح. فخر الدين قباوة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط. ٤، ١٩٧٩.

الأنطاكي، محمد (١٩٦٩): المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط. ٣.

الأستربادي، رضي الدين محمد بن الحسن (١٩٧٥): شرح شافية بن الحاجب، تح. محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أنيس، إبراهيم (١٩٧٩): الأصوات اللغوية، دار الوهدان، ط. ٥.

البياتي، سناء حميد (٢٠٠٠): التنعيم في القرآن الكريم، مجلة الثقافة العربية، ع. ٥، س. ٢٨.

البايبي، أحمد (٢٠٠٣): التنعيم عند ابن جني، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع. ٤١، س. ١١.

البايبي، أحمد (قيد الإنجاز): القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، مرقونة.

بوهاس، جورج (١٩٨٤): هل يمكن أن الحديث عن النبر في اللغة العربية؟، ندوة البحث اللساني والسيماي، منشورات كلية الآداب بالرباط، س. ٦، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط. ١.

الجوارنة، يوسف عبد الله (٢٠٠٢): التنعيم ودلالته في اللغة العربية، مجلة الموقف الأدبي، ع. ٣٦٩، س. ٣١.

حسان، تمام (١٩٨٦): مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

حسان، تمام (٢٠٠٠): البيان في روائع القرآن، عالم الكتب،

السعدي، علي بن جعفر (١٩٨٣): كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

السمرقندي، محمد بن محمود بن محمد (مخطوط): روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ١٩/٣ مخطوطات جامع النبي شيت)، الأوراق ٢٥-١.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٩١): كتاب سيبويه، تح. وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط. ١.

السيوطي، جلال الدين (١٩٧٦): الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدمه فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، ط. ١.

السيوطي، جلال الدين (د.ت): الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر.

الضالع، محمد صالح (١٩٩٩): قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع. ٦٧، م. ١٧.

طالب، محمد هائل (٢٠٠٣): ظاهرة التنغيم في التراث العربي، عن الموقع الإلكتروني: لمجلة التراث العربي، ع. ٩١، س. ٢٣.

عبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط. ١.

عبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨): علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. ١.

عبد، داود (١٩٧٩): دراسات في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، الكويت.

العلوي، أحمد (١٩٩٢): النظرية الفونولوجية، مجلة مكناسة، ع. ٦.

عمر، أحمد مختار (١٩٩١): دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط. ١.

الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد (د.ت): معاني القرآن، تح. أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور.

فريجة، أنيس (١٩٥٥): اللهجات وأسلوب دراستها، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر.

فليش، هنري (١٩٦٦): العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، المغرب، ط. ١.

حسان، تمام (د.ت): اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

حنون، مبارك (١٩٩٤): المد والسكون، مجلة التواصل اللساني، م. ٦، ع. ١-٢.

حنون، مبارك (١٩٩٧): في بنية الوقف وبينية اللغة، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، مرقونة.

حنون، مبارك (١٩٩٩): تصدير لكتاب زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): الصوت في علم الموسيقى العربية، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط. ١.

حنون، مبارك (٢٠٠٣): في الصوارة الزمنية: الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط. ١.

الحازمي، عليان بن محمد (د.ت): التنغيم في التراث العربي، عن الموقع الإلكتروني:

[www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag23/f19.htm](http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag23/f19.htm)

رمضان، عبد التواب (١٩٨٢): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، القاهرة، مصر، ط. ١.

رمضان، محيي الدين (٢٠٠١): هل في العربية الفصحى تنغيم؟ مجلة اللسان العربي، ع. ٥٢.

الزجاج (١٩٨٦): إعراب القرآن، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط. ٣.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٨٨): البرهان في علوم القرآن، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ١.

زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): الصوت في علم الموسيقى العربية، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب.

زاهيد، عبد الحميد (١٩٩٩): نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب.

زاهيد، عبد الحميد (٢٠٠٠): الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية التراثية والحديثة: عرض ونقد، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب.



النسفي، عبد الله بن أحمد (د.ت): مدارك التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

الهمذاني، أبو العلاء العطار (مخطوط): التمهيد في التجويد، مكتبة جسترنتي، دبلن، رقم ٣٩٤٥، وهو منسوب للمستغفري، أبي بكر جعفر بن محمد.

هاري شان درهالست ونورفال سميث (١٩٩٢): الفونولوجيا التوليدية الحديثة، ترجمة حنون مبارك، والعلوي أحمد، منشورات سال، ط. ١.

### باللغات الأجنبية:

Anderson, S, R (1985) : **Phonology in the Twentieth Century: Theories of Rules and Theories of Representations.**

Angoujard, J-P (1990): **Metrical Structure Of Arabic**, Foris Publications- Dordrecht.

Brame, M.K (1970): **Arabic Phonology: Implication for phonological theory and general semitic**, Ph. D inedit MIT.

Brosnahan, L. F, Malmberg, B (1970) **Introduction to Phonetics**, Combridge University Press, Combridge, London, New York, Melbourne.

Cantineau, J (1941): **Cours de Phonétique Arabe**, G. Millon, Editeur Librairie, Alger.

Cantineau, J (1960): **Etudes de Linguistique Arabe**, Klincksieck, Paris.

Chenfour, N (2003): **Etude des Allongements Syllabiques dans le Système Accentuel Arabe**, Langues et Linguistique, 12, P. 13-41.

Chomsky, N and Halle, M (1968) : **The Sound Pattern of English**, Happer and Row Publishers.

Cruttenden, A (1986) : **Intonation**, Cambridge Textbooks in Linguistics, Cambridge University Press.

Crystal, D (1992) : **A Dictionary of Linguistics and Phonetics**, Blackwell Publishers, 3rd edition.

Dell, F, Hirst, D, Vergnaud, J-R (1984) (ed) : **Forme Sonore du langage: Structure des représentations en phonologie**, Hermann, Paris.

Dell, F, Vergnaud, J-R (1984): **Les développements récents en phonologie: quelques idées centrales**, Dans: Dell, F, Hirst, D, Vergnaud, J-R (1984) (ed) **Forme Sonore du langage: Structure des représentations en phonologie**, Hermann, Paris.

الفارابي (١٩٦٧): كتاب الموسيقى الكبير، تح. غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، سلسلة تراثنا، مصر.

الفيومي، أحمد عبد التواب (١٩٩١): أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، مطبعة السعادة، ط. ١.

قدوري، غانم الحمد (١٩٨٦): الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراق، سلسلة الكتب الحديثة، بغداد، العراق، ط. ١.

القيسي، مكي بن أبي طالب (١٩٨٤): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط. ٣.

كشك، أحمد (١٩٩٧): من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، (لا ذكر للناسر)، القاهرة، مصر، ط. ٢.

كمال، بشر (١٩٨٠): علم اللغة العام: الأصوات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط. ٧.

الكاتب، الحسن بن أحمد بن علي (١٩٧٥): كمال أدب الغناء، تح. غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

كنّون، الحسين (١٩٩٢): الإعراب بين الحد والوظيفة، اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، س الندوات، ٤، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب.

مجاهد، عبد الكريم عبد الرحمن (١٩٨٢): الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، مجلة الفكر العربي، ع. ٢٦، س. ٤.

المسدي، عبد السلام (١٩٨١): التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس.

المساوي، مناف مهدي محمد (١٩٩١): النبر والتنغيم في اللغة، مجلة اللسان العربي، ع. ٣٥.

المارغيني، إبراهيم (١٩٩٥): النجوم الطوائع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع،

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (١٩٧٧): إعراب القرآن، تح. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد.

- Lehiste, I (1970): **Suprasegmentals**, Cambridge, MIT Press.
- Liberman, M, and Prince, A (1977): **On Stress and Linguistic Rhythm**, reprinted in Goldsmith, J (1999) (ed): **Phonological Theory: The essential readings**, Black Well.
- Malmberg, B (1963): **Phonetics**, Dover Publications, Inc.
- Malmberg, B (1974): **Phonétique Générale: Introduction à l' analyse scientifique de l'expression du langage**, Editions Picard, Paris.
- McCarthy, J (1979): **Formel Problems in Semitic Phonology and Morphology**, MIT, Distributed by Indiana University Linguistic Club,
- McCarthy. J (1981): **A prosodic theory of nonconcatenative morphology**, Linguistic Inquiry P. 373-418.
- Mounin, G (1974): **Dictionnaire de la linguistique**, Press Universitaires de France, Paris.
- Roach, Peter (1992): **Phonetics**, Penguin English.
- Robins, R. H (1967): **A Short History of Linguistics**.
- Selkirk, E (1984): **Phonology and Syntax: The Relation between Sound and Structure**, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England.
- Selkirk, E (1986): **On Derived Domains in Sentence Phonology**. In Kreidler, C, W(eds) (2001): **Phonology: Critical concepts**, Routledge, London and New York, P. 270-305 V:5.
- Selkirk, E (1995): **Sentence Prosody: Intonation, Stress, and Phrasing**, in Goldsmith, J (ed) (1995): **The Handbook of Phonological Theory**, Black Well Hand books in linguistics; 1, Black Cambridge University Press. Well.
- Spencer, A (1996): **Phonology, Theory and Description**, Blackwell.
- Troubetzkoy, N.S (1939/1976): **Principes de Phonologie**, Traduct. Cantineau, J, Klincksieck, Paris.
- Dubois, et autres (1973): **Dictionnaire de Linguistique**, Larousse, Paris.
- Encrevé, P(1997): **L'Ancien et le Nouveau: Quelques remarques sur la phonologie et son histoire**, Languages 125,p100-123. Linguistics, P. 125.
- Firth, J. R (1957): **Papers in Linguistics 1934-1951**, Oxford, University Press, London.
- Fleisch, H (1961): **Traité de Philologie Arabe**, V. 1, Imprimerie Catholique, Beyrouth.
- Fox, A (2000): **Prosodic Features and Prosodic Structure**, Oxford, University Press, Inc, New York.
- Fry, D, B (1968): **Prosodic phenomena**, In Malmberg, B (1968): **Manual of Phonetics**, North Holland.
- Goldsmith, J (1976): **An Overview of Autosegmental Phonology**, reprinted in Goldsmith, J (1999) (ed): **Phonological Theory: The essential readings**, Black Well.
- Goldsmith, J (1976): **Autosegmental Phonology**, Indiana University Linguistic Club, Published in (1979) By Garland Press, New York.
- Goldsmith, J (1990): **Autosegmental and Metrical Phonology**, Oxford.
- Goldsmith, J (1995) (ed): **The Handbook of Phonological Theory**, Black Well Hand books in linguistics. 1, Black Well, Cambridge University Press.
- Hogg, R and McCully, C B (1987) : **Metrical Phonology : a Coursebook**, Cambridge University Press.
- Hulst, H v d and Smith, N(eds) (1982): **The Structure of Phonological Representations**, Foris Publications.
- Kreidler, C, W(eds) (2001): **Phonology: Critical concepts**, Routledge, London and New York.
- Laks, B (1997): **Nouvelles Phonologies, Languages**, 125, p. 3- 13.
- Lambert, M (1897): **De l'accent en arabe**, Journal Asiatique, Paris.
- Lass, R (1984): **Phonology: an introduction to Basic concepts**, Cambridge University Press.
- Laver, J (1994): **Principles of Phonetics**, Cambridge University Press.

# ( لماذا ) مفتاح التحليل الدلالي ( دعاء الرسول محمد ﷺ في الطائف أنموذجا )

الدكتورة عزة عدنان أحمد عزت  
هيئة العلوم الانسانية  
قسم اللغة العربية / جامعة زاخو - العراق

## المقدمة

مما لا شك فيه أنَّ في نصِّ الحديث النبويِّ بلاغة لا يستهان بها، و هي لا تحتاجُ إلى إثبات، ولكن في الإجابة عن الأسئلة المطروحة بأداة الاستفهام (لماذا) ما قد يكشفُ بعضاً منها، أو بعضاً من الإبداع فيه، ليبقى طرحُ الأسئلة حول كلِّ مفردة تردُّ في النصِّ عنصراً فعالاً في الكشف عن جزء من تلك البلاغة المرجوَّ إظهارها، تلك البلاغة التي قد نرى وجهاً من وجوهها، وقد يرى غيرُنا أوجهاً أخرى لها، ولأننا لا نرى كل الأوجه، فبال تأكيد لا نستطيع الإجابة عن كل الأسئلة، ولكن هي محاولة، قد تنجح إن لم نُغالِ أو نُحمِّل النصَّ ما لا يتحمَّله.

ولأنَّه من الطبيعي أن نجد الدعاء في أكثر من مصدر أو مرجع، ونرى في تلك النصوص بعض الاختلافات ؛ فقد ارتأينا أن نتناول النص الأكثر وروداً، ولا بدَّ أن نذكر بعضاً من تلك النصوص قبل أن نبدأ في التحليل الذي تناولنا فيه المستوى المعجمي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى التركيبي، ولم نقسِّم البحثَ محاورَ استناداً إلى هذه المستويات، بل أثرنا تناول النصِّ

و يختلف الحديث النبويِّ الشريف عن النصِّ القرآنيِّ الكريم ؛ لأنَّه قد يُنقلُّ بالمعنى، أمَّا النصُّ القرآنيُّ فواحدٌ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وبناءً على هذا، ومع احتماليَّة وجود بعض الاختلاف في رواية نصِّ الحديث الذي قد يرد في مصدرٍ ما بنصٍّ معيَّن، ويردُّ في آخرٍ بشكلٍ آخر - كأنَّ يختلف فيه حرفٌ من حروف الجرِّ، أو صيغة من صيغ الأفعال، أو ما شاكل ذلك،



بتسلسل ألفاظه، وابتدأنا كل جزء من التحليل بأداة الاستفهام (لماذا) لِنُطَرِّحَ أسئلةً متعددةً منها: لماذا اسْتُخْدِمَ هذا اللفظ لا ذاك؟ لماذا الفعل الماضي وليس المضارع مثلاً؟ لماذا كان الفعل مبنياً للمجهول مثلاً، وليس للمعلوم، أو العكس؟ لماذا الفعل المجرد أو المزيد، وكذا الحال بالنسبة للصيغ الاسميّة، لماذا اسْتُخْدِمَ اسمُ الفاعل بدل اسمِ المفعول؟ أو لماذا صيغة المبالغة هذه لا صيغة الصفة المشبهة تلك؟ بل لماذا هذه الصيغة من صيغ المبالغة لا غيرها مثلاً؟ وكذا الحال في تركيب الجملة، فعلية كانت أم اسميّة، وحاولنا أن نستشهد بالغرر من آيات القرآن الكريم لما فيها من إعجاز بلاغيّ.

## • أولاً: الدعاء كما ورد في بعض المصادر والمراجع

### • الدعاء كما ورد في السيرة النبويّة<sup>(٢)</sup>:

"اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بك."

### • الدعاء كما ورد في سيرة النبي المختار<sup>(٣)</sup>:

"اللهمَّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد

يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بك."

### • الدعاء كما ورد في الجواب الصحيح<sup>(٤)</sup>:

"اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بك."

### • الدعاء كما ورد في مختصر السيرة<sup>(٥)</sup>:

"اللهمَّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحلّ عليّ غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلّا بك."

### • الدعاء كما ورد في تفسير ابن كثير<sup>(٦)</sup>:

"اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي

(لماذا)

مفتاح

التحليل

الدلالي

(دعاء)

الرسول

محمد ﷺ

في الطائفة

أنموذجاً

وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم  
الراحمين و أنت رب المستضعفين وأنت ربّي،  
إلى من تكلني؟ إلى عدوّ بعيد يتجهّمني؟ أم إلى  
صديق قريب ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب  
عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي، أعوذ  
بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه  
أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحلّ بي  
سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوّة  
إلاّ بك "

### • الدعاء كما ورد في تفسير البغوي<sup>(٧)</sup> :

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي  
وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم  
الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي إلى  
من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أو إلى عدوّ ملّكته  
أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن  
عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي  
أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة  
من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك لك  
العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلاّ بك "

### • الدعاء كما ورد في دقائق التفسير<sup>(٨)</sup> :

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي  
وهواني على الناس<sup>(٩)</sup>، أنت ربّ المستضعفين وأنت  
ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني ؟ أم إلى  
عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا  
أبالي غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور  
وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلّح عليه أمر  
الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحلّ عليّ  
غضبك لك العتبي حتى ترضى<sup>(١٠)</sup> "

### • الدعاء كما ورد في تفسير ثعلب<sup>(١١)</sup> :

"اللهمّ إني أشكو إليك ضعف قوّتي وقلة حيلتي

وهواني على الناس<sup>(١٢)</sup>، أرحم الراحمين أنت ربّ  
المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى بعيد  
يتجهّمني؟ أو إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن  
بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع  
لي، وأعوذ بنور وجهك<sup>(١٣)</sup> من أن ينزل بي غضبك  
ويحلّ عليّ سخطك لك العتبي حتى ترضى ولا حول  
ولا قوّة إلاّ بك "

### • الدعاء كما ورد في الكامل في التاريخ<sup>(١٤)</sup> :

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي  
وهواني على الناس اللهمّ يا أرحم الراحمين أنت  
ربّ المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى  
بعيد يتجهّمني؟ أو إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن  
بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع  
لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات  
وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي  
غضبك أو تحلّ بي سخطك<sup>(١٥)</sup> "

### • الدعاء كما ورد في المنتظم في التاريخ<sup>(١٦)</sup> :

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي  
وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ  
المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى بعيد  
يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟ فإن لم يكن  
بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع  
لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات  
وصلّح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي  
غضبك أو تحلّ عليّ سخطك لك الرضى حتى  
ترضى ولا حول ولا قوّة إلاّ بك "

### • الدعاء كما ورد في تاريخ مدينة دمشق<sup>(١٧)</sup> :

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي

وهواني على الناس يا أرحم الراحمين<sup>(١٨)</sup> أنت أرحم بي إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني؟ أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضبانا عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك."

### • الدعاء كما ورد في زاد المعاد<sup>(١٩)</sup> :

"اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك."

### • الدعاء كما ورد في الفتاوى الكبرى<sup>(٢٠)</sup> :

"اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي اللهم إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل عليّ غضبك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك."

### • الدعاء كما ورد في الروح لابن القيم<sup>(٢١)</sup> :

"اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي

وهواني على الناس<sup>(٢٢)</sup> أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل عليّ غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك."

من خلال ما سبق نرى أن هناك زيادة لبعض الألفاظ، وتبديل لأخرى، وحذف في الثالثة، فمما زيد:

- ✓ لفظ (إنّي) بين (اللهم)، و (إليك أشكو).
- ✓ لفظ (أنت) بين (أنت ربّ المستضعفين)، (وربّي).
- ✓ (عدو بعيد) بدل (بعيد).
- ✓ (صديق قريب) بدل (عدو).
- ✓ (الواو) قبل (لك العتبى).
- ✓ (الواو) قبل (أعوذ بنور وجهك).
- ✓ (الفاء) قبل (إن لم يكن بك غضب علي).
- ✓ (أنت أرحم الراحمين).
- ✓ (أنت أرحم بي).
- ✓ (من) قبل (أن ينزل بي غضبك).

### ومما نقص :

- ✓ الضمير (هي) في عافيتك هي أوسع لي.
- ✓ حرف الجر (من) قبل عبارة (أن تنزل بي...)
- ✓ عبارة (ولا حول ولا قوة إلا بك)

### ومما استبدل :

- ✓ (ولكنّ) عافيتك، (غير أن) عافيتك.
- ✓ إن لم (يكن بك غضب) علي، إن لم (تكن



غضبانا).

## • ثانياً: التحليل الدلالي للعنوان ((دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الطائف))

(السؤال والنداء والدعاء)، و (الرسول والنبى) ألفاظ قد تبدو مترادفة، ولكن إنعام النظر فيها يُظهر الفروق اللغوية الدقيقة، ودلالاتها الهامشية التي تجعل لكل منها موقعه المناسب للسياق في النص، لذا فقد يُسأل الله سبحانه وتعالى بأداة من أدوات الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾<sup>(٢٣)</sup>، وقد يدعى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ... اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ...﴾<sup>(٢٤)</sup>، وقد يُنادى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(٢٥)</sup>، ومما لاشك فيه أن لكل لفظ مناسبه للحال وللسياق.

فأما السؤال فهو من: سأل يسأل سُؤالاً، ومسألةً، و سألته<sup>(٢٦)</sup>، وفي الحديث: للسائل حق وإن جاء على فرس؛ السائل: الطالب، معناه الأمر بحسن الظن بالسائل وإن رابك منظره وجاء راكباً على فرس، فإنه قد يكون له فرس ووراءه عائلة أو دين<sup>(٢٧)</sup>، والسؤال "طلب الخبر، وطلب الأمر والنهي، وهو أن يطلب السائل غيره أن يأمره بالشيء أو ينهيه عنه، والسؤال والأمر سواء في الصيغة، وإنما يختلفان في الرتبة، فالسؤال من الأدنى في الرتبة، والأمر من الأرفع فيها"<sup>(٢٨)</sup>، والرسول (صلى الله عليه وسلم) هنا لا يسأل؛ لأنه لا يطلب الخبر، ولا الأمر، ولا النهي، لما في السؤال من هذه المعاني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٢٩)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣٠)</sup>، أو قوله تعالى في سورة طه عن لسان سيدنا موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاجْعَلْ عَصَاةَ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ فَذْ أَوْتِيَتْ سُورَةٌ يَا مُوسَىٰ (٣٦)، أي أعطيت أمنيته التي سألتها.

وأما النداء فهو الصوت مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به مناداة ونداء أي صاح به<sup>(٣١)</sup>، وهو "رفع الصوت بما له معنى، والعربي يقول لصاحبه نادٍ معي ليكون ذلك أُنْدَى لصوتنا أي أبعد له"<sup>(٣٢)</sup>، والرسول (صلى الله عليه وسلم) هنا لا ينادي أيضاً؛ لما في النداء من رفع للصوت، لا يتناسب و مناجاة الخالق، ولا يليق بأدب النبوة، وإن ورد، فإنه قد يوصف بما يخفف من علوه، كقوله تعالى على لسان سيدنا زكريا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾<sup>(٣٣)</sup>، إلا إن كان في السياق ما يقتضي ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣٤)</sup>، لأنه كان في بطن الحوت في عرض البحر، ولم النداء بالصوت العالي وهو سبحانه أقرب من حبل الوريد؟ وهو المنقذ لمن كان في الجو أو في البحر أو تحت الثرى.

وأما الدعاء فيكون "برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي، ولا يقال ناديته في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل دعا يدعو، وادعى ادعاء؛ لأنه يدعو إلى مذهب من

غير دليل، وتداعى البناء: يدعو بعضه بعضا إلى السقوط، والدعوى مطالبة الرجل بمال يدعو إلى أن يُعطاه، وفي القرآن ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾<sup>(٣٥)</sup> أي يأخذه بالعذاب كأنه يدعو إليه<sup>(٣٦)</sup>. ومن دعاء العبد ربّه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٣٧)</sup>، والرسول هنا يدعو الله سبحانه وتعالى، فهو عليه الصلاة والسلام في محنة، ومن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ غير الله الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وهو القائل في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾<sup>(٣٨)</sup>، ناهيك عن تناغم لفظ الدعاء والسياق لما في الدعاء من معنى الاستغاثة، والعبادة<sup>(٣٩)</sup>.

أما الفرق بين الرسول والنبي، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) كان نبيا ورسولا؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَأْمُرُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤٠)</sup>، فإنما يكمن في أن النبي "من أنبا عن الله"<sup>(٤١)</sup>، وهو "لا يكون إلا صاحب معجزة، وقد يكون الرسول رسولا لغير الله تعالى؛ فلا يكون صاحب معجزة، والإنباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لا يكون إلا بتحميل، والنبوة يغلب عليها الإضافة إلى النبي فيقال: نبوة النبي، لأنه يستحق منها الصفة التي هي على طريقة الفاعل، والرسالة تضاف إلى الله لأنه المرسل بها، ولهذا قال: برسالتي ولم يقل بنبوتي، والرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤدّيها إلى غيره، والنبوة تكليف القيام بالرسالة فيجوز إبلاغ الرسالات ولا يجوز إبلاغ النبوات"<sup>(٤٢)</sup>؛ لذا فالرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، باستثناء الرسول

غير المرسل من الله سبحانه وتعالى، أو الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر<sup>(٤٣)</sup>.

والسياق هنا يقتضي الرسول لا النبي، لما في النبي من النبوة والمعرفة، والرسول هنا لا يعرف سبب ما حصل لقوله: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي)، وهو يشكو ضعف القوة ويطلب الرحمة من أرحم الراحمين ليكمل الرسالة المكلف بها، فالحال هذه لم تكن لتكن على ما هي عليه لولا أنه رسول تعرض لما تعرض له غيره من الرسل وهو يوصل رسالته لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾<sup>(٤٤)</sup>، ومن خلال ما سبق بات واضحا أن استخدام عبارة (دعاء الرسول) هنا تتناسب والسياق وإن لفظ الدعاء ليختلف عن السؤال أو النداء كما يختلف لفظ الرسول عن النبي.

ونأتي أخيراً إلى حرف الجر (في) الذي له تسعة معانٍ منها الظرفية<sup>(٤٥)</sup> التي تتسق والسياق، فهي ترسم لنا من خلال ظرفيتها صورة الطائفة وهي تحيط بالرسول من الجوانب كلها، ومن ثم يبدو لنا الأذى الذي الصادر من أهلها يحيط به (صلى الله عليه وسلم) فتصور الضيق الذي هو فيه، والحاجة إلى الرحمة والمساعدة الربانية.

ولو استخدمت (الباء) مثلاً، بمعنى التعليل<sup>(٤٦)</sup> لما أفادت ما أفادته (في)، لأن المعنى سيكون (دعاء الرسول بسبب الطائفة) وليس الواقع هو هذا، فليست الطائفة هي السبب بذاك الأذى، ولو أفادت الظرفية<sup>(٤٧)</sup>، وعلامتها أن يحسن في موضعها (في) فليس من داع لها والأصل موجود، أي حرف الجر (في)، وكذلك الحال مع حرف الجر (من) التي تفيد التعليل<sup>(٤٨)</sup>، أو معنى (في)<sup>(٤٩)</sup> للأسباب المذكورة سلفاً.

## • ثالثاً: التحليل الدلالي للدعاء

(١) لماذا (اللهم) وليس رب؟

ورد الدعاء كثيرا في القرآن الكريم بلفظ (رب)، كما ورد الدعاء بلفظ (اللهم) وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾<sup>(٥٠)</sup>، ومما ورد بلفظ (رب):

• على لسان الأنبياء والرسل كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾<sup>(٥١)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٥٢)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٥٣)</sup>.

• على لسان البشر كما في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥٤)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(٥٥)</sup>.

• على لسان الشيطان كقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>

ومما ورد بلفظ (اللهم) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٥٧)</sup>، ويختلف الدعاء بلفظ (رب) عن لفظ (اللهم) ذاك أَنَّ اللهم بمعنى يا الله<sup>(٥٨)</sup>، حُذِفَ منه حرف النداء، وعُوِضَ الميم في آخره<sup>(٥٩)</sup>، وقد جَمَعَ الدعاء اللفظين، فكان أن جاء استعمال (اللهم) مناسبا للسياق الذي ورد فيه وهو طلب القوة، فهو لفظ لا يضاف، ولا يجمع، ولا يتغير،

ولا يسبق بحرف نداء، ولا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى، فيما جاء استعمال (رب) مع المستضعفين، وهو لفظ يضاف، و يجمع، و يتغير، و يطلق على الله سبحانه وتعالى وعلى غيره ؛ لقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٦٠)</sup>.

(٢) ماذا (اللهم إليك أشكو) و ليس (اللهم إني إليك أشكو)؟

قد يقول قائل: ورد مثل هذا التوكيد بالحرف المشبه بالفعل في دعاء سيدنا أيوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(٦١)</sup>، ولكن إنعام النظر يرينا أن الموقف في السياقين مختلف ؛ لأنَّ الزمن الذي قضاه سيِّدنا أيُّوب في معاناة المرض والألم لأطول من الذي مرَّ على رسول الله الحبيب المصطفى محمد عليه صلوات الله، وعدم كشف الضر عن سيدنا أيُّوب عليه السلام سريعا، يناسبه أسلوب التوكيد، و كيف لا والصبر لا يضرب به المثل إلا بالإضافة إلى اسمه (صبر أيُّوب)، أمّا مع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فالموقف هنا والسياق لا يستدعيان ذلك؛ ولذا لم نجد لفظة (إني) في نصِّ الدعاء في أغلب المصادر، وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر الفرق بين (إنَّ) المكسورة الهمزة، و(أَنَّ) المفتوحة الهمزة، فالمكسورة الهمزة تأتي في بداية الجملة، والمفتوحة الهمزة كما في الآية القرآنية الكريمة تفيد معنى وجود فعل محذوف تقديره تعلم ؛ لأنَّ الحرف المشبه بالفعل (أَنَّ) يأتي بعد أفعال الظن واليقين، أي: ربِّ تعلمْ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ.

(٣) لماذا (إليك أشكو) و ليس (لك أشكو)؟

يختلف معنى حرف الجر (إلى) <sup>(٦٢)</sup> عن حرف الجر (اللام) <sup>(٦٣)</sup>، فالأخير من معانيه أنه يفيد



الاختصاص، أمّا الأول فانتهاه الغاية<sup>(٦٤)</sup>، وإنعام النظر في السياق يرينا أن دلالة انتهاء الغاية هي الأبلغ، فالمراد في الدعاء إيصال الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، أمّا الاختصاص أو القصر فيؤخذ من التركيب (إليك أشكو)، لا (أشكو إليك) أو (أشكو لك)، وبذا جمَعَ التركيب دلالتين في آن واحد.

٤) لماذا (إليك أشكو) وليس (أشكو إليك) ؟

يرى جمهور علماء البلاغة "أنّه إذا قُدِّمَ المفعول على الفعل كان تقديمه للقصر غالباً"<sup>(٦٥)</sup>، ومثل المفعول في ذلك سائر المتعلقات كالجار والمجرور، والظرف والحال، فإنَّ تقديمهما على الفعل يكون في الغالب لإفادة القصر على المقدم، ونفي الفعل عمّا سواه، وأنَّ الفعل ثابتٌ لا خلاف فيه وإنّما الخلاف في المتعلق"<sup>(٦٦)</sup>، وهذا يتناسب و استعمال حرف الجر (إلى) المفيد لانتهاء الغاية. ونلاحظ مثل هذا التركيب في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى: ﴿... رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٦٧)</sup>، وتجدر الإشارة هنا إلى ما يشكوه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهو لا يشكو مَنْ آذاه، بل يشكو ضعف قوّته وقلة حيلته.

٥) لماذا (أشكو) بالفعل المضارع ؟ وليس شَكَوْتُ بالماضي ؟ أو شكواي بالمصدر ؟

تختلف دلالة الفعل عن دلالة الاسم، فالفعل مقيد بزمن، الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعم وأثبت<sup>(٦٨)</sup>، لذا فالاسم يفيد الدوام والثبوت، والفعل يفيد التجدد والحدوث، والله سبحانه وتعالى أمرنا بالدعاء، وبَيَّن لنا كيف تكون الاستجابة - الواردة بالفعل المضارع - في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾<sup>(٦٩)</sup>، وليس بالفعل

الماضي، كما ورد على لسان الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٧٠)</sup>، التي نرى الدعوة فيها بالفعل الماضي، وكذلك الاستجابة، أمّا الملامة فوردت بالفعل المضارع، و الأنكى من ذلك ورود الاستصراخ بالصيغة الاسمية التي تقيد الثبوت، المتناغم مع التوكيد بالحرف المشبه بالفعل (إنَّ) المتصل بالفعل الماضي (كفرت). أمّا الاستجابة في قوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) فقد وردت بصيغة المضارع (استجب)؛ لتكرار الاستجابة المتناسبة مع تكرار الدعاء.

وتبدو في الدعاء مناسبة استخدام الفعل (أشكو) بدل الاسم (شكواي)؛ لما في الاسم من دلالة على الدوام والثبوت، فالشكوى لم تكن دائمة، أو مستمرة، أو سجيّة لدى الرسول، بل كانت حالة مؤقتة، لذا ناسبها الفعل المفيد لمعنى التجدد والحدوث.

٦) لماذا (ضعف قوّتي) ؟ وليس ضعفي ؟ أو قوّتي الضعيفة ؟

"الضَّعْفُ وَالضُّعْفُ: خلاف القوّة، وقيل الضَّعْفُ بالضم، في الجسد، والضَّعْفُ بالفتح، في الرأي والعقل، وقيل هما جائزان في كل وجه"<sup>(٧١)</sup>، والفرق بين (ضَّعْفِي)، و(ضعف قوّتي)، أنَّ الأوّل فيه (الضعف) مضاف، والضمير (الياء) مضاف إليه، فهو عامٌّ يشمل الضعف البدني، والعقلي، والمالي، والديني، وغير ذلك، أمّا الثاني وفيه (القوّة) مضاف لا (الضعف)، والضمير (الياء) مضاف إليه، فهو خاصٌّ محدّد بضعف القوّة

بلفظ واحد<sup>(٧٢)</sup>، فتجمع كل دلالات التراكيب التي يمكن أن تتكون من المصدر المؤول.

٨) لماذا (قَلَّةٌ حِيلَتِي) و ليس (حِيلَتِي القليلة)؟

القلة تقتضي نقصان العدد، يُقَالُ قَوْمٌ قَلِيلٌ وقليلون، وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾<sup>(٧٣)</sup>، يريد أن عددهم ينقص عن عدة غيرهم<sup>(٧٤)</sup>، وتعبير (قَلَّةٌ حِيلَتِي) يتناسب والتعبير السابق (ضعف قوتي) نظرا لما يبدأ به كل تركيب من لفظ يدل على الشكوى.. فضلا عن ذلك يبدو لنا التناسب في السياق واضحا، ومدى التفاعل الحقيقي بين الداعي وربيه، من خلال استعمال الضمائر التي توحى بالمحادثة، نظرا لانتهاء الدعاء بـ (ولا حول ولا قوة إلا بك) وليس إلا بالله وقد يوضح المخطط الآتي ذلك:

ضعف (قَوْتِي) قلة (حِيلَتِي) لا (حَوْل) ولا (قُوَّة) إلا بك

ضعف قوتي قلة حيلتي لا حول ولا قوة إلا بك

الرجل لإصلاح ماله و إصلاح ولده وأصحابه<sup>(٧٧)</sup>؛ لذا نُسِبَ التدبير لله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾<sup>(٧٨)</sup>، فهو لفظ يتناسب مع القوة، كما يتناسب لفظ الحيلة مع الضعف لما فيه من محذور. واللطف أننا لو استقرينا الآيات القرآنية لوجدنا أن التدبير المنسوب لله سبحانه وتعالى ورد مع الفعل، ولفظ (الأمر)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

البدنية، وقد يبدو في الإضافة (ضعف قوتي) ما لا يبدو في الصفة والموصوف (قوتي الضعيفة)، فالأخيرة تبدأ بلفظ القوة، وتدل على وجود القوة المتصفة بالضعف، أمّا الأولى فتبدأ بلفظ الضعف، وتدل على وجود الضعف في القوة، و كل هذا يتناسب ومضمون الدعاء: الشكوى وطلب العون والرحمة.

٧) لماذا (ضعف قَوْتِي)؟ و ليس المصدر المؤول (أن تضعف قوتي)؟

تجدر الإشارة هنا إلى ذكر الفرق بين استعمال المصدر الصريح، و استعمال المصدر المؤول، حيث لكل منهما دلالة، و تتضح هذه الدلالة من خلال إبدال المصدر بالفعل، أو إبدال الفعل بالمصدر، فضلا عن تركيب الجملة التي تؤول فيها المصادر المؤولة المختلفة، ذات الدلالات المتعددة

٩) لماذا (حِيلَتِي) و ليس تدبيرِي؟

الحَيْلُ: القوة وما له حيل أي قوة، والحيلة بالكسر: الاسم من الاحتيال، يقال: لا حيل ولا قوة إلا بالله لغة في لا حول ولا قوة<sup>(٧٩)</sup>، والتدبير الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبير التفكير فيه<sup>(٨٠)</sup>، و"الفرق بين الحيلة والتدبير أن الحيلة ما أحيل به عن وجهه فيجلب به نفع أو يدفع به ضرر، فالحيلة بقدر النفع والضرر من غير وجه، وهي في قول الفقهاء على ضربين: محذور ومباح... ومن التدبير ما لا يكون حيلة وهو تدبير

الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ<sup>(٧٩)</sup>، أما التدبير المنسوب لغيره فقد ورد مع (القول) ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٨٠)</sup>، والفرق واضح بين قوّة الأمر، وقوّة القول، ناهيك عما ورد من صيغ اسمية في القرآن الكريم لجذر هذا اللفظ الذي ارتبط بالهروب كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾<sup>(٨١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٨٢)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾<sup>(٨٣)</sup>

١٠ لماذا (هواني على الناس) و ليس هوان الناس؟

درسٌ يتحتمّ علينا أن ننتبه له من خلال هذا التركيب اللغوي، وأن نتذكر قوله تعالى: ﴿فَفَرُّوا

إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٨٤)</sup>، ولنعلم أن الفرار إنما يكون (مِنْ) وليس (إِلَى)، فانظر إلى البلاغة بل المبالغة في طريقة اللجوء إلى الله كيف تُرَسِّمُ صورتها، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يلوم أحدا، وهو يشكو ما به إلى الله، لا إلى غيره، لأنّه يعلم - كما علينا أن نعلم - أنّه من غير المعقول أن يشكو العبدُ خالقه لمخلوقه، ويُلحِظُ كذلك عدم وضع اللوم على أحد، حتى على الناس الذين تسبّبوا في هذا الهوان. نستشف هذا المعنى من تركيب الجملة في الدعاء، فهو لم يقل: أشكو هوان الناس، بل قال: هواني على الناس، والإعراب الذي هو الإبانة يسهم في إيضاح ذلك من خلال تبادل مواقع الألفاظ، ولتبيان ذلك نحاول تغيير المصدر الصريح إلى المصدر المؤول في التركيبين فنرى في الشكل الآتي:



والاستخفاف، والاستحقار، و(الوهن)<sup>(٨٧)</sup> هو: الضعف في العمل، والأمر، وكذلك في العظم.

١١ لماذا (الناس) وليس (الخلق)؟ أو (البشر)؟ يطلق لفظ النوس على الناس و"قد يكون من الإنس ومن الجن، وأصله أناس، فخفف ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضاً من الهمزة المحذوفة"<sup>(٨٨)</sup>، والإنس جماعة لا واحد لها من لفظها، أمّا البشر، وهو قد يطلق على الناس فإنّه " يقتضي حسن الهيئة وذلك أنه مشتق من البشارة وهي حسن الهيئة يقال: رجل بشير وامرأة بشيرة إذا كان حسن

ويبدو استخدام لفظ الهوان مناسباً للسياق لما بين الهوان والذل من فرق، حيث "أنّ إذلال الرجل للرجل هنا أن يجعله منقاداً على الكره أو في حكم المنقاد، والإهانة أن تجعله صغير الأمر لا يُبالي به، والشاهد قولك استهان به أي لم يبال به ولم يلتفت إليه، والإذلال لا يكون إلا من الأعلى للأدنى، والاستهانة تكون من النظير للنظير، ونقيض الإذلال الإعزاز، ونقيض الإهانة الإكرام"<sup>(٨٩)</sup> ناهيك عن تقارب معنى اللفظين لتقارب أصواتهما ف (الـهون)<sup>(٩٠)</sup> هو: الخزي، ونقيض العزّ،



الهيئة فسمي الناس بشرا لأنهم أحسن الحيوان هيئة ويجوز أن يقال إن قولنا بشر يقتضي الظهور وسموا بشرا لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة، وقولنا الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع والبشر واحد وجمع في القرآن ﴿... مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾، وتقول محمد خير البشر يعنون الناس كلهم ويثنى البشر فيقال بشرا وفي القرآن الكريم ﴿... لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا...﴾، ولم يسمع أنه يجمع<sup>(٨٩)</sup>.

وأما الخلق فمصدر سمي به المخلوقات، والشاهد قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾<sup>(٩٠)</sup>، ثم عدّد الأشياء من الجماد والنبات والحيوان ثم قال: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٩١)</sup>، وقد يختص به الناس فيقال: ليس في الخلق مثله، كما تقول: ليس في الناس مثله<sup>(٩٢)</sup>، واللفظ هنا مناسب للسياق لأنّ الرسول هنا - عليه الصلاة والسلام - يشكو أذى الناس لا بقيّة المخلوقات، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ لفظ المرء، يشمل الرجل، والمرأة، والصغير والكبير، والأنس، والجان، وبينه وبين لفظ المرءة تقارب، فهما من جذر واحد، ولكن السياق هنا لا يتناغم والمرءة، فلم يبدر من أولئك الناس أية مرءة، لذا ولأنّ الأذى صادر عن مجموعة همجيّة لا تمت المرءة إليها بصلة، ولا يناسبها حسن الهيئة، فقد باتت واضحة بلاغة استعمال لفظة (الناس) في هذا الموضع.

وقد يوحي تكرار صوتي: النون ذي الغنة، والسين الصفيري ذي قوّة الإسماع العالية، المسبوق بالمد بصوت الألف في الألفاظ: الناس، الإنسان، النسيان بنوع من المسامحة والعفو عن هؤلاء الناس الناسين، لأنّ الناسي لا يؤاخذ

بنسيانه، وهذا ليس ببعيد عن خلق رسولنا الحبيب، ناهيك عن لفظ (الإنسان) الذي غالبا ما اقترن في القرآن الكريم بصفات الإنسان السلبية، فهو ضعيف، يؤوس، ظلوم، كفار، خصيم مبين، عجول، قتور، موسوس، هلوع، مغرور، طاغ، كنود، خلق في كبد وهو أكثر شيء جدلا .

(١٢) لماذا (أرحم الراحمين)؟ و ليس يا رحمن يا رحيم؟

اسم التفضيل: "وصف يصاغ على وزن (أفعل) للدلالة على أنّ شيئين اشتركا في صفة واحدة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة"<sup>(٩٣)</sup>، والرحمة هي: الرقة والتعطف والمغفرة<sup>(٩٤)</sup>، واللّه سبحانه وتعالى يوصف بالرحمن الرحيم، فأما الرحمن التي بوزن (فعلان) فهي صيغة مبالغة، تعني الكثرة، وذلك لأنّ رحمته وسعت كل شيء، والرحمن مقصور على الله عز وجل، وأما الرحيم فقد يكون له سبحانه ويكون لغيره، و"الرحمن على ما قال ابن عباس أرق من الرحيم، يريد أنّه أبلغ في المعنى لأنّ الرقة والغلظة لا يوصف الله تعالى بهما، والرحمة من الله تعالى على عباده ونعمته عليهم في باب الدين والدنيا... الرحيم مبالغة لعدوله، وأنّ الرحمن أشد مبالغة لأنّه أشد عدولا. وإذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولا كان أشد مبالغة"<sup>(٩٥)</sup>، ولأنّه لا يصح استخدام لفظ الرحمن مع اسم التفضيل، ولمناسبة هذا التدرج الدلالي لم يرد في الدعاء ما يناسب السياق أفضل من هذا التركيب.

(١٣) لماذا (أرحم الراحمين)؟ و ليس (أرحم الرحماء)؟

ينقسم الجمع إلى ثلاثة أقسام: مذكر سالم، ومؤنث سالم، وجمع تكسير، والأخير هو: ما دلّ على أكثر من اثنين بتغيير صورة مفرد<sup>(٩٦)</sup>، وإن كان

## (أكرم الأكرمين) مثلاً ؟

يُدعى الله سبحانه وتعالى بلفظ الجلالة (الله) كما يدعى بلفظ (الرحمن) لقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾<sup>(٩٩)</sup>، و يلحظ في الدعاء التناسب بين الضعف المتمثل بـ (ربّ المستضعفين) و الرحمة المتمثلة بـ (أرحم الراحمين)، لأن الضعيف أو المستضعف الذي يدعو الرحمن يفكر بالرحمة قبل الكرم، أو العفو، أو الغفران، و يبدو بوضوح هنا كيف يقتضي السياق الرحمة، وليس الكرم أو غيره، فالضعف معنوي لا مادي، و استعمال صيغة اسم التفضيل مع صيغة (فاعل) التي ترد اسم فاعل، و صفة مشبهة، و صيغة مبالغة، يزيد من هامش معناها نظرا لتعدد المعاني بتعدد أنواع الصيغ، فضلا عن ذلك نجد في النص القرآني أنَّ الصفتين وردتا معا أربع مرات في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١٠٠)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١٠١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١٠٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١٠٣)</sup>، وإذا ما أنعمنا النظر في السياق، رأينا الرحمة قبل كل شيء.

١٥) لماذا (أنت ربّ المستضعفين)، و ليس يا ربّ المستضعفين ؟ أو ربّ الضعفاء ؟

الرحمة من صفات الرب الذي ورد لفظه مضافا في القرآن الكريم إلى: كل شيء، و العرش العظيم، و السموات والأرض، و المشارق والمغارب، و العزة، و الشعري، و البيت العتيق، و الفلق، و... فضلا عن ربكم وربّ آبائكم، و ربّ موسى وهارون، و ربّ الناس، و رب

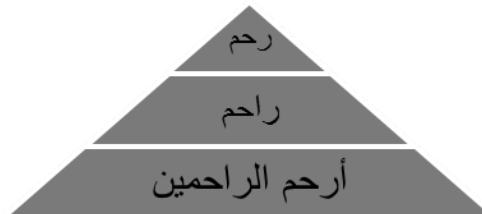
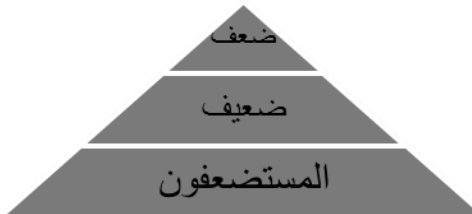
لجمع التفسير أوزان تدلّ على القلّة، و أخرى تدلّ على الكثرة، فإنّ جمع الصفات جمعا سالما يدل على إرادة الحدث، وجمعها جمع تكسير يبعدها عن إرادة الحدث، و يقربها إلى الاسمية<sup>(٩٧)</sup>، و نرى مثل هذا في لغتنا الدارجة، فنريد بالسالم الدلالة على الحدث و بالتكسير الدلالة على الاسمية، نحو: ذهبنا إلى المحكمة فوجدنا الحكام حاكمين بالقضية و منصرفين، فالمقصود بالحكام الصنف المعين من الناس، و معنى حاكمين: حكموا، و كذا في قولنا: راجعنا الدائرة فوجدنا الكتاب كاتبين الكتاب، و المقصود بالكتاب اسم لهذا الصنف المخصوص من الناس، و كاتبين بمعنى كتبوا فيفرون بين السالم و التكسير<sup>(٩٨)</sup>.

وتبدو مناسبة استعمال الجمع السالم للسياق نظرا للحاجة إلى إرادة الحدث، و إرادة التغيير، و هذا هو سبب الدعاء، و نرى هذا في القرآن الكريم كثيرا، فقد ورد جمع التكسير مقابل جمع المؤنث السالم كما في: جواري: جاريات، و خبائث: خبيثات، و خطايا: خطيئات، و رواصي: راسيات، و سنابل: سنبلات، و صواف: صافيات، و غرف: غرفات، أو جمع التكسير مقابل جمع المذكر السالم كما في: حفظة: حافظون، خزنة: خازنون، خشع: خاشعون، أراذل: أراذلون، ركع: راکعون، زراع: زارعون، سحرة: ساحرون، كفار، كفر، كوافر: كافرون، أموات، موتى: ميتون، ورثة: وارثون، أنبياء: نبيون، أنصار، نصارى: ناصرون، فضلا عن جمع التكسير مقابل جمع التكسير كما في: أسارى: أسرى، و أبرار: بررة، و ذكران: ذكور، و أشتات: شتى، و أشداء: شداد، و أشياع: شيع، و عباد: عبيد، أعين: عيون، و فتية: فتیان، و فجار: فجرة، و أنفس: نفوس.

١٤) لماذا (أرحم الراحمين) ؟ و ليس غيرهما كـ

الفلق و...، لكنه أضيف إلى العالمين أكثر من ثلاث وثلاثين مرة<sup>(١٠٤)</sup>، والنظر إلى عدد هذه الألفاظ يوضح لنا أن الإنسان هو صاحب القدر المعلى، وأن ربه هو المتولى، فكيف بالمستضعف منه؟ والمستضعف أشد ضعفاً من الضعيف؛ وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والسين والتاء، بصيغة (استفعل) التي من معانيها: الطلب والتحول والاتخاذ ووجود الشيء<sup>(١٠٥)</sup>، وهذه المعاني ليست

ببعيدة عن التحقيق لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(١٠٦)</sup>، وتبدو في التركيب مناسبة اطراد الاستضعاف مع اطراد الرحمة من خلال صيغة مستفعل (مستضعف) التي تمثل الطرف السلبي في أقصاه، وصيغة اسم التفضيل (أفعل) أرحم الراحمين، التي تمثل الطرف الإيجابي في أقصاه.



إلا بالإضافة<sup>(١٠٩)</sup>، ويطرّد ذكر لفظة ربك في "حال الدعاء حيث يكون المرء في ضعف"<sup>(١١٠)</sup>؛ لما فيها من معنى الربوبية والتربية، فمريبك يتعاطف معك دون غيرك، وقد نلمح في إضافتها إلى المستضعفين نوعاً من الرقة والشفافية التي تتناسب و حالة الضعف التي يكون فيها من هو في مثل موقف الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) حينئذ<sup>(١١١)</sup>، فضلاً عن أن الصفة برب "تحقق القدرة على تدبير ما ملك فقولنا: ربّ يتضمن معنى الملك والتدبير فلا يكون إلا مطاعاً والشاهد قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ...﴾<sup>(١١٢)</sup>، أي سادة يطيعونهم"<sup>(١١٣)</sup>.

١٨) لماذا الاستفهام بالتركيب (إلى من تكلني) و ليس (أتكلني إلى....)

"يرى جمهور علماء البلاغة أن الذي يلي همزة الاستفهام هو المشكوك فيه والمسئول عنه، فإذا بدأت بالفعل بعد الهمزة أفاد ذلك أنك شاك في الفعل... وإذا بدأت بالاسم بعد الهمزة أفاد ذلك

١٦) لماذا (أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي) بتقديم المستضعفين على نفسه، و ليس ربي ورب المستضعفين.

يلحظ التوكيد في التركيب، فالمعنى: أنت رب المستضعفين، وأنا واحد من هؤلاء المستضعفين، لما في السياق من معان دالة على الضعف، فضلاً عن ذلك فأنت ربّي، أنا رسولك، الذي يتعرض لهذا الموقف، فهي دعوة عامة ثم أخرى خاصة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٠٧)</sup>، بتكرار الاصطفاء، ففيها اصطفاء خاص، واصطفاء عام بوصفها من آل عمران في قوله تعالى قبل ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٠٨)</sup>.

١٧) لماذا لفظ (رب) و ليس إله المستضعفين؟

الرّب: هو الله عزّ وجل، هو رب كل شيء أي مالكة، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ولا يقال الرب في غير الله



أنك شاك في المقدم فقط، أمّا الفعل نفسه فمعلوم الثبوت لا شك فيه، وإنّما تريد أن تعرف فاعله أو مفعوله<sup>(١١٤)</sup>، وتركيب الاستفهام هنا ابتداء بحرف الجر إلى، المفيد لانتهااء الغاية، وهو بهذا يتناسب مع أول الدعاء (إليك أشكو)، والمراد قصر الشكوى والاتكال على الله، بل إيصال الشكوى، واسناد التوكّل اليه سبحانه وتعالى لا إلى غيره.

١٩) لماذا الاستفهام بالفعل المضارع (إلى من تكلمي) وليس بالفعل الماضي ؟

التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، والوكيل فعيل بمعنى المفعول<sup>(١١٥)</sup>، ويبدو أن ورود الاستفهام بالفعل المضارع لا الماضي لأنّ المضارع يحتمل الحال والاستقبال، كما يحتمل الحدوث وعدم الحدوث، وبذا قد يحتمل أن يكون المعنى: إلى من ستكلمي؟ وفي هذا التركيب أمل لتغيير المتوكّل عليه، أمّا الماضي فالأمر فيه منته، والسؤال فيه عن شخصية المتوكّل عليه، من سيكون ؟.

٢٠) لماذا (بعيد يتجهمني) وليس مَنْ يتجهمني ؟ أو يتجهم وجهي ؟

تلحظ هنا شدة الموقف، فالمتجهّم هذا، تُرى قسماً وجهه من بعيد، وهذا دليل على وضوحها وشدتها، ومجيء الفعل المضارع (يتجهمني) دليل استمراره، وتجده، وتكراره، وعدم انقطاعه، ويزيد الطين بلة ما بعد ذلك، وهو استخدام أداة العطف (أم) التي تقيد التخيير، فما اللاحق (عدوّ ملكته أمري) إلاّ بأسوء من السابق (بعيد يتجهمني)، ولم يقل يتجهّم بوجهي ؛ لكي يفيد التوسع في التجهّم وتكثيره، فهو يشمل البدن كله لا الوجه فقط، وكأنّ كل عضو قد تألّم من هذا التجهّم، فضلاً عمّا في حرف الجر (الباء) من معنى الإلصاق الذي يفيد التقليل، ناهيك عن التركيب النحوي الذي سيكون فيه الفعل متعدّياً

للمفعول، فيفيد معنى التعدي والظلم المنشود الخلاص منه في الدعاء، أمّا الفعل في (يتجهّم بوجهي) فهو فعل متعدّ بحرف جر، إن لم نقل هو فعل لازم.

٢١) لماذا (عدوّ ملكته أمري) وليس (ملك أمري). وهنا يتصاعد الموقف، فهو ليس ببعيد يتجهّم فحسب، بل هو عدوّ قويّ قوّة كبرى ؛ لأنّك أنت سبحانه مَنْ أعطاه هذه القوّة حين ملكته أمري، وهذا يتّضح من خلال الفعل الذي ورد بصيغة التضعيف (فعل)، التي تحوّل الفعل اللازم إلى متعدّ، والمتعدي لمفعول واحد تجعله متعدّياً لمفعولين، أو المتعدي لمفعولين إلى ثلاثة مفاعيل، فهي تأتي "للتكثير غالباً، نحو: غَلَقْتُ، وَقَطَعْتُ، وَجَوَلْتُ، وَطَوَّفْتُ. وللتعديّة، نحو: فَرَحْتُهُ، وَمَنَّهُ فَسَقْتُهُ. وللسلب. نحو: جَلَدْتُ البعير"<sup>(١١٦)</sup> لتعطينا الشعور بهذا التعدي الكبير وهذه القوة الكبيرة لهذا العدو، الذي يقابله من لَيْسَ لَهُ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر الفرق بين المالك والمَلِك، فالمالك "يفيد مملوكاً، ومَلِكاً لا يفيد ذلك ولكنه يفيد الأمر وسعة المقدرة، على أنّ المالك أوسع من المَلِك لأنّك تقول: الله مالك الملائكة والإنس والجن، ومالك الأرض والسماء، ومالك السحاب والرياح"<sup>(١١٧)</sup>، و"الفرق بين العبد والمملوك أنّ كلّ عبدٍ مملوكٌ وليس كلّ مملوكٍ عبدٌ؛ لأنّه قد يملك المال والمتاع، فهو مملوكٌ وليس بعبدٍ، والعبد هو المملوك من نوع ما يعقل، ويدخل في ذلك الصبيّ والمعتوه وعباد الله تعالى الملائكة والإنس والجن"<sup>(١١٨)</sup>.

٢٢) لماذا (إن لم يكن بك غضبٌ علي) وليس إن لم تكن غاضباً أو غضباناً<sup>(١١٩)</sup> علي ؟

معلوم أن لكلّ حرف من حروف الجر معنى أو أكثر من معنى، والباء التي من معانيها الإلصاق<sup>(١٢٠)</sup>

قد لا تعني هنا الغضب الكبير بل القليل والقليل جداً، و هي هنا أشبه ما تكون بقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١٢١)</sup>، فدلالة حرف الجر في يفيد الظرفية فضلاً عن استعمال الضلال أما قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٢٢)</sup>، فإن فيه إبعاد عن التهمة كبير؛ لأن الباء التي تفيد الإلصاق تتناغم مع لفظة الضلالة الواحدة<sup>(١٢٣)</sup>.

ولفظ (غضبان) الذي على صيغة الصفة المشبهة (فعلان) التي يراد منها الدلالة على وصف، وصاحبه، "وتفيد الدوام والثبوت، فلا زمان لها لأنها ثابتة لا تتغير بتغير الزمن، وهي مشبهة باسم الفاعل، والفرق بينهما هو أنها تفيد ثبوت معناها لمن يتصف بها، واسم الفاعل يفيد الحدوث والتجدد"<sup>(١٢٤)</sup>، لا يتناسب والسياق ولا سيما أنَّ صيغة الصفة المشبهة فعلان الذي مؤنثه فعلى يطرد فيما دل على خلواً امتلاء<sup>(١٢٥)</sup>، بل "الامتلاء بالوصف إلى الحد الأقصى، فالغضبان هو الممتلئ غضباً"<sup>(١٢٦)</sup>، و اللطيف هنا أنَّ الاستفهام هنا لم يرد بأداة من أدوات الاستفهام بل بأسلوب الشرط، فهو استفهام ضمني عن احتمالية غضب الله سبحانه وتعالى عليه، فمن الناس من يعتقد حين يلم به مكروه أن الله يعاقبه على شيء ما اقترفه ويكون فرحاً مسروراً لاعتقاده أنها كفارة، ومنهم من يعتقد أنه اختبار على مدى الصبر والتحمل لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(١٢٧)</sup>.

(٢٣) لماذا (أعوذ بنور وجهك) و ليس أعوذ بك؟

الفرق بين اعوذ والجا أن الإلجاء يكون فيما لا يجد الإنسان منه بداً من أفعال نفسه مثل أكل

الميتة عند شدة الجوع، وعند العدو على الشوك عند مخافة السبع، والإلجاء يستعمل في فعل العبد على وجه لا يمكنه أن ينفك منه<sup>(١٢٨)</sup>، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٢٩)</sup>، وهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١٣٠)</sup>، وليقضي الله ما وعد به في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١٣١)</sup>، فالله نور السموات والأرض، والنور يناسب الظلمات التي تبدد به، فيتضح الطريق، فضلاً عما في وجه الله من شمولية لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٣٢)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر الفرق بين النور والضياء، فرب سائل يسأل: الشمس أقوى نورا من القمر، وقد وصف نورها بالضياء، أما القمر فقد وصف بالنور، فلماذا اقترن لفظ النور بالله سبحانه وتعالى ولم يقترن بالضياء؟

إنَّ الضياء حالة من حالات النور، وهي القوة، أما النور فهو لفظ عام يطلق على جميع الحالات، لذا فهو أشمل، وهو يحتوي الضياء، ولا يحتويه الضياء.

(٢٤) لماذا (وجهك) و ليس جبينك؟

لم تستخدم لفظة جبين مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) بل وردت مرة واحدة في القرآن في سياق قصة سيدنا إبراهيم، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾<sup>(١٣٣)</sup>، ولم تكن بمعنى أصل الوجه:

الجارحة، ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء وفي أشرفه، وربما عبر به عن الذات الإلهية<sup>(١٣٤)</sup> كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٣٥)</sup> ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١٣٦)</sup> ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾<sup>(١٣٧)</sup>، والوجه فيه معنى التوجه إلى الشيء، فضلا عن الاستعارة للمذهب والطريق<sup>(١٣٨)</sup>، و مَنْ يطلب ابتغاء وجه ربّه الأعلى لسوف يرضى.

٢٥) لماذا (عافيتك) وليس عفوك، غفرانك؟ سترك؟ صفحك؟

هناك فرق بين العفو والعافية والصفح والغفران، ف"الغفران يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب وهذا لا يستعمل إلا في الله فيقال غفر الله لك ولا يقال غفر زيد لك إلا شاذًا والشاهد على شذوذه أن لا يتصرف في صفات العبد كما يتصرف في صفات الله تعالى ألا ترى أنه يُقال استغفرت الله تعالى ولا يقال استغفرت زيدا، والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي إيجاب الثواب، ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيد عن عمرو، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته إلا أن العفو والغفران لما تقارب معناهما تداخلا واستعمالا في صفات الله جل اسمه بمعنى واحد... والصفح التجاوز عن الذنب من قولك صفحت الورقة إذا تجاوزتها وقيل هو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب وأن تبدي له صفحة جميلة ولهذا لا يستعمل في الله تعالى"<sup>(١٣٩)</sup>.

أمّا العفو فهو: محو الله ذنوب عبده عنه، وأمّا المعافاة فهي أن يعافيك الله من الناس ويعافيه منك أي يغنيك عنهم و يغنيهم عنك، ويصرف

أذاهم عنك و أذاك عنهم، وقيل هي مفاعلة من العفو، وأمّا العافية فهي أن يعافيه الله تعالى من سقم أو بليّة وهي الصحة ضد المرض، يقال: عافاه الله و أعفاه أي وهب له العافية من العلل والبلايا، وقال الليث العافية دفاع الله تعالى عن العبد<sup>(١٤٠)</sup>.

وهكذا نرى أن العافية هي أدق كلمة تناسب هذا السياق، فكلمة الغفران تقتضي إيجاب الثواب، وطلب الثواب مرحلة أعلى من مرحلة طلب الرحمة، كما أن في المعافاة مفاعلة تقتضي وجود أذى من الطرفين، وهذا لا يتناسب مع تصرفات الرسل والأنبياء فهم لا يسألونهم أجرا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٤١)</sup>، ولا سيما الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي وصف في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١٤٢)</sup>، فضلا عن خلقه العظيم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم ٤.

٢٦) لماذا (عافيتك هي أوسع لي) بوجود ضمير الفصل و ليس (عافيتك أوسع لي) ؟

لأن ضمير الفصل يفيد أن ما بعده خبر لا تابع، ويدل على القصر، ويفيد التوكيد<sup>(١٤٣)</sup>.

٢٧) لماذا (أوسع لي) و ليس أفضل، أحسن

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧). هذه الآيات تبين حالة الرسول



محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو في هذا الموقف الذي ألجأه إلى هذا الدعاء، ولأنه في ضيق صدرٍ سببه الاستهزاء فعلاً أو قولاً، فلا بد أن يطلب الوسع من الله سبحانه وتعالى.

٢٨) لماذا (تُنَزِّلُ بي غضبك) وليس يَنْزِلُ بي غضبك؟ أو تُنَزِّلُ عليَّ غضبك، أو يَنْزِلُ عليَّ غضبك؟

الباء تفيد الإلصاق أو الاستعانة، وهي أخفُّ من (على) التي تفيد الاستعلاء<sup>(١٤٤)</sup>، و إنعام النظر في التركيبين: (تنزل بي غضبك)، و (يحلّ عليّ سخطك) ومن النظر في معنى الألفاظ، أو صيغها، وعلاقتها بالفاعل في كل تركيب، يبدو لنا خيط رفيع يربط كل شيء.

• فالفاعل في التركيب الأول هو الله سبحانه وتعالى، أمّا الفاعل في التركيب الثاني فهو السخط، والغضب: نقيض الرضا، وهو من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومنه مذموم، وهو من الله سخطه على من عصاه، وإعراضه عنه، ومعاقبته له<sup>(١٤٥)</sup>، أما السخط فهو: ضد الرضا، وسخط الشيء سخطاً: كرهه، وتسخط عطاءه أي استقله ولم يقع موقعاً<sup>(١٤٦)</sup>.

• والفاعل في التركيب الأول مزيد بهمزة التعدية (أَنْزَلَ تُنَزِّلُ)، أمّا الفعل في التركيب الثاني فهو مجرد (حَلَّ يحلُّ).

• وحرف الجر في التركيب الأول (الباء)، أما في التركيب الثاني فهو (على).

الفرق بين نزل وحل، المادي والمعنوي

الفرق بين المجرد والمزيد من الفعلين أحل من الحلال وليس من الوقوع.

٢٩) لماذا (أعوذ)، وليس ألجأ.

الجأ استعمال لفظ (أعوذ) التي تحمل معنى الالتجاء<sup>(١٤٧)</sup> إلى جانب الملازمة و اللصوق بالشيء، لذا قيل لكل أنثى إذا وضعت: أنها عائد لملازمة ولدها إياها أو ملازمتها إياه<sup>(١٤٨)</sup>، وهذه الملازمة أو اللصوق قد لا نلمحها في (ألجأ) لأنّ الفعل (أعوذ) يتعدى بحرف الجر الباء المفيد للاستعانة، وقد نلمح المعية، أمّا الفعل (ألجأ) فيتعدى بحرف الجر (إلى) المفيد لمعنى الغاية الموحية بالبعد، والمعنيان مختلفان جداً، واللطف في قوله (أعوذ) بدل استعين أو احتمي أو أستجير، أن المد فيها بصوت الواو، أما مرادفاتها فالمد فيها بالياء، و الواو أنسب للاستعاذة، لما فيها من تتناغم و النفس بعد الانتهاء من الاستعاذة<sup>(١٤٩)</sup>.

٣٠) لماذا تُحَلِّ علي سخطك، و ليس يحلّ علي سخطك، تنزل بي غضبك، أو يحلّ علي سخطك

الفرق بين الغضب والسخط أن الإنسان يجوز أن يفتأ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه، والفرق بين الغضب والسخط، أن الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير<sup>(١٥٠)</sup> (حَلَّ) الشيء حلّالاً: صار مباحاً، و حَلَّ غضب الله على الناس: نزل الفعل في التركيب الأول فعل مزيد بهمزة التعدية، وهو فعل متعدٍ، ماضيه (أَحَلَّ)، مضارعه (يُحَلِّ)، والفاعل في التركيب هو الله سبحانه وتعالى، أمّا الفعل في التركيب الثاني فهو فعل مجرد لازم (حَلَّ)، مضارعه (يَحِلُّ)، والفاعل في التركيب هو سخط الله، والفرق في قوة الدلالة ظاهرة لا تحتاج إلى توضيح

١٥. هنا عبارة (لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) غير مذكورة.
١٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣: ١٤
١٧. تاريخ مدينة دمشق ٤٩: ١٥٢
١٨. هنا عبارة (أنت رب المستضعفين وربّي) غير مذكورة.
١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد ٣: ٣١
٢٠. الفتاوى الكبرى ٢: ٣٨١
٢١. الروح في الكلام على أرواح الاموات والأحياء ١: ٢٥٩
٢٢. هنا عبارة (يا أرحم الراحمين) غير مذكورة.
٢٣. سورة طه الآية ١٢٥
٢٤. سورة البقرة الآية ٦١
٢٥. سورة الأنبياء الآية ٨٢
٢٦. ينظر لسان العرب مادة (سأل)
٢٧. ينظر لسان العرب مادة (سأل)
٢٨. الفروق في اللغة ٢٨
٢٩. سورة نوح الآية ٢٦
٣٠. سورة البقرة الآية ٢٦٠
٣١. ينظر لسان العرب مادة (ندي)
٣٢. الفروق في اللغة ٣٠
٣٣. سورة مريم الآية ٣
٣٤. سورة الأنبياء الآية ٨٧
٣٥. سورة المعارج الآية ١٧
٣٦. الفروق في اللغة ٣٠
٣٧. سورة آل عمران الآية ٣٨
٣٨. سورة غافر الآية ٦٠
٣٩. ينظر لسان العرب مادة (دعا)
٤٠. سورة الأعراف الآية ١٥٨
٤١. لسان العرب مادة (نبأ)
٤٢. الفروق في اللغة ٢٨٤
٤٣. ينظر لسان العرب مادة (رسل)
٤٤. سورة آل عمران الآية ١٤٨
٤٥. ينظر الجنى الداني ٢٥٠ - ٢٥٢.
٤٦. الجنى الداني ٣٩
٤٧. الجنى الداني ٤٠
٤٨. الجنى الداني ٣١٠

بدا واضحا من خلال البحث ما لأداة الاستفهام (لماذا) من أهمية كبيرة في التحليل الدلالي، فالإجابة عن الأسئلة التي تطرح بها، تبين البلاغة في النص الأدبي المراد تحليله، وبدا واضحا تأثير الأصوات اللغوية في تحليل النص اعتمادا على المستويات اللغوية ابتداء بها في اللفظة، وهذا يشمل الترادف والمعنى المعجمي، أو وجودها بالصيغ المزيّدة، وهذا يشمل الصرف، سواء كانت الصيغ أسمية أم فعلية، فضلا عن التركيب الذي تتغير فيه مواضع الألفاظ، أو تقل، أو تكثر، وبدا تتضح أهمية الصوت اللغوي الواحد في اللفظة أو النص، فصفات الأصوات تؤثر وتتأثر في السياق، سواء كانت صامتة أم صائتة، قليلة أم كثيرة، متقاربة الصفات أم متباعدتها.

### الحواشي

١. سورة الحجر الآية ٩
٢. السيرة النبوية ٢: ٢٦٨
٣. سيرة النبي المختار ١: ١٩٧
٤. الجواب الصحيح ١: ٣٩٠
٥. مختصر السيرة ١: ١١٢
٦. تفسير القرآن العظيم ٤: ١٦٤
٧. تفسير البغوي ٤: ١٧٢
٨. دقائق التفسير ٢: ٢٩٤
٩. هنا عبارة (يا أرحم الراحمين) غير مذكورة
١٠. هنا عبارة (ولا حول ولا قوة إلا بالله) غير مذكورة، وكذلك حرف الجر (من) قبل أن ينزل بي سخطك.
١١. تفسير الثعلبي ٩: ١٩
١٢. هنا حرف النداء (يا) غير مذكورة.
١٣. هنا عبارة (الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) غير مذكورة.
١٤. الكامل في التاريخ ١: ٦٠٧

٤٩. الجنى الداني ٣١٤
٥٠. سورة المائدة الآية ١١٤
٥١. سورة البقرة الآية ١٢٦
٥٢. سورة آل عمران الآية ٣٨
٥٣. سورة نوح الآية ٢٦
٥٤. سورة التحريم الآية ١١
٥٥. سورة الإسراء الآية ٢٤
٥٦. سورة الحجر الآية ٣٦
٥٧. سورة الأنفال الآية ٣٢
٥٨. ينظر لسان العرب مادة (أله)
٥٩. الفروق في اللغة ١٨٠
٦٠. سورة يوسف الآية ٣٩
٦١. سورة الأنبياء الآية ٨٢
٦٢. ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ٣٥٨ ، و المستقصى في معاني الأدوات النحوية وإعرابها ٥٦.
٦٣. ينظر حروف الهجاء ٧٦، و الجنى الداني في حروف المعاني ٩٥، والمستقصى في معاني الأدوات النحوية وإعرابها ٢٠٧.
٦٤. ينظر معاني النحو: ١٦- ١٨ و ٦١ - ٦٣
٦٥. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ٧١
٦٦. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ٧٣
٦٧. سورة الممتحنة الآية ٤
٦٨. ينظر معاني الأبنية في العربية ٩
٦٩. سورة غافر الآية ٦٠
٧٠. سورة ابراهيم الآية ٢٢
٧١. لسان العرب مادة (ضعف)
٧٢. ينظر معاني النحو: ٣: ١٤١ - ١٤٧
٧٣. سورة الشعراء الآية ٥٤
٧٤. ينظر الفروق في اللغة ٢٤٧
٧٥. لسان العرب مادة (حيل)
٧٦. لسان العرب مادة (دبر)
٧٧. الفروق في اللغة ٢٥١
٧٨. سورة يونس الآية ٣
٧٩. سورة يونس الآية ٣١
٨٠. سورة المؤمنين الآية ٦٨
٨١. سورة الصافات الآية ٩٠
٨٢. سورة غافر الآية ٣٣
٨٣. سورة القمر الآية ٤٥
٨٤. سورة الذاريات الآية ٥٠
٨٥. الفروق في اللغة ٢٤٦
٨٦. ينظر لسان العرب مادة (هون)
٨٧. ينظر لسان العرب مادة (وهن)
٨٨. لسان العرب مادة (نوس)
٨٩. الفروق في اللغة ٢٦٨
٩٠. سورة لقمان الآية ١٠
٩١. سورة لقمان الآية ١١
٩٢. الفروق في اللغة ٢٦٨
٩٣. المذهب في علم التصريف ٢٨٤
٩٤. ينظر لسان العرب مادة (رحم)
٩٥. الفروق في اللغة ١٩٠
٩٦. ينظر شذا العرف في فن الصرف ٩٣ و ٩٩
٩٧. ينظر ابن يعيش ٢٤/٥
٩٨. ينظر معاني الأبنية ١٤٤ - ١٤٧
٩٩. سورة الإسراء الآية ١١٠
١٠٠. سورة الأنبياء الآية ٨٣
١٠١. سورة الأعراف الآية ١٥١
١٠٢. سورة يوسف الآية ٦٤
١٠٣. سورة يوسف الآية ٩٢
١٠٤. ينظر المعجم المفهرس ٥٨٩ - ٥٩١.
١٠٥. ينظر المذهب في التصريف ٩٩ - ١٠٠
١٠٦. سورة القصص الآية ٥
١٠٧. سورة آل عمران الآية ٤٢
١٠٨. سورة آل عمران الآية ٣٣
١٠٩. ينظر لسان العرب مادة (ربب)
١١٠. التصوير الفني/١٠٥.
١١١. ينظر بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عم يتساءلون دراسة صوتية، ٢٠٢.
١١٢. سورة التوبة، الآية ٣١
١١٣. الفروق في اللغة ١٨١
١١٤. أسرار التقديم والتأخير ١١



١١٥. ينظر المفردات في غريب القرآن ٥٣١.

١١٦. المفتاح في الصرف ٤٨: ١

١١٧. الفروق في اللغة ١٧٦

١١٨. الفروق في اللغة ٢١٦

١١٩. كما ورد النص في (تاريخ مدينة دمشق)

١٢٠. ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ٣٦، والمستقصى

في معاني الأدوات النحوية ٩٢، وحروف الهجاء ٢: ٥١٤

١٢١. سورة الأعراف الآية ٦٠

١٢٢. سورة الأعراف الآية ٦١

١٢٣. ينظر تراكيب أبنية الجذور (بصر. رأى. نظر) في

القران الكريم دراسة دلالية ٢٨٤ - ٢٨٥.

١٢٤. المذهب في علم التصريف ٢٧٧

١٢٥. المذهب في علم التصريف ٢٧٨

١٢٦. معاني الأبنية في العربية ٩٢

١٢٧. سورة البقرة الآية ٢١٤

١٢٨. ينظر الفروق في اللغة ١٢٥ - ١٢٦.

١٢٩. سورة النور الآية ٣٥

١٣٠. سورة الصف الآية ٨

١٣١. سورة الزمر الآية ٦٩

١٣٢. سورة البقرة الآية ١١٥

١٣٣. سورة الصافات الآية ١٠٣

١٣٤. ينظر المفردات في غريب القرآن ٥١٣.

١٣٥. سورة البقرة الآية ١١٥

١٣٦. سورة القصص الآية ٨٨

١٣٧. سورة الليل الآية ٢٠

١٣٨. ينظر المفردات في غريب القرآن ٥١٤.

١٣٩. الفروق في اللغة ٢٣٠ - ٢٣١

١٤٠. لسان العرب مادة (عفو)

١٤١. سورة الشعراء الآيات ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠

١٤٢. سورة آل عمران الآية ١٥٩

١٤٣. ينظر معاني النحو ٥١: ٥٥

١٤٤. ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ٤٧٦

١٤٥. لسان العرب مادة (غضب)

١٤٦. لسان العرب مادة (سخط)

١٤٧. معجم كتاب العين ٢/ ٢٢٩.

١٤٨. معجم مقاييس اللغة/ ١٢٩٣.

١٤٩. ينظر بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عمّ

يتساءلون) برواية حفص عن عاصم دراسة صوتية

٣٢١.

١٥٠. ينظر الفروق في اللغة ١٢٢ - ١٢٣.

## المصادر

❖ أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، د. محمود

السيد شيخون، نشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة،

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ط ١.

❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابو محمد عبد الله

جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام

الانصاري المصري، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٣٩٩ هـ -

١٩٧٩ م، ط ٥.

❖ بصائر ذوي التمييز التمييز في لطائف الكتاب العزيز،

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد

علي النجار، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ط ٣.

❖ بنية السورة القرآنية في جزء عمّ يتساءلون دراسة صوتية،

عزة عدنان أحمد عزّت، أطروحة دكتوراه، إشراف د. رافع

العبيدي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

❖ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من

الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد

الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة

العمرى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٠ م.

❖ تراكيب أبنية الجذور (بصر. رأى. نظر) في القرآن الكريم

دراسة دلالية، عزة عدنان أحمد عزّت، رسالة ماجستير

إشراف د. عماد عبد يحيى، كلية الآداب جامعة الموصل،

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

❖ التصوير الفني الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف،

القاهرة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م، ط ٩.

❖ تفسير البغوي، البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك،

دار المعرفة، بيروت.

❖ تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، أبو اسحق أحمد بن

محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق أبو محمد بن

عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

❖ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير

الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

❖ التنعيم اللغوي اللغوي في القرآن الكريم، سمير ابراهيم

(لماذا)

مفتاح

التحليل

الدلالي

دعاء

الرسول

محمد ﷺ

في الطائفة

أنموذجا

- وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ جامع الدروس العربية الدروس العربية، الشيخ مصطفى الفلايبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ط ١.
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ط ١.
- ❖ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق علي سيد صبحي المدني، مطبعة المدني، مصر.
- ❖ دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق د. محمد السيد الجلند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤ هـ، ط ٢.
- ❖ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبو بكر ابن أيوب بن سعد الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ❖ زاد المعاد في خير العباد، محمد بن أبو بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت - الكويت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ط ١٤.
- ❖ السيرة النبوية، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، بيروت - لبنان، دار احياء التراث العربي.
- ❖ حقائق الأنوار ومطابع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، ١٩٩٨ م، ط ١.
- ❖ شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملوي، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ط ١.
- ❖ شرح ابن عقيل على متن الألفية، محمد بن مالك الطائي الجباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ❖ الفتاوى الكبرى، أبو العباس تقي الدين أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق وتقديم حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت.
- ❖ الفروق في اللغة في اللغة، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ط ٣.
- ❖ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن
- محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، ط ٢.
- ❖ لسان العرب العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- ❖ مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ط ١.
- ❖ مختصر السيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد العزيز زيد الرومي و د. محمد بلتاجي و د. سيد حجاب، مطابع الرياض، الرياض، ط ١.
- ❖ معاني النحو النحو، فاضل السامرائي، وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ❖ المعجم المفهرس المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار الحديث، ط ١.
- ❖ معجم كتاب العين معجم كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق د. مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ١٩٨٠، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، دار الرشيد.
- ❖ معجم مقاييس اللغة مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ط ١.
- ❖ المغني في تصريف الأفعال، د. محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ط ٢.
- ❖ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- ❖ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨ هـ، ط ١.
- ❖ المذهب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش و د. صلاح مهدي الفرطوسي و د. عبد الجليل عبيد حسين، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، دار الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩ م.

# الحكم المدني الفرنسي في الجزائر وآثاره على "الأهالي" الجزائريين

(١٨٧١-١٩٠٠)

حياة سيدي صالح

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ / جامعة الجزائر

إذا كانت فرنسا قد تمكنت من فرض سلطتها الاستعمارية على كل من تونس والمغرب من خلال "نظام الحماية"، فإنها في الجزائر تمادت إلى أن فرضت سيطرتها الاستعمارية المباشرة على هذا البلد، وعمل المستوطنون (Les colons) على إلحاق الجزائر ببلدهم الأم، وقد نتج عن محاولات تطبيق هذه السياسة حدوث صراع ضار بين هؤلاء المستوطنين والقادة العسكريين الفرنسيين حول السلطة في المستعمرة، والذي اشتدت حدته بشكل لافت في أواخر القرن ١٩، لاسيما بعد حرب سنة ١٨٧٠، التي انتصرت فيها ألمانيا على جارتها فرنسا، وقد وجد المستوطنون في ذلك فرصة لقلب نظام الحكم في الجزائر، والمطالبة بتثبيت الحكم المدني الذي يؤسس لحكم المستوطنين ويزيد من تقوية نفوذهم، بل ويمكنهم من فرض سياستهم أكثر على "الأهالي"، وذلك من خلال التضييق على حرياتهم، وسلب ممتلكاتهم بواسطة قوانين قهرية، تجلت في تقوية الاستيطان ونزع الملكية من الجزائريين، وفرض الضرائب المجحفة عليهم، وإقصاء أبنائهم من التعليم، ومحاولة محو الشخصية الجزائرية وفرض التجنيس، وغيرها من القوانين التي جعلت النظام العسكري بمساوئه أهون من الحكم المدني في العصر الجمهوري. فما هي طبيعة السياسة التي اعتمدها الحكم المدني؟ هذا ما سنحاول الوقوف على جوانب منه في هذا العمل.

مميزات فترة الحكم المدني

## ١ - في المجال السياسي

منع الحكومة الفرنسية من التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر، وذلك عن طريق الضغوط التي كان يفرضها النواب الممثلون للمستوطنين في البرلمان الفرنسي، وإحداث ميزانية خاصة بالجزائر لحرمان الحكومة الفرنسية من ورقة الضغط عليهم أو التدخل في شؤونهم، وعملهم

تخلت السلطات الفرنسية في باريس منذ عام ١٨٧١ عن ممارسة نفوذها في الجزائر، وذلك لفائدة غلاة المعمرين الذين انتهجوا سياسة



على إضعاف الحاكم العام، بصفته ممثل الدولة الفرنسية، في مقابل تركيز السلطات في يد رؤساء البلديات الذين يخدمون أنفسهم ومصالحهم، ويتجاهلون مصالح الجزائريين الذين لم تكن لهم سلطة ولا قوة تحميهم، ولا وجود لأي تمثيل سياسي لهم في فرنسا ومؤسساتها التشريعية، كالبرلمان ومجلس الشيوخ<sup>(١)</sup>. وعموماً ازدادت سيطرة المستوطنين في ظل الحكم المدني في مختلف الميادين، بعد أن نجح هؤلاء في إضعاف دور المؤسسة العسكرية والمكاتب العربية التي كثيراً ما دعوا لإلغائها، لأنها تشكل خطراً عليهم وتهدد مصالحهم، وقد عبرت يومية "لافيجي ألبيريان" (La vigie algérienne) عن هذا القلق فكتبت بتاريخ ٢٣ مارس ١٨٧٨ ما يلي: "كثيراً ما طالبنا بإلغاء هذا الجهاز الفاشل والمدمر، هذه المكاتب التي تقف دائماً في وجه هيمنتنا وسيطرتنا، والإصلاح كان دائماً مُحارباً من قبل هذه المكاتب العربية التي يستعملها رؤساء القبائل لاستغلال الأهالي على حساب الإدارة الفرنسية"<sup>(٢)</sup>.

وقد ازداد النشاط الاستيطاني، وتضاعفت سياسة نزع الملكية، ولوحق الجزائري في لقمة عيشه بكل الوسائل من خلال اعتماد المستوطنين فلسفة: "الغالب على المغلوب"، أو ما أسماه زعيم الاستيطان بالجزائر الدكتور ورنى (Warnier)<sup>(\*)</sup>: "قانون المستوطنين"، الذي قام على الاستيلاء على الأرض، وإضعاف المجتمع الجزائري، والتوسع وإحكام السيطرة على الجزائريين<sup>(٣)</sup>. وقد اعتمد المستوطنون في خطتهم على تقوية التمثيل السياسي في فرنسا وفي داخل الجزائر، وحرص هؤلاء على حرمان الجزائريين من التمثيل السياسي، وكان المستوطنون يريدون الإدماج والحقوق السياسية لجميع الأوربيين، وبذلك ضم

الجزائر لفرنسا، ولكن بشروط، هي الامتناع عن دفع الضرائب، وعدم أداء الخدمة العسكرية في الجيش، وكذا عدم دفع أية تكاليف مالية<sup>(٤)</sup>. وهذا ما يؤكد بالملحوس أن النظام العسكري بمساوئه كان فعلاً أهون من الحكم المدني في العصر الجمهوري. فالقادة الجمهوريون جاؤوا بالبرامج المسطرة لتوسيع نطاق "الاستيطان الرسمي"، وتقديم المساعدات الحكومية الضخمة لإنجاز المشاريع التجارية والعمرانية الخاصة بتسهيل إقامة الجاليات الأجنبية في الجزائر<sup>(٥)</sup>، لذلك تعتبر الفترة من ١٨٧٢ إلى ١٩٠١ أكثر الفترات التي شهدت نمواً ديمغرافياً أوروبياً كبيراً في الجزائر، حيث وصل إلى ٣٥٤,٠٠٠ نسمة في فاتح فبراير (فيفري)، وذلك بسبب الهجرة والاستيطان<sup>(٦)</sup>. وجاء في جريدة "التضامن" (Solidarité) في مقال بعنوان: "مشروع الاستيطان" (Programme de Colonisation) لعام ١٨٨٠ ما يلي:

"تحصلنا على برنامج الاستيطان كما تم تحديده من قبل الحكومة العامة (Gouvernement général) عقب مداولات "المجلس الأعلى" (Conseil supérieur) يتضمن للسنة المقبلة إيجاد ٢٣ مركزاً أوروبياً جديداً في الولايات الثلاث: الجزائر ووهران وقسنطينة، لتمكين المستوطنين الحاليين أو الراغبين في الحصول على ملكية معرفة الجهة التي يطلبونها ويرغبون في الحصول عليها. ونعتقد أنه من الضروري وضع جدول للأماكن الجديدة المقترحة والموفرة من قبل الإدارة"<sup>(٧)</sup>.

وجاء في جلسة "المجلس الأعلى" في أكتوبر ١٨٧٢، ما يلي:

"لا يكفي أن نمنح الأراضي للمهاجرين من

الألزاس (Alsace) واللورين (Lorraine)، بل لابد أن نوفر لهم وسائل تمكنهم من الإنتاج، فالعائلات التي وصلت أغلبها منعومة الإمكانات، من الضروري توفير السكن لهم وآلات الزرع والحرث والبذور وحيوانات، ومساعدتهم على العيش في انتظار الحصاد، مع إجبارهم على الإقامة (الاستيطان)، وبذلك لن تعطى هذه الأراضي لمن يبيعونها بسرعة، فالمهاجر عند وصوله إلى الجزائر لابد أن يوضع دون أدنى تأخر في ممتلكاته، وأن يجد الدعم الكافي لبناء بيته البسيط في انتظار تحسن أوضاعه"<sup>(٨)</sup>.

ومما تقرر في هذه الجلسة نفسها كذلك: تأكيد العمل لصالح الهجرة، واقتراح تكوين جهاز بمصالح حيوية خاصة بالمستعمرات، مهمتها تثبيت فعلي للمعمرين فوق الأرض، والاهتمام بكل ما يتعلق بالهجرة والاستيطان في المناطق المدنية والعسكرية، ويكون هذا الجهاز تحت الإدارة المباشرة للحاكم دون القادة العسكريين، وتحت إشراف مباشر للمجالس العامة<sup>(٩)</sup>. كما تم التنصيص أيضا على ضرورة تكوين جهاز خاص بالهجرة والاستيطان، يتولى متابعة العملية خطوة خطوة، ولذلك فإنه من الواجب الحصول على القرض المخصص والمقدر بـ ٥٠,٠٠٠ فرنك<sup>(١٠)</sup>. وبخصوص موضوع الاستيطان دائما، ورد في صحيفة "لاديباش الجيريان" (La Dépêche Algérienne)، الآتي:

"يبقى علينا فعل الكثير، على الرغم من أننا قمنا بعمل كبير، لأن الرغبات كثيرة، وفي بلد عدد مواطنينا فيه لا يزال قليلا، فإنه يتوجب إسكان مواطنين فرنسيين بكثرة بهدف احتلاله وإحداث تفوق، ليس فقط على الأهالي، ولكن حتى على السكان الأوربيين الأجانب، إذا نحن أردنا أن لا

تبقى مجرد ملكية فرنسية فيما وراء البحر.... فلا بد أن نوجه موجة المهاجرين الفرنسيين إلى الجزائر لتوفر الإمكانات، بدلا من توجيهها نحو العالم الجديد.

إن أمن الأشخاص الذي من واجب الحكم تحقيقه غير كاف في الجزائر، فالمستوطنون لا يزالون عرضة للاعتداءات (المقاومة)، وقد ساعد على ذلك تشتتهم وتوزيعهم بعيداً على المراكز<sup>(١١)</sup>.

يتضح من كل هذا كيف شجعت إدارة الاحتلال الفرنسي النشاط الاستيطاني في الجزائر، وهو ما ميز الحكم المدني؛ وقد مثلت المرحلة بين عامي ١٨٧١ و ١٨٨٢ العصر الذهبي للهجرة والاستيطان بالنسبة للنظام الجمهوري، حيث هاجر إلى الجزائر الآلاف من الفرنسيين من الألزاس واللوردين، ومن جنوب فرنسا، ومن إسبانيا وإيطاليا ومالتا<sup>(١٢)</sup>. وكان يوزع على المهاجرين في هذه الفترة سنويا، وبشكل مجاني، مساحات يقدر متوسطها بين ٣٠,٠٠٠ و ٤٠,٠٠٠ هكتار<sup>(١٣)</sup> وقد خُصص لمهاجر الألزاس ١٠٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي، معظمها في منطقة القبائل، وهذا بعد عام ١٨٧١. عرفت هذه المرحلة أيضا العودة إلى منح الأراضي، التي صودرت من الثوار، مجانا<sup>(١٤)</sup>، وقد بلغت مساحتها ٤٤٦,٠٠٠ هكتار، وقيمتها ١٩ مليون فرنكا، كما فُرض على هؤلاء الثوار دفع مبلغ ٣٦,٥٨٢,٠٠٠ فرنكا كضريبة حرب. وقد كلفت ثورة المقراني ١٨٧١ في منطقة القبائل الجزائريين ٦٣,٢١٢,٢٥٢ فرنكا، ذهب منها إلى "ضحايا الثورة" - وهم الفرنسيون - ١٩,٠٠٠,٠٠٠ فرنكا<sup>(١٥)</sup>. أكد هذه المعلومات النقاش البرلماني بتاريخ ٠٢ مارس ١٨٩١، الذي مما جاء فيه: "في ١٨٧١ ثار الأهالي، فكانت نتيجة ذلك مصادرة ممتلكاتهم، وهذه الممتلكات سمحت للحاكم العام بتوفير مستوطنات

جديدة<sup>(١٦)</sup>. وقد مكن هذا النشاط الاستيطاني من تحويل المستوطنين في الجزائر إلى مُلاك واستغلاليين كبار، يعيشون البجوحة والرخاء المفرط، وأصبحت أرض الجزائر بالنسبة لهم وسيلة ادخار ومضاربة، وصارت الزراعة بالنسبة لهم مضاربة أكثر منها نمط حياة<sup>(١٧)</sup>.

أعطت المصادرات بعد مقاومة ١٨٧١ انتعاشا جديدا للاستيطان الرسمي، كما أنّ إقامة الملكية الفردية محل الملكية المشتركة سهل الاستيطان الحرّ بكل أشكاله، حيث تمكن المعمرون من تحقيق أحد أهم مطامحهم بفتح المجال لهم لاستغلال أراضي العرش، وذلك بواسطة قانون وارني بتاريخ ٢٦ جويلية ١٨٧٣<sup>(١٨)</sup>، الذي عرف بقانون المعمرين. وقد ذكر غزافيه ياكونو (Xavier Yacono) في كتابه: "تاريخ الجزائر" (Histoire de l'Algérie) قائلا: "مادتان من القانون المدني فجرتا ملكية الأهالي، المادة ٨١٥ التي تنص على أنّه لا يحق لأحد إبقاء الملكية الجماعية"، والمادة ٨٢٧ التي نصت على أنّه "إذا لم يكن ممكنا تقسيم الأراضي بسهولة، ستخضع إلى البيع بالمزاد"<sup>(١٩)</sup>.

لقد كانت مساحة الأراضي خلال الحكم المدني لا تبلغ في عهد الإمبراطورية سوى ٢٧٨,٠٠٠ هكتار، كان يقطنها ٤٩٣,٠٠٠ نسمة في عهد لوي - هنري دوغيدون (Louis Henri de Gueydon) (١٨٧١-١٨٧٣) إلى ٣,١٥١,٦٧٣ هكتار، ثم ارتفعت في عهد ألفرد شانزي (Alfred Chanzy) (١٨٧٣-١٨٧٩) إلى ٤,٨٥٠,٠٠٠ هكتار، وفي فترة حكم ألبيير جريفي (Albert Grévy) (١٨٧٩-١٨٨١) ارتفعت أكثر وبشكل رهيب فوصلت في سنة ١٨٨١ إلى ١٠,٤٨٢,٩٦٤ هكتار<sup>(٢٠)</sup>. وقد خسر الجزائريون في الفترة ما بين ١٨٧٧ و١٨٩٨، أي في إحدى وعشرين سنة

٢٨٨, ٤٣٢ هكتارا.

والملاحظ هنا أنّ كل حاكم عام تولى الحكم في الجزائر إلا وعمل على تشجيع النشاط الاستيطاني ونزع الملكية. وكان أسلوب نزع الملكية الوسيلة الأساسية التي اعتمدها الاستعمار، وبذلك امتدت أيادي المستوطنين إلى أراضي العروش، فاستولى المستوطنين في منطقة الصومام مثلا على ١٠ آلاف هكتار من الأراضي<sup>(٢١)</sup>. وكانت الملكية الفردية، التي أراد الاحتلال إدخالها في أراضي الملك، لا تتماشى والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي للقبائل التي تستعمل الأراضي جماعيا، وكان بذلك القضاء على التجمعات العائلية، وعلى التضامن القبلي، ونتج عن ذلك اضطراب في البنية الاجتماعية والزراعية، مما أدى إلى نشوب صراعات ونزاعات دائمة<sup>(٢٢)</sup>.

ولاشك في أنّ هذه الإجراءات، التي اتخذها الحكام الفرنسيون، كانت في إطار سياسة "فرق تسد"، التي اعتمدها الاستعمار الأوربي بشكل عام والفرنسي بشكل خاص. وقد دعمت إدارة الاحتلال هذه السياسة (القوانين) بإدخال "قانون الحالة المدنية"، الذي كتبت في شأنه يومية "لاديبيش ألجريان" (La dépêche algérienne) قائلة: "إنّ الملكية الجماعية للأرض من العراقيل التي تفقد البلاد أهميتها، للاستفادة من المساحات الشاسعة غير المزروعة، ولأجل تطور المستعمرة ورفاهيتها، فإن قانون الحالة المدنية أمر ضروري لمعرفة العائلات والأفراد وحقوق كل واحد منهم". ومما جاء في هذه اليومية كذلك: "في المدينة: أشغال السكة الحديدية ستطلق هذه الأيام، القرية المقترحة هي بني بويقوب، وهذا الطريق سيربط الطريق الوطني لبني شيكو، وبفضل الجهود التي يبذلها المسؤول الإداري لبني شيكو، الكثير من



الأهالي العارفين بفائدة إيجاد قرية قد تنازلوا طواعية عن قسم من أراضيهم، وقد وقعوا مؤخرًا استعدادهم بتسليم هذه الأراضي لمستوطنات بسعر ١٠٠ فرنك للهكتار<sup>(٢٣)</sup>، ومن المعروف أنّ الجزائري كان دائمًا متشبثًا، بأرضه، فإلى غاية ١٩٠٠ ظل رافضًا التنازل عنها<sup>(٢٤)</sup>.

وقد أكدت من جانبها جريدة "المنتخب" هذه الوقائع حول مصادرة الأراضي من الجزائريين في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٨٢<sup>(٢٥)</sup>، حيث جاء فيها: "ما ذكر -من مصادرة الأراضي- لا بد من نزع الأراضي من أيدي أربابها على سبيل الإجمال، ولهذا نسأل سؤالًا واحدًا، هل يرضى الأهالي بنزع أراضيهم من أيديهم؟ ولما كنا عالمين بذلك أحسن من الغير فيكون جوابنا لهم نفيًا منفيًا، ذلك لأنّهم راغبون في أراضيهم أكثر من الدراهم، لاسيما وأنهم ورثوها أبا عن جد." <sup>(٢٥)</sup> وأشار كذلك الأديب الفرنسي كي دوموباسان (Guy de Maupassant) (١٨٥٠-١٨٩٣)، الذي زار الجزائر في ١٨٨١ - وتزامنت زيارته مع مقاومة الشيخ بوعمامة - إلى كيفية حصول المستوطنين على الأراضي في الجزائر، وقد أورد ذلك في كتابه: "رحلة إلى بلاد الشمس"، الذي قال فيه:

"في ما يلي مختلف الطرق المستعملة لصيد وسلب ملاك الأراضي البؤساء: يطلب مواطن فرنسي عادي غادر فرنسا من المكتب المكلف بتوزيع الأراضي امتيازًا لحكر الأرض في الجزائر، تقدم له قبعة مليئة بالأوراق يسحب منها رقمًا مطابقًا لقطعة أرض، فتصبح هذه القطعة من تلك اللحظة فصاعدًا ملكه. ثم يذهب فيجد هناك في إحدى القرى عائلة كاملة مستقرة في قطعة الأرض التي حددت له، التي تعمورها، وتعيش من

ربيعها ولا تملك شيئًا غيرها، يأتي الغريب (نفس المصطلح الذي استعمله الأستاذ سعد الله في كتابه الحركة الوطنية مشيرًا به إلى المستوطنين) ويطردها، فتذهب مستسلمة لأنّ هذا هو القانون الفرنسي." <sup>(٢٦)</sup>

وقد ازداد النشاط الاستيطاني بعد عام ١٨٧١، لاسيما مع تهجير فرنسي الألزاس واللورين، فكان التحول بين ١٨٧١-١٨٨٠ كالآتي: استُحدثت ٢٠٧ قرية على مساحة ٢٦٩,٢٢٣ هكتار لفائدة ١٩٥,٤١٨ نسمة، ووصل عدد المستوطنين في ١٨٩٠ إلى ٦٧٢,٢٦٧ نسمة، وفي ١٩٠٠ ارتفع العدد إلى ٢٥٧,٢٦٤ نسمة<sup>(٢٧)</sup>. وفيما بين عامي ١٨٧١ و١٨٨٢ منح مجانًا، لأربعة آلاف (٤٠٠٠) عائلة قدمت من فرنسا، ٢٦٨,٣٤٧ هكتارًا، بلغ ثمنها ٤٣ مليون فرنكًا. وطالب المستوطنين في عام ١٨٨١ بتخصيص ميزانية بقيمة ٥٠ مليون فرنكًا لبناء ١٧٥ قرية على مساحة ٣١٠,٠٠٠ هكتار، منها ٢٠٠,٠٠٠ تنتزع من الأهالي، وقد حارب هذا النداء النواب الأحرار تحت لواء الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي<sup>(٢٨)</sup> وقد تولت "جريدة المنتخب" نشر مقالات في الموضوع، نذكر منها هذا المقال الذي جاء فيه:

"ها نحن ندرج هنا المقالات الثلاث التي أسمعت عند انعقاد مجلس الجماعة التي حدثت في باريز لحماية البلاد الموجودة تحت حكم الدولة الجمهورية. أعرفكم بما جرى، بعد تأسفي وحسرتي، كل من سافر إلى بر الجزائر أو عبر البحر، لا يشك في مقالتي، بل يثبتها حيث شاهدها بعينه وتأسف لما وقع، فالمطلوب العلاج على قدر الجهد لهذه الأحوال الإنسانية والسياسية، حيث إنّ هذا الفعل لا يناسب جنسنا الكريم ولا دولتنا الجمهورية، وذلك اتخاذ سكان البلاد في

مراتب أدنى من مراتبنا، والحكم عليهم بغير حق، وفي غالب الأحوال بظلم يجلب لنا الكره، وترك تعليمهم وأدبهم وتثقيل المغارم عليهم من غير أن يستنفقوا بشيء منها، وأخذنا الأرض وأعطيناها لسكان أوربا (...) صرنا نحتقرهم ونحسبهم أدنى منا، بل كالرقيق، وكالهنود التابعين لشريعة البراهمة، وعند ظني، أن الرقيق لا يوجد بأرض فرانسواوية<sup>(٢٨)</sup>.

لقد كان هذا الخطاب من إلقاء لوبلان دولاموث (Le blanc de Lamothe)، وهو أحد أعضاء هذه الجمعية والذي عبر فيه عن وضع الجزائريين وعن سياسة الجمهورية الفرنسية بقيادة المستوطنين، ولاسيما الغلاة منهم والمتشددين.

وكان لفرنسيي الألزاس واللورين بعد ١٨٧١ أسبقية ملكية الأرض التي تنتزع من السكان الأصليين، ومنها أراضي العرش التي كانت تقدم لهم مقابل سعر بخس يصل إلى ٥,٠٠٠ فرنك للذي يملك المال، أما الذي لا يملك مالا فإنه يدفع فرنكا واحدا في السنة<sup>(٢٩)</sup>. وكانت الأسر الميسورة، التي تريد تحسين ظروفها، تدفع ما بين ٥,٠٠٠ و ٦,٠٠٠ فرنكا للحصول على قطعة أرض، وعلى ١,٦٠٠ و ٢,١٠٠ فرنكا للحصول على بيت جاهز من طابقين<sup>(٣٠)</sup>، وبسبب كل ذلك، فقد ارتفع عدد السكان الأوربيين في ما بين عامي ١٨٨١ و ١٩٠١ من ١٩٥,٤١٨ نسمة إلى ٣٦٤,٢٥٧، أي بزيادة ١٦٨,٨٢٩ مواطناً، بينما انخفضت نسبة الإسبان والإيطاليين في ١٨٨١ إلى ٧٥ ٪ ثم إلى ٥٣ ٪ في ١٩٠١، ويرجع سبب ذلك لتطبيق قانون ١٨٨٩، القاضي بتجنيس الأطفال الأجانب المولودين في الجزائر<sup>(٣١)</sup>.

لقد تميز الحكم المدني بتعاقب عدد مهم من الحكام، الذين حاول كل واحد منهم أن يضع

بصمته بخصوص استنزاف الجزائريين وانتزاع الأراضي منهم لفائدة المستوطنين، ولاسيما ثلة من الغلاة منهم، الذين نعموا بالرخاء والرفاهية فيه، حتى غدوا لا يستطيعون التنازل عنه، وهم على استعداد للقيام بأي شيء من أجل الحفاظ عليه، ولو كلفهم ذلك مواجهة "الأهالي"، بل وحكامهم وبلادهم. وقد لخص الكاتب الجزائري مصطفى الأشرف هذه المفارقة بين بؤس الجزائريين ونعيم الأوربيين عموماً بقوله: "إنه قل ما نجد في أرجاء العالم بشراً في مثل تلك الحالة من البؤس والشقاء، يعيشون بجوار ذلك الثراء الفاحش الذي ينعم به الأجانب<sup>(٣٢)</sup>". وكان من نتائج ذلك الثراء ما سجلته إحصائيات ١٨٧٢ من تناقص في عدد المسلمين بـ ٢٠٪<sup>(٣٣)</sup>، وقد عبر عن هذه الوضعية الحاكم العام ألفرد شانزي -الذي كان مكروها من المستوطنين - وذلك أمام غرفة النواب التي حملها مسؤولية إهمال مصالح الجزائر، ومما قاله في هذا الصدد: "إن المعاناة لا تقتصر فقط على سرقة المحاصيل والحيوانات والتهديد بالقتل، ولكن يتعدى ذلك إلى الفقر واليأس والانهدام والإهمال الذي يهدد البلاد"<sup>(٣٤)</sup>، بحسب قوله.

## ٢ - في المجال الاقتصادي

كان لفشل مقاومة المقراني في سنة ١٨٧٠ انعكاسات شديدة على الجزائريين، حيث إنها خلفت مزيداً من الدمار، وضاعفت من معاناة الشعب الجزائري<sup>(٣٥)</sup>، إذ بعد تعيين الحاكم العام لوي - هنري دوغيدون (Louis - Henri De Gueydon)<sup>\*</sup> في ٢٩ مارس، وبمجرد حلوله بالجزائر في أبريل ١٨٧١، رفض اعتبار الثوار محاربين وعاملهم كمتمردين، فأمر بتغريمهم ومصادرة ممتلكاتهم أو تخريبها، كما صرح بأنه جاء ليلبي رغبات الكولون<sup>(٣٦)</sup>. وقد عرفت فترة حكم

هذا الحاكم أيضا إصدار مجموعة من القوانين التي زادت من نفوذ المستوطنين، ولعل من أخطرها "قانون وارنييه" (Warnier) الصادر في ٢٦ يوليو ١٨٧٣، والمستكمل في سنة ١٨٨٧، الذي جاء فيه تطبيق القوانين الفرنسية وليس الشريعة الإسلامية في بيع الأرض (فَرَسَةُ الأرض)<sup>(٣٧)</sup>. وجدير بالذكر أن الجزائر عاشت في عهد دوغيدون تحت الأحكام العرفية دون تدخل للحكومة الفرنسية، حتى لقد وُصف بأنه "عهد قانون الغاب"<sup>(٣٨)</sup>.

كانت مقاومة المقراني في سنة ١٨٧١ عنيفة جدًا، حيث شهدت وقوع ٣٤٠ معركة، شارك فيها ٨٠٠,٠٠٠ مقاتل<sup>(٣٩)</sup>، وبعد القضاء على هذه المقاومة، بأسر بومرزاق وسي عزيز في جانفي ١٨٧٢، أجبرت فرنسا البلديات التي ثارت على دفع مبلغ ٦٤,٧٣٩,٠٧٥ فرنك (٨١ فرنك لكل شخص)، والهدف من ذلك هو إفقار الناس وتجويعهم. وبالفعل، فقد أدت هذه الإجراءات إلى انتشار المجاعة والأمراض التي هلك من جرائها في سنة ١٨٧٢ عدد كبير من الجزائريين. وقد أكدوا صحة هذه الوقائع الزعيم السياسي الفرنسي جول فيري (Jules Ferry) في ٦ مارس ١٨٩١ عندما قال: "في عهد الإمبراطورية كنا نحكم الجزائر عن طريق العرب، وبعد سقوطها ومنذ ١٨٧١ إلى غاية ١٨٨٣ قمنا بتسييرها عن طريق الاستيطان، الذي جاء عن طريق تجريد العرب من الملكية"<sup>(٤٠)</sup>.

لقد أصيبت شرائح الفلاحين العربية في الجزائر بضرر شديد نتيجة لسياسة نزع الملكية وارتفاع أعداد الفلاحين الذين اضطروا إلى بيع أراضيهم لعسهم<sup>(٤١)</sup>، كما أدى توسع أراضي الاستيطان، وإغلاق مجالات المراعي الغابوية، وارتفاع أجور أراضي البور، إلى تدهور تربية

الماشية وأنماط العيش في البوادي، وتعتبر الأرقام التالية عن هذا الواقع المتردي بجلاء لا لبس فيه: ففي سنة ١٨٦٥ كان في الجزائر (بلد الخروف) ٨ ملايين رأس من الغنم، وفي ١٨٨٥ (أي بعد عشرين سنة) نزل الرقم إلى ٧,٧ مليون رأس، وفي سنة ١٩٠٠ تراجع إلى ٦,٣ مليون، وبذلك ندرك أنه من الصعب الحديث عن أي تقدم، بل العكس هو الصحيح، والأمر نفسه ينطبق على إنتاج الحبوب<sup>(٤٢)</sup>.

لقد انهار المجتمع الجزائري أمام توسع الاستيطان، وتسارعت وتيرة هذا الانهيار واشتدت أكثر بعد عام ١٨٧٠، وتجلّى ذلك بوضوح مع تردي أوضاع العائلات الكبرى، الذي بدأ في عهد الإمبراطورية، عندما حرمت هذه العائلات من القيادات، أمّا الأرستقراطية التقليدية، التي حوربت بصلابة وعجزت عن التأقلم مع الواقع الجديد، فقد تبين أنها اندثرت تماماً في حوالي عام ١٩٠٠. ولم يبق سوى بعض عائلات المرابطين والبرجوازية الضعيفة التقليدية في المدن، والمؤلفة من عدد من المثقفين والقضاة والتجار، غير أن هذه العائلات لم تتمكن هي الأخرى من المقاومة والاستمرار، فزالت بدورها تدريجياً تحت وطأة الاستيطان، وأما الحرفيون من "الأهالي" فقد تردت حرفهم وتدهورت أحوال معاشهم، فتقلصت أعدادهم، حتى لم يبق منهم إلا القليل في المدن التقليدية، كتلمسان وقسنطينة<sup>(٤٣)</sup>، بل وأكثر من ذلك أنه لم يسلم من هذا التراجع والتقهقر حتى أولئك الجزائريين الذين ارتبطوا بصداقات متينة أو حميمية مع المستوطنين الفرنسيين.

وهذه رسالة الشيخ العنتري القسنطيني<sup>(\*)</sup> إلى المترجم "فيرو"<sup>(\*\*)</sup> المحررة في ٢٥ غشت ١٨٧٦ تعبّر عن خيبة أمله هو وأمثاله من الذين لفظهم



الفرنسيون لفظ النواة<sup>(٤٤)</sup>.

ومن بين أدوات القهر المستخدمة من إدارة الاحتلال لنهب ممتلكات السكان وتفقيرهم وإذلالهم، فرض الضرائب الثقيلة التي انقسمت على نوعين: عرف النوع الأول بالضرائب التقليدية، وكانت تجبى في مختلف مناطق البلاد، أما النوع الثاني فهي الضرائب التي أُلحقت سنة ١٨٧١ وسميت الضرائب التكميلية: "السنتميات الإضافية" (centimes additionnels)<sup>(٤٥)</sup>. ففي ٢٧ أبريل ١٨٧٦، وبناء على مرسوم ٢٤ نوفمبر ١٨٧١، صدر قانون نص على "إضافة السنتميات الإضافية إلى ضرائب الزكاة والعشور واللزعة، وضريبة الرأس (capitation)، المخصصة للبلديات الأهلية، وقد حددت لسنة ١٨٧٦ بمبلغ ١٨ سنتيم لكل فرنك من القيمة الكلية". كما حددت الضرائب في نفس السنة بالنسبة للمواشي كما يلي: الجمال ٤ فرنكات للرأس، والثيران ٣ فرنكات، والخرفان ٣ فرنكات و٢٠ سنتيما، والماعز ٣ فرنكات و٢٥ سنتيما<sup>(٤٦)</sup>. إنه منطق غريب: الفرنسي يشتري الأرض بفرنك يدفعه في السنة، أما الجزائري الذي هو أفقر فيدفع عدة فرنكات ضريبة، علاوة على تضرره من قوانين نزع الملكية، ومصادرة الأراضي، والمنع من الرعي في العديد من المجالات الرعوية، والخضوع لمختلف أنواع الضرائب، ومن بينها ضريبة "السنتميات الإضافية"، التي لم يكن يستفيد منها إلا الأوربي الرافض لدفع الضرائب، التي كانت توظف أصلاً لخدمة أغراض الاستيطان الأوربي قبل غيره، كما شهدت بذلك جريدة المنتخب، في مقال لها بعنوان: "فضيحة الجزائر" (Le scandale d'Alger)، نشرته بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٨٨٢ جاء فيه: "لم تكن السنتميات الإضافية التي كان يدفعها الأهالي للخزينة تستعمل للعناية

بالغابات فقط، لكنها لدفع تكاليف تخطيط المناطق الاستيطانية، وكذا المساحات المخصصة للبناء (lotissement)، وكان القائمون على الرقابة (commissaires enquêteurs) عند الانتهاء من أشغالهم، يصرحون بأنها غير صالحة، فيجبرون على إعادة دراستها والتصريح بصلاحياتها بعد تقاضيتهم الأجرة"<sup>(٤٧)</sup>.

ولما لم يكن للجزائريين ممثلون للدفاع عنهم في ما كان يسمى بـ "المندوبيات المالية"، التي تحدد الضرائب العربية، جاءت الكثير من تقارير هذه المندوبيات لتزيد من الاستغلال للإنساني للجزائري، من خلال ما يفرض عليه من ضرائب، وقد تأكد هذا الواقع صراحة في التقرير الذي قدم أمام لجنة الضرائب العربية لمندوبية المعمارين في ١٣ نوفمبر ١٨٩٩، حيث جاء فيه: "إن مسألة الضرائب العربية تأخذ أهمية من الدرجة الأولى؛ لأنها تشكل أحد مصادر مداخيلنا الأساسية، وفعلاً فإن ١٧ إلى ١٨ مليون من ٥٤ مليون حسب السنوات تعود إلى الضرائب العربية"<sup>(٤٨)</sup>. وقد دفع الجزائريون عقب ثورة ١٨٧١ أكثر من ٦٣ مليون فرنك كضريبة حرب، منها ١٩,٠٠٠,٠٠٠ فرنكا، وزعت على "ضحايا" الثورة من المستوطنين<sup>(٤٩)</sup>.

وكان الجزائري الذي يعجز عن أداء ما عليه من غرامة، يقصده المحصل برفقة فرقة من الدرك ويحجز كل ما لديه من أشياء ذات قيمة، ثم يسوقه هو وزوجته تحت الحراسة إلى المركز الإداري لبيع كل ما لديه، فإذا غطى ثمنها يطلق سراحه مع أهله، وإلا تحجز زوجته رهينة إلى أن يستوفي ما عليه<sup>(٥٠)</sup>. ومن الإجراءات القهرية السلطة على الجزائريين ما يسمى بالمسؤولية الجماعية (الضمان المشترك)، وهو إجراء يحمل مسؤولية حدوث أي عمل من شأنه النيل

من ممتلكات أو أشخاص الفلاحين الأوربيين، أو مرافق إدارة الاحتلال بالضرر لا للأشخاص الذين قاموا بهذه الأعمال، إنما لكل المجموعة السكانية التي ينتمي إليها الأشخاص المشتبه فيهم أو وقعت هذه الأحداث في محيطهم الإقليمي، وقد استعمل هذا الإجراء سنة ١٨٧١<sup>(٥١)</sup>. ويذكر

لويس رين (Louis rinn)، أنه في ١٠ ديسمبر ١٨٧٢ امتثل ٨١ جزائرياً من بني منصور بمنطقة القبائل بتهمة التمرد والمشاركة في ثورة ١٨٧١، وقد حكم عليهم جميعاً بالنفي<sup>(٥٢)</sup>. ويبين الجدول المرفق القضايا التي حوكم فيها الجزائريون خلال هذه الفترة<sup>(٥٣)</sup>.

| عدد المعاقبين | عدد القضايا | السنوات | عدد المعاقبين | عدد القضايا | السنوات     |
|---------------|-------------|---------|---------------|-------------|-------------|
| ١٥٤٤          | ٣٣٤         | ١٨٧٢    | ١٢٠٠          | ٨٤٤         | ١٨٥٨ - ١٨٥٩ |
| ٩٩١           | ٥١٠         | ١٨٧٣    | ١٥٠٠          | ٨٤٤         | ١٨٦٠        |
| ١٢٠٥          | ٥٢٩         | ١٨٧٤    | ١٥٠٠          | ٨٤٤         | ١٨٦١        |
| ١١٢٢          | ٤٤٤         | ١٨٧٥    | ٢٠٠٠          | ٨٤٤         | ١٨٦٢        |
| ١١٤٩          | ٩٠٥         | ١٨٧٦    | ٢٠٠٠          | ١٢٨٣        | ١٨٦٣        |
| ١٥٦٣          | ٩٦٢         | ١٨٧٧    | ١٦٥٠          | ١٢٨٣        | ١٨٦٤        |
| ١٦٠١          | ١٢١٠        | ١٨٧٨    | ٢٠٢٣          | ٩٩٧         | ١٨٦٥        |
| ٨٥٠           | ٥٠٠         | ١٨٧٩    | ٢٨٠٢          | ١٤١٦        | ١٨٦٦        |
| ٧٣٧           | ٤٤٦         | ١٨٨٠    | ٥٣٩٧          | ١٩١١        | ١٨٦٧        |
| ٣١٩           | ١٩٦         | ١٨٨١    | ٦١٠٧          | ٢٣٧٧        | ١٨٦٨        |
| ٣٠٠           | ١٨٠         | ١٨٨٢    | ١٩٨٤          | ١١٥٢        | ١٨٦٩        |
| ٢٨٠           | ١٦٥         | ١٨٨٣    | ١٤٧٣          | ١٠٩٨        | ١٨٧٠        |
| ٢٤٣           | ١٥٣         | ١٨٨٤    | ١٠٦٦          | ٢٦٧         | ١٨٧١        |

وفي عام ١٨٨١ وسعت إدارة الاحتلال استخدام هذا الإجراء، ليشمل ليس فقط المجموعات السكانية التي حملت السلاح في وجهها، وإنما تجاه كل ما يحدث على أرض تقع في نطاق مجموعة سكانية محددة، ألحق الضرر بمرافقها أو بالأشخاص أو بممتلكات رعاياها من الأوربيين<sup>(٥٤)</sup>. وقد جاء في جريدة المنتخب ليوم ٢٣ جويلية ١٨٨٢ مقال بعنوان: "غير المسؤولين" (Lesirresponsables)، بأن "مسألة الضمان المشترك ليست من شأن العباد، بل هو قانون ظلم وتعد ولا يقبل العقل بأن الفرنسيون يحدثون قوانيننا مثل ما ذكر في القرن ١٩. قال البعض من أصحاب

حرفتنا (الصحافة): لن يكون التوصل لمعرفة الحق إلا بهذا، فإن كان كذلك، فلا يسعنا إلا الرجوع إلى زمان التعذيب الفارط<sup>(٥٥)</sup>. وقد تعرض الجزائريون (الفلاحون)، في أعقاب الحرائق التي عرفتها الغابات سنة ١٨٨١، إلى الإبعاد بثلاثين كيلومترا من المواقع الغابية، وأحدثت مراكز للمراقبة والحراسة (postes vigies)<sup>(٥٦)</sup>.

وابتداء من سنة ١٨٩١ فإن كل الحرائق كان يعقبها العقاب الجماعي<sup>(٥٧)</sup>، وكانت أسبابها ترجع إما إلى غضب الأهالي، وإما للامبالاة القائمين على مصالح الغابات؛ ولكن مهما كانت هذه الأسباب، فإن الحرائق كانت تعطي للفرنسيين

فرصة لفرص العقوبات باسم قانون الغابات، ومنها نزع الملكية<sup>(٥٨)</sup>، وهو ما يعني أن هذه الحرائق كان يستفيد منها المستوطنون، بينما كانت تعود بالضرر الشديد على الجزائريين، مما يطرح معه أكثر من علامة استفهام، إذ هل يعقل أن يكون الجزائري من وراء إضرام هذه الحرائق مع علمه أنه هو المتضرر الأول من فعل كهذا، حيث تنتزع منه الأرض، ويطرد من محيطها؟ أو بالأحرى، هل يمكن لعاقل أن يقطع مصدر رزقه بيده؟

### ٣ - في المجال الاجتماعي

وقد ازدادت أوضاع الجزائريين سوءًا من جراء فرض "قانون الأهالي" وترسيمه بتاريخ ١٠ أفريل ١٨٨١، الذي كان يهدف إلى المزيد من إحكام السيطرة وكبت حريات الجزائريين في ظل النظام المدني<sup>(٥٩)</sup>. وقد عرف هذا القانون بـ "قانون المطرقة" أو "العصا الغليظة"، وكان المستوطنين هم من وضعوه، وتضمن قائمة كبيرة من المخالفات، بدأت بـ ٢٧ مخالفة، ثم أخذت قائمة هذه المخالفات تتضخم، حيث كان يضاف إليها كلما حدث ما يستوجب الإضافة، حتى تجاوزت ٤٠ مخالفة. وكان تقرير المخالفات متروكا "لاجتهاد" الإداريين المحليين، كما كان بعضها يخضع لثورة الحاكم، الذي هو عادة شخص مندفع غير عارف بعادات وتقاليد أهل البلاد، ليس له أخلاق ولا ذمة. وفي أواخر ١٨٧٤ وضعت قائمة من ٢٧ مخالفة، اشترك في إعدادها واليا كل من قسنطينة والجزائر وأيضا مدير الشؤون الأهلية لويس رين، وبذلك حلت السلطة القمعية محل السلطة القضائية<sup>(٦٠)</sup>.

ومما طبع الحكم المدني كذلك استمرار سياسة التجهيل والتركيز على التعليم الفرنسي، بحيث إنّ مبادرة نشر التعليم، التي بدأت في سنة ١٨٥٧،

في عهد جاك لوي راندون (Jacques Louis Randon)، بدأ التراجع عنها في سنة ١٨٧١ بعد غلق معهدي قسنطينة والجزائر، وكذلك إلغاء المدارس الريفية بقرار من دوغيدون، وكانت هذه المدارس أصلا عديمة الجدوى، لأن المعلمين الأهالي كانوا يتقاضون رواتب هزيلة وغير كافية البتة، إضافة إلى عدم ارتياد المسلمين لها ورغبتهم في حفظ القرآن<sup>(٦١)</sup>. وفي ٢٨ أكتوبر ١٨٧١ ألغى مرسوم من الأميرال دوغيدون المدارس الفرنسية العربية<sup>(٦٢)</sup>. وفيما بين عامي ١٨٨٠ و ١٨٨٧ وضع جول فيري مخطط ترسيم التعليم الابتدائي اللائكي الإجباري. وقد حاولت الإدارة في الجزائر أن تصل إلى تحقيق ذلك، لكن المهمة كانت صعبة للغاية<sup>(٦٣)</sup>. وبسبب كل هذا ازداد تدهور وضع التعليم حتى إن الحاكم العام دوغيدون في رسالة بتاريخ ٩ جانفي ١٨٧٢، موجهة للعميد (Recteur)، أكد على ضرورة مراقبة كل المدارس العربية والعربية الفرنسية في مناطق الحكم المدني، والتي أصبحت أكثر شساعة من المناطق العسكرية. وذهب إلى حد الأمر بتفتيش الزوايا<sup>(٦٤)</sup>.

كان للفرنسيين ١٢ مؤسسة تعليمية، بين متوسطة وثانوية، كانت إحداها خاصة بالبنات، وفي سنة ١٨٩٨ كان مسجلا بهذه المدارس من الجزائريين ٨٦ تلميذا فقط؛ وكان عدد تلاميذ المدارس الرسمية - الجزائر، قسنطينة، وهران - سنة ١٨٧٦ حوالي ١٤٢ تلميذا، وكان عدد تلاميذ ثانوية الجزائر في نفس السنة ٩٢٩ تلميذا، بالإضافة إلى تلاميذ المعاهد - المتوسطة، ومن مجموع ٩٧٩، ٢ تلميذ، كان ٢١٣ جزائري فقط.

وفي سنة ١٨٧٦ كان في مدرسة الطب ٣ جزائريين فقط من بين ٨٠ طالبا<sup>(٦٥)</sup>. وفي المقابل فإن الاحتلال الفرنسي اعتنى بتشجيع التعليم في



منطقة القبائل لأهداف خاصة، وذلك حتى لا يتعود شعبا الجزائر (القبائل والعرب) على الاحتكاك أحدهما بالآخر على حد قول آجيرون<sup>(٦٦)</sup>. وقد أكدت جريدة "المعمّر الصغير" (Le petit colon) على هذا التوجه التمييزي في السياسة التعليمية المطبقة في الجزائر، في مقال لها بعنوان: "مدارس في بلاد الأهالي" (Ecoles en pays indigène) نشرته في نوفمبر ١٨٧٠، جاء فيه: "إيجاد المدارس في منطقة القبائل يمكن أن يُعتبر أمراً واقعاً مطلوباً من الأهالي، وتمت الموافقة عليه من قبل الحكومة، وصادق عليه الجميع (البرلمان). إنّ إنجازاً كهذا سيصنع الشرف لكل من يساهم فيه؛ لأنه يسجل خطوة جديدة في تاريخ الجزائر"<sup>(٦٧)</sup>. وأطلق جول فيري على هذه المدارس تسمية "بناتي" (Mes filles)<sup>(٦٨)</sup>؛ ومما جاء في جريدة المنتخب حول أثر التعليم ما يلي: "إنّ الجواب على المسألة هو أنّ الفرنسيين اتخذوا قانون التعليم الابتدائي، أي قانون جول فيري<sup>\*</sup> واجبا لا أجرة عليه، فإن يشمل المسلمين فحينئذ يجبر الآباء على الإتيان بالأبناء إلى المدارس ومن خالف يعاقب بخطية. وعن المسألة الثانية هو أنّ تفتح مدرسة في كل دوار، بشرط أن يعلم شيخها التلاميذ الفرنسية والعربية. فالمرجو من الدولة الفرنسية التي لم تزل تنشر علينا أنعمها أن تكمل لنا بهذه النعمة ولا يخفانا أنّها دولة قوية وعظيمة، ولا شك أن سطوتها تتضاعف بانتشار التعلم على المسلمين."<sup>(٦٩)</sup>

ولم يسلم القضاء والقضاة المسلمون الجزائريون من الحملات المغرضة والتضييق عليهم في ظل الحكم المدني، ولاسيما في عهد الحاكم العام دوغيدون، الذي سمح بهذه الحملة وأعطى انطلاقتها الأولى، أوليس هو صاحب

المقولة الشهيرة: "إنّ القضاء هو أحد اختصاصات السيادة، وعلى القاضي المسلم أن يختفي أمام القاضي الفرنسي، باعتبار الانتصار"<sup>(٧٠)</sup> لذلك لم يكن غريبا أن يصدر في ٢٨ أكتوبر ١٨٧٠ ذلك المرسوم الذي أجاز استعمال المحلفين (Les jury) في الجزائر، وذلك يعني أنّ الكولون واليهود المجنسين من بينهم، هم الذين سيتولون إصدار الأحكام ضد الجزائريين، وفي هذا الإطار جاء تعيين المحكمة لأساطين الاستعمار، أمثال جول فافر وغمبيطا وألبير قريفي، للدفاع عن عائلة المقراني<sup>(٧١)</sup>. ويمكن القول إنّ الحرب على القضاة المسلمين بدأت مع بداية العمل بنظام المحلفين، ففي سنة ١٨٧٦ انخفض عدد القضاة المسلمين من ١٨٠ إلى ١٤٥، وبعد عقد من الزمن أصبح عددهم ٨٠ قاضيا فقط، هذا بينما كان عدد قضاة الصلح الفرنسيين في الفترة نفسها يزداد ويتعاظم. وكان الهدف من هذه الحرب على القضاء الإسلامي هو القضاء على الشريعة الإسلامية<sup>(٧٢)</sup>.

وتواصلت السياسة الفرنسية الرامية إلى الحد من أهمية القضاء الإسلامي ووظائفه، بل وإلغاءه، فلم يأت آخر القرن ١٩ حتى لم يبق للقاضي المسلم غير تسجيل عقود الزواج والطلاق، وانحطت سمعة القاضي إلى الحضيض. فقد منع قانون ١٨٧٣ على القاضي المسلم حق النظر في قضايا الاستحقاق والملكية، وألغى قانون ١٨٧٥ المجلس الأعلى للفقهاء الإسلامي، وجعل قانون ١٨٨٩ قاضي الصلح الفرنسي (juge) هو المرجع في الحكم في القضايا حتى بين المسلمين. ثم استكمل بقانون سنة ١٨٩٢ بإلغاء ما تبقى للقاضي المسلم من سمعة وصلاحيات، وبذلك تلاشت سيادة القضاء الإسلامي، التي ظل أعيان الجزائر على امتداد ستين سنة يكافحون من أجل الحفاظ عليها<sup>(٧٣)</sup>.

ولم يقف الفرنسيون، في ظل الحكم المدني، عند هذا الحد، بل لقد اعتبر كثيرون من مسؤولي إدارة الاحتلال أنَّ الإسلام هو الموجه للمقاومة، لذلك لجأوا إلى التضييق على العلماء وعلى معلمي اللغة العربية، وبلغ بهم الأمر مبلغاً حتى إنهم منعوا الناس من السفر لأداء فريضة الحج، تقاديا لاتصال الجزائريين مع غيرهم من المسلمين، وقد كان الحاكم العام دو كيدون هو من سار في هذا الاتجاه، وبالضبط في سنة ١٨٧٣، عندما اعتبر الحج موقفاً سياسياً مشبوهاً فيه<sup>(٧٤)</sup>. وكانت الإدارة الفرنسية تستغل أحياناً تفشي بعض الأمراض والأوبئة وانتقال العدوى، أو بعض الأحداث السياسية والقتال التي كانت تمر بها بلاد المشرق في بعض الفترات لدم الحج والتضخيم من "مخاطره" المحتملة على البلاد<sup>(٧٥)</sup>، لذلك لم يسمح به إلا مرتين بين عامي ١٨٩٤ و١٩٠٣<sup>(٧٦)</sup>؛ وفي المقابل، ساعدت السلطات العسكرية المنصر شارل مرسيل لافيغري (Charles Martial Lavigner) (١٨٢٥-١٨٩٢) في مشاريعه، لاسيما في عهد الحاكم العام دو كيدون، وقد ربط لافيغري بين التنصير والاستعمار وطالب بحرية النشاط التبشيري<sup>(٧٧)</sup>.

استكمل لافيغري تنظيم جمعية الآباء البيض (جنود المسيح)، التي أسسها في سنة ١٨٦٧ زمن المجاعة، حيث بدأت عام ١٨٧٤ في تأسيس مراكز لها بجنوب البلاد، منها بسكرة والأغواط، ومثلي والأبيض سيدي الشيخ، وقد لقي عدد من المبشرين حتفهم على أيدي مرشديهم من الجزائريين عندما تجرؤوا وخرجوا من المراكز المحصنة، لكونهم يدعون لغير دين الله<sup>(٧٨)</sup>. وقد نشطت البعثات التمساحية في الصحراء خلال السبعينات، قبل أن تتوقف لعقد كامل، بين عامي

١٨٨١ و١٨٩١، نتيجة لمقاومة الشيخ بوعمامة<sup>(٧٩)</sup>. وجدير بالذكر، أنه وعلى الرغم من الدعم الذي قدمه لافيغري للمستوطنين خلال فترة الانقلاب على النظام الإمبراطوري، إلا أنَّ هؤلاء عارضوه في إقامة القرى المسيحية التي يقيم فيها المنصرون، من يتامى الثورات ومآسي الجزائر، وذلك خوفاً على مصالحهم من منافسين جدد، وحتى هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد رهبانا وقساوسة قاطعهم المعمرون لأنَّ أصولهم من الأهالي<sup>(٨٠)</sup>.

ومما يتصل بالصحراء وأعمال الكنيسة ظهور الراهب "المشبو" شارل دي فوكو (Charles de foucauld) (١٨٥٨-١٩١٦)<sup>(٨١)</sup>، الذي لعب في المغرب والصحراء دوراً لا يقل عن دور لافيغري، إذ هو الذي مهد للتوسع في الصحراء<sup>(٨٢)</sup>.

كان النشاط التنصيري وقانون الغابات، ونزع الملكية، وبيع الأراضي بسعر رمزي للمستوطنين، والقضاء على أراضي الملك (العرش) أمراً مشجعاً على الاستيطان الأوربي، بينما شكّل كل ذلك بالنسبة للسكان الأصليين مصادر مزعجة ترغمهم على الهجرة<sup>(٨٣)</sup>، تحت ضغط اليأس من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية المزرية، واشتداد وطأة الاستعمار الفرنسي وظلمه لهم بقوانينه التي سنّها لهذا الغرض تحديداً، وقنوطهم من تأخر "المعجزة" التي تخلصهم من مخالب هذا الاحتلال<sup>(٨٤)</sup> الجاثم على أنفاسهم. وكان للمستوطنين وأعوانهم دور مهم جداً في اتساع نطاق حركة الهجرة، وفي كثير من الأحيان كانوا المحرك الأساس لها، حيث كانوا ينظرون إلى أنَّه يجب إبعاد "الأهالي" وتهجيرهم بكل الطرق والوسائل عن أرضهم ليفسح المجال أمامهم لبسط نفوذهم الاقتصادي والسياسي<sup>(٨٥)</sup>. غير أن إدارة الاحتلال كانت تزعم أنَّ الذين يهاجرون

كانوا دائماً يرغبون في الهجرة للالتحاق بذويهم، مثل هجرة ٢٣١ شخصا من بلدية قسنطينة، كما بررت الإدارة هجرة الجزائريين في ١٨٨٨ بالكره الشديد الذي يكنه "الأهالي" للفرنسيين. وكان قانون أفريل ١٨٥٦ قد منع إعطاء رخص الخروج وجوازات السفر للأهالي، والسؤال الذي طرح آنذاك هو ما إذا كانت الإدارة الاستعمارية قد اخترقت قوانينها، أو أنها تواطأت مع المستوطنين لإبعاد الجزائريين عن أراضيهم، علماً أن قانون ١٨٥٦ يعتبر كل جزائري تغيب عن أرضه لمدة ٢ سنوات أو أكثر متنازلاً عنها، وقد احتج الحاكم العام وعامل عمالة الجزائر على إقدام بعض المسؤولين على تسهيل هجرة ٢٠ عائلة جزائرية في سنة ١٨٨٨ مكونة من ١١٦ شخصاً<sup>(٨٦)</sup>. وغني عن القول إن كل ما كان يعانيه الجزائري، من قهر واستغلال، كان المستوطنون وإلى جانبهم اليهود هم من يستفيدون منه.

وقد أفقر التدخل الفرنسي واليهودي البرجوازية الجزائرية بدورها واضطرها للهجرة من المدن، وصار الجزائري المسلم يواجه الأزمات الاقتصادية والاضطهاد السياسي معاً<sup>(٨٧)</sup>، في حين أضحى اليهود الجزائريون، لبراعتهم في تعاطي الربا والرشاوى، أصحاب مال وقرار<sup>(٨٨)</sup>، وذلك على الرغم من أن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى اليهود نظرة دونية وباحتقار، حتى إنهم كانوا يعتبرون توليهم مناصب في التعليم إهانة لهم، وكانوا دائمي الاشتمزاز منهم، وكانوا يرفضونهم تماماً للعمل في الحقل السياسي، لذلك كانت الحملات الانتخابية لا تخلو من حمل شعارات معادية للسامية، وقد أدى تخوف المستوطنون من النفوذ المتزايد لليهود إلى حدوث صدام بين الجانبين في سنة ١٨٩٨، عرف بأزمة معاداة السامية<sup>(٨٩)</sup>.

لقد استفاد اليهود الجزائريون من علاقاتهم الخاصة بالاحتلال، في فترة الحكم المدني خاصة، فتعاملوا بالربا وتوسعوا فيه حتى تفشى على أيديهم كثيراً، واستعملوه أداة من أدوات التفتير، وذلك تماماً كما استعملته مؤسسات مالية رسمية، حيث كانت البنوك تقرض الجزائريين بسعر فائدة يصل إلى ٣٠٪ في الوقت الذي لم تكن هذه النسبة تتجاوز في الوطن الأم فرنسا ٣٪<sup>(٩٠)</sup>. وقد وصف الأديب الفرنسي الشهير كي دوموباسان (Guy de Maupassant) تصرف هؤلاء اليهود الذين شاهدتهم أثناء رحلته إلى الجزائر وانتهازياتهم بقوله: "حينما يتوجه رتل فرنسي للإغارة على قبيلة "متمردة"، تتبعه مجموعة من اليهود ليشتروا الغنائم بثمن بخس، ويعيدون بيعها للعرب بمجرد ابتعاد الفيلق، ولا يتعامل اليهود إلا بالربا وبكل الوسائل الخسيسة"<sup>(٩١)</sup>. ويقول كذلك: "تشاهدكم اليهود -اليهود- في بوسعادة مقر فصيلين في أركان قذرة وكريهة وقد نفختهم الشحوم، يترقبون العربي كما يترقب العنكبوت ذبابة، ينادون عليه ليقرضوه مئة فلس مقابل توقيعهم على سند (...). يعي الرجل الخطر يتردد يستسلم يأخذ القطعة النقدية ويوقع الورقة الملطخة بالشحم. وبعد ثلاثة أشهر يكون مدينا بعشر فرنكات، ومائة فرنك بعد سنة، ومأتي فرنك بعد ثلاث سنوات، من ثم يدفعه اليهودي إلى بيع أرضه إن كان يملك أرضاً، وإلا يبيع جملة أو حصانه أو حماره، أي كل ما يملك، كما يقع القادة والأسياد والباشاغات في براثن هؤلاء الجشعين الذين يمثلون آفة وجرحاً دائماً في مستعمراتنا، والعائق الأعظم في وجه حضارة ورفاهية العربي"<sup>(٩٢)</sup>.



- ١- عمار بحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية ١٩٦٢، ط ١، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٧، ص ١٦٨.
- 2- La vigie Algérienne, 1597, 6<sup>eme</sup> année, 23 Mars 1878.
- (\*) طبيب جراح ولد سنة ١٨١٠، عين مساعد جراح في مستشفى وهران ١٨٣٢، ألحق بالقنصلية الفرنسية لدى الأمير عبد القادر بمعسكر، عين مديرا للشؤون المدنية في مقاطعة وهران في ١٨٤٨، ثم عين مقررًا لدى المجلس الأعلى للإدارة في الجزائر سنة ١٨٤٩، عرف بدفاعه عن سياسة الاستيطان، ارتبط اسمه بقانون ١٨٧٢ المعروف بقانون "فارني"، راجع: عباد: المرجع السابق، ص ٧٦.
- ٣- بوحوش، مرجع سابق (م. س.)، ص ١٦٦.
- ٤- المرجع نفسه (م. ن.)، ص ١٦٢.
- ٥- بوحوش (م. س.)، ص ١٤٠.
- 6- Xavier YACONO : Histoire de l'Algérie de la fin de la guerre turque à l'insurrection de 1954 , versailles , ed , l'Atlantique , s,d p214 .
- 7- La solidarité, 7eme année, , n° 1230, Dimanche 1er février 1880.
- ٨- ينظر: بو ضرساية بو عزة وآخرون: الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن ١٩، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٢٢٨.
- 9- C. S. G, session ,29 Octobre 1872, p139
- 10- C. S. G, session ,29 Octobre 1872, p139, p 145.
- 11- J. La Dépêche Algérienne, 890, 3<sup>eme</sup> Année, Mardi 31 Décembre 1887.
- ١٢- عدّة بن داهية: الاستيطان و الصراع حول الملكية ١٨٣٠-١٩٦٢، الجزائر، طبعة وزارة المجاهدين ٢٠٠٨، ج ١، ص ١٤٦.
- ١٣- (م. ن.)، ص ١٤٧.
- 14- YACONO ; op. cit., p. 215.

وعليه يتبين من كل ما سبق أنّ فترة الحكم المدني عرفت من كل الجوانب بمزيد من التضييق والقهر على الجزائريين، في حين عاش على شقائهم المستوطنون في رفاهية ورخاء، وكذلك اليهود، واللافت للانتباه أنّ كل هذا الذي حدث تم بتواطؤ تام من الحكومات الفرنسية، لأنها لم تحرك ساكنا لرفع الحيف عن الجزائريين، وذلك على الرغم من كثرة الشكاوى والالتماسات التي لم يتوقفوا عن رفعها إلى الحكام العامين في الجزائر والحكام في باريس طوال مدة الحكم المدني الذي عمل به في أواخر القرن ١٩، مطالبين فيها بالرفق بظروفهم وتخفيف المعاناة عنهم، ومعبّرين فيها عن رفضهم واستيائهم مما آلت إليه أوضاعهم. كما أنهم كثيراً ما كانوا يطالبون بممثلين عنهم في الهيئات الاستشارية والتشريعية الفرنسية، حيث كان من الجزائريين من يتصور أنّ الوضع القائم أسبابه جهل الحكومة في باريس بما يحدث، بسبب عدم وجود ممثلين للأهالي على عكس المستوطنين في البرلمان الفرنسي، وقد استغل وفد من أعيان الجزائر زيارته لباريس بدعوة من سلطات الاحتلال لحضور حفل افتتاح معرض باريس الدولي لسنة ١٨٧٨ ليقدّموا عريضة تضمنت عدّة مطالب، منها اقتراح انتخاب ممثل من كل عمالة يمثل الأهالي ليدفع عنهم المضار<sup>(٩٣)</sup>. وغالباً ما ادعت إدارة الاحتلال بأن المذكرات والعرائض غامضة، وفيها التباس، وفرضت على المشتكين تقديم عرائضهم إلى السلطات المحلية وليس إلى الحاكم العام تهرباً من المسؤولية<sup>(٩٤)</sup>.

الذي استعمله د: أبو القاسم سعد الله في كتابه: "الحركة الوطنية"، مشيراً به إلى المستوطنين (م.س.)، ج ١، ص ٤٥٥، (وبما للعجب أنّ يكون هذا القانون هو نفسه القانون الذي تستعمله إسرائيل في أرض فلسطين والذي يمكنها من توسيع نشاطها الاستيطاني على حساب ممتلكات الفلسطينيين اليوم).

٢٧- سعد الله: الحركة الوطنية، ج ١، ص ٤١٨؛ أنظر بوحوش: التاريخ السياسي، (م.س.)، ص ١٥٩؛ عدّة بن داهة: (م.س.)، ج ١، ص ٣٥٩؛ وأيضاً:

Augustin BERQUE ; Ecrits Sur L'Algérie, eE d. Sud, Paris 1986, p. 32.

(\*) الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي هي جمعية تكونت في باريس سنة ١٨٨١ على يد المؤرخ ليروى بوليوا وفكتور تشونشييه كان هدفها جعل الجزائريين (الأهالي) أصدقاء بدل إبعادهم عن الفرنسيين، وكان أحمد بن بريهمات أحد أبرز أعضائها، وقد ساهمت بعدة مقالات في جريدة المنتخب. ينظر: أبو القاسم سعد الله: (م.س.)، ج ١، ص ٤٥٥؛ جمال قتان: مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة ١٨٨٢-١٩١٤، مجلة المصادر، ع ٩، مارس ٢٠٠٤، ص ٤٣.

٢٨- جريدة المنتخب، السنة الأولى، العدد ٢، الأحد ٣٠ أفريل ١٨٨٢.

29-KATAN : op . cit , p 9.

30- YACONO ; op. cit., p. 217.

٣١- أندري برينان وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر، رابح إسطمبولي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٣٥٩.

٣٢- بن داهة: (م.س.)، ج ٢، ص ٣٢٤.

33-L 'expansion colonial de la France , sous , la troisie.Jean Ganiage : L'expansion coloniale de la France ,sous, la République 1871 -1914 ,Ed,Payot ,Paris1968 ,p29 .

34- La Solidarité, n°1230, 7<sup>ème</sup> année, vendredi, 22 mars 1878.

35- ANDRE NOUCHI ; La naissance du nationalisme Algérien, Ed. Minuit, Paris 1962, p. 19.

٣٦- سعد الله: الحركة الوطنية، (م.س.)، ج ١، ص ٤٣٣.

٣٧- (م.ن.)، ص ٤٣٦.

١٥- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر ٢٠٠٧، ج ١، ص ٢٦٩ .

16-J.O.R.F ; Débats parlementaire, session 2 mars 1891, p. 128.

١٧- شارل رويير أجيرون: "تمية الاستيطان في الجزائر ١٨٧٠-١٩٣٠"، ترجمة: محمد الطاهر العمودي، مجلة المصادر، ع ٢، ١٩٩٩، ص ١٩٠.

١٨- صلاح عباد: المعمرون والسياسة في الجزائر ١٨٧٠-١٩٠٠، (د.و.م.ج، الجزائر: ١٩٨٤)، ص ٧٦. ورد هذا القانون الذي نسب إلى واريبي في دراسة لبوضرساية بوعزة وآخرون: م، س ص ٢٢٨.

19-YACONO ; op. cit., p. 221.

٢٠- صلاح عباد: (م.ن.)، ص ٦٩.

21-Yvette KATAN :Le Magreb de l'empire ottoman à la fin de la colonisation française , ed, Belin, Paris,p 91 -

22- Annie Rey – Goldzeiguer : Le Royaume Arabe ,La politique Algerienne de Napoléon 1861 – 1870 ,Ed, SNED ,Alger ,1977, p699 .

23-La Dépêche Algérienne, n° 890, , mardi 31 décembre 1887.

٢٤- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة ١٨٣٠-١٩٠٠، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٧، ص ١٦٧.

(\*) كانت تصدر بقسنطينة، وتعتبر عن تيار فرنسي شاذ معتزل، تصدر بالعربية والفرنسية، صدرت في ١٨٨٢ وبقيت إلى ١٨٨٣ فقط، حيث اختفت بتأثير من المستوطنين خاصة منهم الغلاة، فقد أسس بول بير "جمعية حماية المستوطنين" لتقاوم نفوذ "جمعية حماية أهالي المستعمرات" وكذا الوقوف في وجه المنتخب، أنظر في ذلك سعد الله: الحركة الوطنية، ج ١، ص ٤٥٥.

٢٥- جريدة المنتخب، السنة الأولى، العدد ٢٢، الأحد ٢٦ نوفمبر ١٨٨٢.

٢٦- غي دوموياسان: رحلة إلى الجزائر (إلى بلاد الشمس)، ترجمة: نادية عمر صبري، ط ١، ورد للطباعة، دمشق ٢٠٠٧، ص ٤٧. مصطلح "الغريب" هو نفس المصطلح

والمعاصر: المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار،  
الجزائر ١٩٩٤، ص ١٢٩.

46-B.O.G, Arrêté du 27 Avril 18 1876, p327.

٤٧- جريدة المنتخب: العدد ٢٨، س١، الأحد ٢٩ أكتوبر  
١٨٨٢.

٤٨- عباد: (م.س) ص ١١٩.

٤٩- زوزو: (م.س)، ص ١٩٧.

٥٠- قتان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر، ص ١٣١.

٥١- قتان: مشاغل المجتمع الجزائري، ص ٣٩.

52-Louis RINN :Règime pénal de l'indigénat en  
Algerie , les commission disciplinaires ,Ed,  
Adolphe Jourdan, 52 Alger1885, p10 .

53-Louis RINN : Ibid , p 96

٥٤- قتان: مشاغل المجتمع الجزائري، ص ٣٩.

٥٥- جريدة المنتخب: العدد ١٤، س١، الأحد ٢٣ جويلية  
١٨٨٢.

٥٦- بن داهة: (م.س)، ج٢، ص ٣٥٩.

57-Françoise RENANDOT: L'histoire des  
Français en Algérie1830-1962, (Ed Robert  
Laffout, 1979),p8 ز

58-Katan: OP, Cit, p98.

٥٩- قتان: مشاغل المجتمع، ص ٣١.

٦٠- سعد الله: الحركة الوطنية، ج١، ص ٤٥٢،

٦١- قتان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر،  
صص ١٩٥. ١٩٦.

62-Eliaou Gaston GUEDJ:l'enseignement  
indigène en Algerie au cours de la coloniza-  
tion 1830 – 1969 ,Ed Ecrivains Paris 2000 ,  
p64. 62

63-Guedj : Ibid, p69.

YvonneTURIN:

64-Affrontement,culturels,dansl'Algerie,co  
lonial,écoles,médecines,Religion,1830  
-64 1880,Ed,entreprise nationale du  
livre,Alger,1971,p215

٦٥- سعد الله: الحركة الوطنية، ج١، ص ٤٠٠.

٦٦- أجبرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ص ١٠٩.

67-J : le petit colon,n° 884, 3<sup>ème</sup> année, Mardi 08  
Novembre 1880. -

68-Guedj : op . cit,p72 .

٣٨- ( م.ن. )، ص ٤٥١.

39-Paul DESCHAMPS et Autres : Les colonies  
et la vie Française Pendant huit siecle,Paris  
Ed ,Forinci Didot ,1933 ,p 187.

٤٠- بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر، م.س، ص ١٦٠؛

أجبرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور،

ط٢ الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،

١٩٨٢، ص ٧٨.

٤١- أجبرون: نفس المرجع، ص ٩٨.

٤٢- نفسه، ص ٩٩.

٤٣- أجبرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ص ٩٧.

(\*) هو محمد الصالح العنتري، كان جده أحمد

العنتري كاتباً في خدمة صالح باي أواخر القرن

١٨، وكان والده محمد العنتري من الموظفين عند

الحاج أحمد، آخر بايات قسنطينة ولمكانته لديه

بعثه لمفاوضة الفرنسيين، توظف محمد الصالح

العنتري وقت دخول الفرنسيين إلى قسنطينة

سنة ١٨٢٧ عند الفرنسيين، وأصبح كاتباً لدى

(المكتب العربي) تحت مسؤولية الضابط

بواسوني (Boissonet)، كتب عدة كتابات منها

(هدية الإخوان) و (تاريخ بايات قسنطينة)،

كانت مهمته بالمكتب العربي تحرير المكاتبات

باسم " بواسوني" وغيره إلى أعيان المدينة،

وحفظ المستندات وصياغة كل ما يصدر عن هذه

المؤسسة التي هي عين فرنسا على الأهالي، سعد

الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج٣، ص ص

٢٩٨، ٢٩٩.

(\*\*\*) ضابط فرنسي، كان مترجماً يحسن اللغة

العربية، له عدة مؤلفات حول مهمته في الصحراء،

منها بعثة إلى تادميت ١٨٩٥ وبعثة لدى الطوارق

من أكتوبر ١٨٩٤ إلى ماي ١٨٩٥. نص الرسالة

الذي يشتمل من خلالها ظلم الإدارة الفرنسية له

و عدم عرفانها بالجميل، والنص موجود كاملاً

في كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله: أبحاث

وآراء في تاريخ الجزائر صص ٣٠٣- ٣٠٤- ٣٠٥.

٤٤- نفسه، ج٣، ص ٣٠١.

٤٥- قتان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث



- (\*) قانون جول فيري الخاص بالتعليم، صدر في ٢٨ مارس ١٨٨٢، وجاء في مادته الأولى:
- "L'instruction primaire est obligatoire pour les enfants des deux sexes, de sexe ans révolu à treize ans révolus", Ibid , p70
- ٦٩- جريدة المنتخب: العدد ٢، س١، الأحد ٣٠ أفريل ١٨٨٠.
- ٧٠- سعد الله: الحركة الوطنية، ج١، ص ٣٧٢.
- ٧١- (م.ن)، ص ٢٦٤.
- ٧٢- (م.ن)، ص ٣٧٢.
- ٧٣- (م.ن)، ص ٣٨٢، ٣٨٢.
- ٧٤- عبد القادر خليف: سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، ع ٩، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ٢٠٠٤، ص ١٤١.
- ٧٥- بيار بوايي: "الإدارة الفرنسية وتنظيم الحج ١٨٣٠-١٨٩٤" تر، عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، ع ٩، (جويلية ١٩٧٧)، ص ١٤.
- ٧٦- (م.ن)، ص ١٩٨.
- ٧٧- خليف: (م.س)، ص ١٣٩.
- ٧٨- قتان: قضايا ودراسات، ص ١٤٢.
- ٧٩- سعد الله، الحركة الوطنية، ج١، ص ٤٠٩.
- ٨٠- خليف: (ن.م)، ص ١٣٩.
- ٨١- ولد دو فوكو في سترسبورغ (فرنسا)، وشارك في عمليات قمع ثورة الشيخ بوعمامة خلال سنة ١٨٨١، وكان من المقربين من المارشال ليوتي (Lyautey) الذي قاد الحملة على المغرب الأقصى، وقد زار دو فوكو المغرب فيما بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٨٤، وتنقل عبر الصحراء، في الأغواط وغرداية وميزاب وورقلة والمنيعية وتقرت، ثم استقر في الهقار إلى أن قتل هناك في سنة ١٩١٦، وقد اتهمت الطريقة السنوسية بقتله. راجع: سعد الله، نفس المرجع، ج١، ص ٤١٠.
- ٨٢- نفسه، ج١، ص ٤١٠.
- 83-Augustin BERQUE : Ecrit sur l'Algerie ,Ed, Sud ,Paris1986,p41 .
- ٨٤- عمار هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام ١٨٤٧-١٩١٨، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٥٥.

٨٥- نفسه، ص ٥٦.

٨٦- هلال (م.ن)، صص ٤٤، ٤٥.

٨٧- سعد الله: الحركة الوطنية، ج١، ص ٣٩٠.

٨٨- مزيان سعدي: "الانتفاضات المحلية بمنطقة القبائل مع نهاية القرن ١٩ ١٨٨٧-١٨٩٥" مجلة المصادر، ع ١٦، م.و.د.ح.و.ث.ا.ن (السداسي الثاني ٢٠٠٧)، ص ٢٣.

89-Charles JULIEN: L'Afrique du nord en marche Algerie -Tunisie-Maroc 1880-1952 Ed, Omnibus,Paris 2002,p3289-

٩٠- قتان: قضايا ودراسات، ص ١٣٠.

٩١- موباسان (م.س)، ص ٩٤.

٩٢- نفسه، ص ٩٣.

٩٣- قتان: مشاغل المجتمع الجزائري، ص ٤٤.

٩٤- بن داهة: (م.س)، ج ٢، ص ١٢٤.

## المصادر والمراجع

### المراجع العربية

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر ٢٠٠٧م.
- آجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، ط ٢ الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢م.
- أندري برينان وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر، رابح إسطمبولي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤م.
- بوضرساية بوعزة وآخرون: الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن ١٩، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- بيار بوايي: الإدارة الفرنسية وتنظيم الحج ١٨٣٠-١٨٩٤م، تر، عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، ع ٩، جويلية ١٩٧٧م.
- جريدة المنتخب: العدد ١٤، س١، الأحد ٢٣ جويلية ١٨٨٢م.
- جريدة المنتخب، السنة الأولى، العدد ٢، الأحد ٣٠ أفريل ١٨٨٢م.

- جريدة المنتخب، السنة الأولى، العدد ٢٢، الأحد ٢٦ نوفمبر ١٨٨٢م.
- شارل روبري أجيرون: "تمية الاستيطان في الجزائر ١٨٧٠-١٩٣٠"، ترجمة: محمد الطاهر العمودي، مجلة المصادر، ع ٢٤، ١٩٩٩م.
- صلاح عباد: المعمرون والسياسة في الجزائر ١٨٧٠-١٩٠٠م، (د.و.م.ج، الجزائر: ١٩٨٤م).
- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة ١٨٣٠-١٩٠٠م، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٧م.
- عبد القادر خليف: سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، ع ٩، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ٢٠٠٤م.
- عدّة بن داهة: الاستيطان والصراع حول الملكية ١٨٣٠-١٩٦٢م، الجزائر، طبعة وزارة المجاهدين ٢٠٠٨م.
- عمار بحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢م، ط ١، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٧م.
- عمار هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام ١٨٤٧-١٩١٨م، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- غي دومباسان: رحلة إلى الجزائر (إلى بلاد الشمس)، ترجمة: نادية عمر صبري، ط ١، ورد للطباعة، دمشق ٢٠٠٧م.
- قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر ١٩٩٤م.
- مجلة المصادر، ع ٩، مارس ٢٠٠٤م.
- مزيان سعيد: "الانتفاضات المحلية بمنطقة القبائل مع نهاية القرن ١٩ / ١٨٨٧ - ١٨٩٥م" مجلة المصادر، ع ١٦م. و. د. ح. و. ث. ا. ن السداسي الثاني ٢٠٠٧م.
- المراجع الأجنبية
- Affrontement, culturels, dans l'Algerie, colonial, écoles, médecines, Religion, 1830
- ANDRE NOUCHI; La naissance du nationalisme Algérien, Ed. Minuit, Paris 1962
- Annie Rey – Goldzeiguer : Le Royaume Arabe ,La politique Algerienne de Napoléon ١٨٦١ – 1870 ,Ed, SNED ,Alger, 1977
- Augustin BERQUE : Ecrit sur l'Algerie ,Ed, Sud ,Paris 1986
- B.O.G, Arrêté du 27 Avril 18 1876
- C. S. G, session, 29 Octobre 1872
- Charles JULIEN : L'Afrique du nord en marche Algerie –Tunisie-Maroc 1880-1952 Ed, Omnibus, Paris 2002
- Eliaou Gaston GUEDJ: l'enseignement indigène en Algerie au cours de la colonization 1830 – 1969 ,Ed Ecrivains Paris 2000
- Françoise RENANDOT: L'histoire des Français en Algérie 1830-1962, )Ed Robert Laffout, 1979
- J : le petit colon, n° 884, 3eme année, Mardi 08 Novembre 1880
- J. La Dépêche Algérienne, 890, 3eme Année, Mardi 31 Décembre 1887.
- J.O.R.F; Débats parlementaire, session 2 mars 1891
- L 'expansion colonial de la France , sous , la troisie. Jean Ganiage: L'expansion coloniale de la France ,sous, la République 1871 -1914 ,Ed, Payot ,Paris 1968
- La Dépêche Algérienne, n° 890, , mardi 31 décembre 1887
- La vigie Algérienne, 1597, 6eme année, 23 Mars 1878.
- Louis RINN: Règime pénal de l'indigénat en Algerie, les commission disciplinaires ,Ed, Adolphe Jourdan, 52 Alger 1885
- Paul DESCHAMPS et Autres: Les colonies et la vie Française Pendant huit siecle, Paris, Ed ,Forinci Didot, 1933
- Xavier YACONO: Histoire de l'Algérie de la fin de la guerre turque à l'insurrection de 1954, versailles , ed , l'Atlantrope ,s,d
- Yvette KATAN :Le Magreb de l'empire ottoman à la fin de la colonisation française, ed, Belin, Paris.

# المُفْرَدُ فِي الْوُقُوفِ الْأَزِمَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

للأبي الفخر، محمد بن محمد بن الحسن الحَاجِي الهَرِينِي، ثم السَّرْخَسِي

(أحد علماء الجزيرة العربية)

المُفْرَدُ فِي  
الْوُقُوفِ  
الْأَزِمَةِ  
مِنَ الْقُرْآنِ  
الْعَظِيمِ

تحقيق

د. محمد عادل شوك

أستاذ النحو والصرف المشارك بجامعة الملك خالد

كلية التربية للبنات - الأقسام الأدبية - أبها





## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العلماء يعدّون معرفة الوقف والابتداء، والعمل بمقتضاهما شطر الترتيل؛ استناداً على كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل: ٤ فقال: "الترتيل: معرفة الوقوف، وتجويد الحروف" <sup>(١)</sup>، والوقف - كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - "منازل القرآن"، ولا يخفى على أحد أنّ من له نظرٌ سديد لا يعدّل عن النزول بموضع مأمون من المخاوف، خصب، كثير الماء والكلاء، و يقيه من الحرّ والقرّ إلى ما هو بالعكس، إلّا أنّ يعلم أنه إذا سار يجد بين يديه ما هو مثله، أو خيراً منه <sup>(٢)</sup>. وهم يجعلون الكلام على الوقف والابتداء ينحصر في أمرين:

### أولهما: معرفة ما يوقف عليه، وابتداء به.

والمراد به فهم المعنى للسياق الموقوف عليه؛ وذلك بمراعاة الأحكام النحوية، فلا يوقف على العامل من دون المعمول، ولا المعمول من دون العامل، سواءً أكان العامل إسمًا، أو فعلًا، أو حرفًا، وسواءً أكان المعمول مرفوعًا، أو منصوبًا، أو مجرورًا، عمدةً كان أو فضلةً، ولا على الموصول من دون صلته، ولا على ما له جوابٌ من دون جوابه، ولا على المستثنى منه قبل المستثنى، ولا على المتبوع من دون تابعه، ولا على ما يستفهم به من دون ما يستفهم عنه، ولا على ما أشير به من دون ما أشير إليه، ولا على الحكاية من دون المحكي، ولا على القسم من دون المقسّم به، وغير ذلك من أبواب النحوم لا يتم المعنى إلّا به.

والمُعَوَّلُ عليه في معرفة ذلك الإطلاع على اللغة العربية، وفهمها وتمثّل ضوابطها، وقواعدها التي استنبطها العلماء من كلام العرب الفصحاء.

### وثانيهما: معرفة كيفية الوقف من جهة التلفّظ بآخر الكلمة.

ومعنى ذلك أنّ للعرب طرائق تتبعها عند الوقف، منها ما يكون بالالتزام السكون، أو الإشمام، أو الرّوم، أو الحذف، أو الإثبات، وتقخير الرّاءات أو ترقيقها، أو غير ذلك. وهي أمور إتفق عليها القراء، و علماء القراءات ممّا سمعوه موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وآله، وكانت تأخذ به العرب في سنن كلامها، وهو أمر معروف عند علماء الصرف والصوت، ويدرس تحت عنوان (الوقف) <sup>(٣)</sup>.

هذا وقد اختلف المصنّفون في عدد، وأقسام الوقف والابتداء؛ فمنهم من أوصله إلى ثمانية أقسام، ومنهم دون ذلك بكثير، إلّا أنّ أكثرهم قد توسّط في الأمر فجعله على أربعة أقسام، هي:

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.

(٢) ينظر: المقصد: ٤، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، ص ١٢٩.

(٣) ينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، ص ١٢٨.

١. التام

٢. الكافي

٣. الحسن

٤. القبيح<sup>(١)</sup>.

وفي هذا مندوحة، وعذرٌ. إلا أن الذي يسترعي الانتباه والتوقف هو اختلافهم في التسمية؛ ممّا يجعل القارئ في حيرة من أمره أمام هذا الحشد من المصطلحات التي توحى له أن في الأمر اضطراباً وتناقضاً؛ فتزداد حيرته: أيّاً من هذه الوقوف يلتزم، ويعمل به !!

والأمر في حقيقته لا يعدو خلافاً في التسمية، وتنوعاً في المصطلح، فالمسمى هو نفسه عندهم. فبعضهم يسمي الوقف التام كاملاً، أو حسناً، أو كافياً، أو مطلقاً، أو مختاراً، أو وقف جبريل U، والكافي حسناً أو جائزاً، والصالح مفهوماً، والحسن كافياً، والقبيح اضطرابياً، أو حراماً أو ممنوعاً، والمُعَانَقَة مراقبةً أو تضاداً، والوقف النبويّ سُنّةً، واللازم واجباً أو بياناً.

ويذهب آخرون إلى مزيد من التفريع، والتشقيق لأنواع الوقوف؛ فيرى أن الوقوف الأربعة المذكورة آنفاً، والمشار إليها عند أكثر العلماء، يمكن أن ينقسم كل منها بحسب ترتيب ذكرها في أعلاه إلى قسمين:

١. تام، وأتم

٢. كافٍ، وأكفى

٣. حسن، وأحسن

٤. وقبيح، وأقبح<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يضاف إليها الوقف (الصالح)، فينقسم عندهم أيضاً إلى: صالح، وأصلح. والقارئ في ذلك يندب له أن يقف على الأتم، فإن لم يمكنه ذلك، أو أمكنه بمشقة وتعب فعلى التام، وإن لم يمكنه فعلى الأكفى، وإلا فعلى الكافي، فإن لم فعلى الأحسن، ثم الحسن. فإن اضطرّ فإنه يقف حيث هو، ثم يعيد ما وقف عليه ويصله بما بعده إلا أن يكون رأس آية؛ فإن لم يفعل عوتب، ولا إثم عليه مادام غير متعمّد<sup>(٣)</sup>.

هذا وإن من هذه الوقوف وقفاً يأتي الحديث عنه طياً مع كل منها، فهو متداخل معها تداخل الأصل والفرع؛ ممّا جعل منه وقفاً ذا خصوصية تميّزه عن غيره، فهو ليس قسيماً لها، بل لاحق بها، سواء في سياق الآية، أو على رأسها؛ ممّا يجعلنا نحتاط له في أثناء القراءة.

إنه "الوقف اللازم"، الذي جاء الحديث عنه متلازماً مع تحقيق هذا النص الذي بين أيدينا، وقد جاء الحديث عن هذين الأمرين في مبشرين، هما:

(١) ينظر: النشر: ١ / ٢٢٦.

(٢) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص ١٦ وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، ص ١٣١.

(٣) ينظر: نفسه، ص ١٩ وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، ص ١٣٦.



## أ - الوقف اللازم، وفيه:

\_\_ تعريفه \_\_ حكمه \_\_ نشأة المصطلح \_\_ مكان \_\_ علامته.

## ب - المخطوط، وفيه:

المؤلف: سيرته الذاتية، والعلمية \_\_ وصف المخطوط: عنوانه، وتوثيق نسبته، وصف النسخة المعتمدة. \_\_ المنهج المتبع في التحقيق.

## أ. الوقف اللازم:

### \* تعريفه:

هو الوقف على كلمة تُبيِّن معنى لا يُفهم من غير الوقف عليها؛ فإذا وَصَلَ القارئ طرفيه كان في وَصْلِهِ إفسادٌ للمعنى، أو إيهامٌ لمعنى آخر غير المراد.<sup>(١)</sup>

### \* حكمه:

أشار العلماء إلى وجوب الوقف عليه؛ وذلك مراعاة لبيان المعنى ووضوحه؛ لأن في الوصل إفساداً

(١) ينظر المصادر، والمراجع الآتية للوقف على هذا الوقف بغض النظر عن تسميته:

النشر: ١ / ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، يقول ابن الجزري: (من الأوقاف ما يتأكد استجابة لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، وهذا الذي اصطلح عليه السَّجَاوُنْدِي لازماً، وعَبَّرَ عنه بعضهم بالواجب، وليس معناه الواجب عند الفقهاء يعاقب على تركه كما توهمه بعض الناس، ويجيء هذا في قسمي التام، والكافي، وربما يجيء في الحسن ...)، ثم يقوم ابن الجزري بتعداد مواضع في كل من الوقف: التام، والكافي، والحسن، مع التعليل، مع الإشارة صراحة إلى تعليل السَّجَاوُنْدِي حول بعض من هذه المواضع. واختلافه مع علماء آخرين حول تعليل المنع في بعض من هذه الوقوف، وتصنيفها إلى اللازم أو الواجب وهي عند غيره ليست كذلك؛ ممَّا جعل ابن الجزري ينبه إلى أن إطلاق صفة اللزوم على كثير من مواضع الوقف "كثير في وقوف السَّجَاوُنْدِي، فلا يُغْتَرَّ بكل ما فيه. بل يتبع فيه الأصوب، ويختار منه الأقرب).

والمقصد، ص: ٥: ذكره من غير أن يعرفه، إما سهواً، أو أن هناك سقطاً. حيث قال: (والبيان سيأتي بيانه)، ثم هو بعد ذلك لم يذكر عنه شيئاً. على الرغم من أنه عدَّ أحد أقسام الوقف الثمانية: (الوقف على مراتب، أعلاها التام، ثم الحسن، ثم الكافي، ثم الصالح، ثم المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح).

ولطائف الإشارات: ١ / ٢٥١، وقد جاء الحديث عنه في معرض حديثه عن الوقف التام، يقول: (وقد يكون تاماً على التأويل، وغير تام على آخر، كقوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله) الآتي في آل عمران (٧) إن شاء الله، وقد يتأكد استحباب الوقف على التام لبيان معنى مقصود، وهو ما لو وَصَلَ طرفاه لأوهم معنى غير المراد، نحو قوله تعالى: (ولا يحزنك قولهم) يونس / ٦٥ / والابتداء: (إن العزة لله جميعاً)؛ لثلاثيهم أن ذلك من قولهم وكقوله (أصحاب النار) غافر / ٦، والابتداء: (الذين يحملون) لثلاثيهم النعت).

ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص: ١٦، وتبنيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، من ص: ١٢١، وحتى ص: ١٣٦، فقد قسم الوقوف إلى: تامٍّ وأتمٍّ، وكافٍ وأكفى، وحسنٍ وأحسن، وقبيحٍ وأقبح. وقد مثَّلَ للأنواع الثلاثة الأولى مما هو مندرج تحت الوقف اللازم إلا أنه سمَّاه (أتمٍّ، وأكفى، وأحسن)، ويغلب على الظن أن يندرج ذلك تحت ما سمَّي عند غيره (اللازم، أو البيان، أو الواجب) والإضاءة في أصول القراءة، ص: ٤٩، والتجويد الميسر، ص: ٨٦، وقواعد التجويد، ص: ٧٩، ٨١، وحقَّ التلاوة، ص: ٢٦، وبغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن، من ص: ٥٥، وحتى ص: ٦٠، وفي علوم القراءات، ص: ١٦٤، وفي الترتيل في أحكام التجويد، ص: ٨٦، ولسان البيان، ص: ١٣٠.

للمعنى، أو إيهامًا لمعنى آخر غير مراد.<sup>(١)</sup>

### \* نشأة المصطلح :

ذكر ابن الجزري، وغيره أن محمد بن طيفور السجّاوندي<sup>(٢)</sup>، هو الذي اصطلح على تسمية هذا الوقف بـ (اللازم)، وتبعه في ذلك علماء آخرون<sup>(٣)</sup>، هذا وإن أكثر اللجان المشرفة على طبع المصاحف تلتزمه حاليًا. وعبر غيره عنه بـ (الواجب)<sup>(٤)</sup>، وبـ (وقف البيان)<sup>(٥)</sup>، ويجعل لاحقًا لأنواع الوقف الأخرى، فيقال: (وقف البيان التام)، و(وقف البيان الكافي)، و(وقف البيان الحسن)<sup>(٦)</sup>، وسماه علي بن محمد النوري الصفاقسي (الآتم، والأكفى، والأحسن) باعتبار أن الوقف إمّا: (تام، وآتم، أو كاف، وأكفى، أو حسن، وأحسن، أو قبيح، وأقبح)<sup>(٧)</sup>، وهو في ذلك متفق مع من سماه (وقف البيان)، وأحقه بأنواع الوقوف الثلاثة (التام، والكافي، والحسن)، ومع من سماه (الوقف اللازم التام، والوقف اللازم الكافي، والوقف اللازم الحسن)<sup>(٨)</sup>.

### \* مكانه :

أكثر ما يوجد في رؤوس الآي، وتمام القصص، والوعد، والوعيد، والحكم، والاحتجاج، والإنكار، وآخر السور، حيث لاتعلق للكلام بما بعده من جهة اللفظ، وقد يكون له تعلق من جهة المعنى.<sup>(٩)</sup>

### \* علامته :

التزمت اللجان المشرفة على طباعة المصاحف بالرمز ( م ) للدلالة على هذا الوقف، وبغض النظر عن مسمياته الأخر، وأماكنه<sup>(١٠)</sup>. ما عدا ما جاء في المصحف المكتوب برواية قالون، والمطبوع بتونس بخط عبد العزيز الخماسي، فإن اللجنة المشرفة قد استغنت بثلاث من علامات الوقف عما سواها، وهي:

- (١) ينظر: الإضاءة في أصول القراءة، ص١٦٤، وقواعد التجويد، ص٧٩، والتجويد الميسر، ص٨٦، ولسان البيان، ص١٣٠.
- (٢) هو أبو عبد الله، محمد بن طيفور، السجّاوندي الغزنوي، (ت ٦٥٠هـ)، له كتاب "الوقف والابتداء" الكبير، وآخر صغير، وله كتاب (الإيضاح في الوقف والابتداء) وهو مخطوط في دار التربية الإسلامية في بغداد، مكتبة عباس حلمي القصاب، برقم (١١)، وله كتاب "أوقاف القرآن" مخطوط، في مكتبة عبد الرحمن الصايغ بالموصل، برقم (١٩١) وفي مكتبة المحمدية بالجامع الزبواني بالموصل أيضًا برقم ٤٢٠ / ٢١٩، وفي مكتبة النبي شيت في الموصل برقم (١٥٤)، وله أيضًا كتاب (علل الوقوف) طبع في مكتبة الرشد في الرياض ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، وكذا في مكتبة الرشد (ناشرون) ببيروت بتحقيق د. محمد عبد الله العبيدي. ينظر في ترجمته: غاية النهاية: ١٥٧/٢، رقم الترجمة (٤٨٠٣)، ومقدمة ناشر كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص٨.
- (٣) ينظر: النشر ٢٢٥/١، ٢٢٢، ولطائف الإشارات: ٢٥٦/١، والإضاءة في بيان أصول القراءة، ص٤٩، ٥٣، وفي علم القراءات، ص١٦٤.
- (٤) ينظر: النشر: ٢٣٢/١، وفن الترتيل، ص٨٦، وفي علوم القراءات ١٦٤،، وحق التلاوة، ص٢٧.
- (٥) ينظر: المقصد، ص٥، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص١٦.
- (٦) ينظر: حق التلاوة، ص٢٧، ٢٩، ٣٠، وبغية عباد الرحمن، ص٥٥، ٦٠.
- (٧) ينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، ص١٣١.
- (٨) ينظر: في علوم القراءات، ص١٦٤، و ص١٦٥.
- (٩) ينظر: تنبيه الغافلين، وإرشاد الجاهلين، ص١٣١، و ص١٣٤، و ص١٣٥، وفي علوم القراءات، ص١٦٠، و ص١٦٢.
- (١٠) في المصحف الذي كتبه الشيخ رضوان المخللاتي عام (١٣٠٨هـ) أصطلح على أن يكون الرمز ( م ) للوقف المفهوم، وبالنظر إلى مواضعه نرى أنه عين ما قصد به الوقف اللازم عند الآخرين.

م: للوقف التام، وك: للوقف الكافي، وح: للوقف الحسن<sup>(١)</sup>، وهي بذلك خرجت عمّا تعارفت عليه اللجان الأخرى من حصر دلالة الرمز ( م ) بـ (الوقف اللازم )، سواء كما قلنا من حيث المصطلح، أو المواضع. فأصبح هذا الرمز عند هذه اللجنة دالاً على أكثر من نوع من أنواع الوقف مما هي عليه الحال عند اللجان الأخرى. فهو يدلّ في الحد الأدنى على كلٍّ من: الوقف اللازم، والوقف التام. وهذان الوقفان وإن كانا يشتركان في أمر ( تمام المعنى ) إلاّ أنهما يفترقان في أن ( اللازم ) يجب الوقوف عليه، فلو وصل بما بعده لأوهم خلاف المعنى المقصود، و يوجد عند تمام المعنى في وسط الآيات، أما ( التام ) فيحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق بما بعده لفظاً، ولا معنى، وأكثر ما يوجد في رؤوس الآي، وفي أواخر السور.<sup>(٢)</sup>

لذلك نُحِبُّذ أن يُفَصِّل بينهما؛ موافقة لما عليه اللجان الأخرى، وتأكيداً لهذا الفرق الذي ذكرناه بينهما، وهو فرقٌ جدُّ جوهري، ومهمٌّ.

## ب ـ المخطوط:

### \* المؤلف: سيرته الذاتية، والعلمية.

لم أعرّ فيما وقعت عليه من كتب التراجم على ترجمة لـ (أبي الفخر، محمد بن محمد بن الحسن الحَاجِي المَدِينِي، ثم السَّرْحَسِي)، صاحب هذا النص. وهذا ليس بدعاً من الأمر، فقد وقع مثل هذا لباحثين آخرين اشتغلوا في تحقيق نصوص من التراث العربي، أذكر منهم د. عبد الكريم مصطفى مدلج، الذي تفضل بتحقيق ونشر كتاب (مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني) لأبي العلاء الكرمانى، (ت بعد ٥٦٣ هـ)، وهو في أصله رسالة تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه في كلية الآداب - جامعة بغداد، في العام ١٩٩٩م، وبإشراف شيخ المحققين في العراق أ. د. حاتم الضامن، ومع ذلك جاء عمله هذا من غير ترجمة للمصنّف، وكل ما ذكر عنه لا يتعدّى ما وُجِدَ على صفحة غلاف الكتاب، فقد (صمّت كتب التراجم، وأطبقت فلم تذكر لنا شيئاً عن نسبه، وحياته، وسيرته، على كثرة التنقيير، والبحث فيها، سوى ما ذُكِرَ أنّه كان مقرئاً. ومهما يكن من أمر فكتاب المؤلف هو أصدق مُترجميه).<sup>(٣)</sup>

فكان لي في مثل ذلك مندوحةٌ، وعذرٌ، ولاسيّما أنّ النص ذو قيمة في بابه؛ فأثرت إخراجَه إلى النور بعد مدة من التوقف أمضيتهَا في البحث والتنقيير عن ترجمة لصاحبه. فاقترنت بما اقتنع به الدكتور المدلج من أن كتاب المؤلف هو أصدق مُترجميه، فكان ذلك بعد أن باءت محاولاتي بالفشل في الحصول على ترجمة له، ثم إنّه لا غرابة في أن يشكل هذا الأمر باعثاً لغيري من الباحثين أن يعثر على ترجمة له؛ فأكون بذلك قد حظيت بأجر التحقيق والنشر، وحظي هو بأجر العثور على الترجمة؛ فنحصل معاً على الأجر كاملاً، والله هو خير مأمول في ذلك.

هذا فيما يتعلق باسمه، ونسبه، أما فيما يتعلق بنسبته ( الحَاجِي )، فهي نسبة إلى ( ذات حاج ) وهي

(١) يأتي هذا التقسيم بغض النظر عن العلامة المستخدمة متفقاً مع ما ذكره أبو عمرو الداني، ينظر المكتفى في الوقف والابتداء، ص ١٠٠.

(٢) ينظر: لسان البيان في تجويد القرآن، ص ١٣٠، وص ١٣١.

(٣) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني. مقدمة المحقق - ص ١٥.



موضع بين المدينة والشام، وتتبع حاليًا بحسب التقسيم الإداري للملكة العربية السعودية إمارة تبوك، وهي تقع بالتساوي بين تبوك وحالة عمار ( المركز الحدودي مع المملكة الأردنية الهاشمية ) باتجاه الشرق، علمًا أن المسافة الفاصلة بينهما لا تتعدى ( ٩٦ كم )؛ لذلك فإننا نرى أن يقال: إنها بين تبوك والشام، وذلك لبعدها الكبير عن المدينة المنورة، إلا إذا كان الأمر من باب الأكثر شهرة. ويذكر ياقوت الحموي أيضًا أن هناك موضعًا يُدعى ( ذو حاج ) وهو واد لعطفان<sup>(١)</sup>. ثم ( السَّرْخَسِي ) نسبة إلى مدينة ( سَرْخَس )، وهي مدينة قديمة من نواحي خراسان [ أذربيجان ] بين نيسابور، و مَرَوَ، في وسط الطريق.<sup>(٢)</sup>

### \* وصف المخطوط:

#### أ - عنوانه:

ليس هناك صفحة في المخطوط مفردة للعنوان، بل جاء ما يشير إليه في موضعين ففي السطر الأول من الورقة الأولى / ١ ظ /، وقبل البدء بخطبة المؤلف، ذُكِرَ هكذا ( معرفة المفرد في الوقوف اللازمة من القرآن العظيم )، أما في الورقة الأخيرة / ٤ ظ / فقد أشير إليه بهذه العبارة ( تمّ المفرد في الأوقاف اللازمة )؛ وبناءً على ذلك يترجح لنا أن يكون العنوان هو ما سطرناه في صفحة الغلاف.

وبالعودة إلى لغة العرب نجدهم يقولون: ( وَقَفَ بالمكان وقفة، ووقُوفًا، فهو واقف، والجمع وقُفٌّ، ووقُوف )<sup>(٣)</sup>.

هذا فيما يتعلق بالوقوف المادي الذي هو خلاف الجلوس، وبالمجازي الذي هو موضوع بحثنا هذا، ومنه سمي هذا العلم ( علم الوقف والابتداء )، أما كلمة ( الأوقاف ) فهي تذكر في مجال آخر، ويراد بها ( حبسُ الشيء، وحصره على كذا )، جاء في لسان العرب: ( وَقَفَ الأرض على المساكين وقْفًا: حَبَسَهَا، ووقفت الدابة، والأرض، وكلُّ شيء )<sup>(٤)</sup>، ومنه سميت الوزارة المشرفة على القضايا والشؤون الدينية في الدول العربية والإسلامية ( وزارة الأوقاف )؛ لما تقوم به في جانب من عملها من متابعة ورعاية الأملاك الموقوفة لوجه الله من قبل المحسنين، ولذلك نرجح أن يكون العنوان على هذا النحو: ( المفرد في الوقوف اللازمة من القرآن العظيم )

#### ب - توثيق نسبته:

ليس هناك توثيق نسبة للمخطوط لصاحبه بعد قوله في مقدمة عمله ( قال العبد الضعيف الراجي رحمة ربه تعالى أبو الفخر محمد بن محمد بن الحسن الحاجي المدني، ثم السرخسي أصلح الله شأنه بفضل، وغفر له برحمته سألني من العلماء - كثّرهم الله، وأبقاهم - أن أجمع لهم الوقوف اللازمة مُجَرَّدَةً مُعَيَّنَةً؛ ليسهل حفظها على من أراد حفظها، فاستخرت الله تعالى، وأجبتهم مستعينًا به تعالى، وهو المستعان، وعليه التكلان ).

(١) ينظر: معجم البلدان: ٢ / ٢٠٤.

(٢) ينظر: معجم البلدان: ٢ / ٢٠٨.

(٣) لسان العرب، مادة ( وقف ) : ١٠ / ٧٢٥.

(٤) لسان العرب، مادة ( وقف ) : ١٠ / ٧٢٦.

## ج - وصف النسخة المعتمدة:

جاءت هذه النسخة الوحيدة ضمن مجموع حصلت على نسخة منه من مكتبة الشيخ محمد بن عبد الجليل بن قائد الغزي - رحمه الله - أحد علماء مدينة زبيد في تهامة اليمن، وقد مكنتني منها ولده الفاضل أحمد جزاه الله خيرًا.

وهي تقع في أربع أوراق، وفي كل ورقة صفحتان، ما عدا الورقة الأخيرة ففيها جزء من صفحة تعود لهذا المخطوط، أما ما عداها من هذه الصفحة، والصفحة الأخرى فإنه يعود لمخطوط آخر يتحدث عن الإدغام الكبير في القرآن الكريم.

وعدد سطور صفحاتها يتراوح ما بين سبعة وعشرين، وخمسة وعشرين سطرًا، وقد كتبت بخط نسخي واضح، وجميل، ومقروء، ودقيق، وعلى حواف الصفحات تعليقات وتصويبات.

وقد خلت النسخة من الإشارة إلى الناسخ، وتاريخ النسخ، وهي مقابلة على نسخة أخرى نقل عنها الناسخ، وقد أشار إلى ذلك بقوله (بَلَّغُ مُقَابَلَةً).

### \*المنهج المتبع في التحقيق:

أ - قمت بنسخ المخطوط وفق قواعد الرسم المعمول بها الآن، واستعنت لتوضيح معاني الجمل بعلامات الترقيم.

ب- رسمت الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفق ما رسم به مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي.

ج - أثبتُ رقم الآية المراد الحديث عنها في رأس السطر للمواضع التي تمثل موضع الاستشهاد، أو في ثانيا النص عندما تأتي في ثانيا النص؛ خشية الإكثار من الهوامش، علمًا أن المؤلف قد أغفل الإشارة إلى أرقامها.

د - ترجمت لمن ذكر من الأعلام في متن المخطوط.

هـ- وقفت على عدد من الأخطاء النحوية - وهي قليلة - فصححتها في المتن، وأشارت إلى ذلك في الهامش.

و- وقفت على تداخل في قسم من النصوص - فأعدت الأمر إلى نصابه، وأشارت إلى ذلك في الهامش.

ز- رجعت إلى المظان، والأصول من كتب الوقف والابتداء، وكتب إعراب القرآن؛ لتوضيح ما يحتاجه النص.

ح - يلاحظ أن الإشارة لـ ( ابن طيفور ) في ثانيا النص تكون على هذا النحو (طيفور)، و هو أمر ينبغي التنبيه إليه، إذ أن المقصود بذلك هو ( ابن طيفور )؛ لما أشرنا إليه من أنه أول من استخدم هذا المصطلح، و لذا قمت بإضافة ( ابن ) حيثما ذكر ذلك من غير الإشارة، أو التهميش، حتى لا ننقل النص بكثرة الهوامش حول هذا الأمر.





سورة العنكبوت  
محسوبة موضعا الكتاب  
باني زين للناس  
ذلك

توقروا أن فاعل هذا الماريون هي اليوم الفقه فلكم بيدهم وأتاكم والنوع يقول الناس  
الاهو والمليكه بكم بكم ويرجعوا إلى الله اعموا فالرب انا انا رجعتي ربي انا

وَمَا يَسْتَكْبِرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَلَوْ أَنَّهُ رَأَىٰ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَآتَىٰ مَوْلَاهُ وَكَانَ فِي الْأُمَمِ خَلْقًا عَسِيرًا يُعَذِّبُ عَذَابًا أَلِيمًا

ويصلوهم والدماء على ما جاء في الدين والاهل الاعلى لهم فصله هو خير مني لسور حرج عي  
وبعد من والرسول على كل ربي ما صدك الاخر يوم الرقة ثم من قبل ان يردوا الدنيا الفقه

خسوف واربع موضوعات الذخائر وجميعها في الأركان الأربعة من مسيرها

المصالحات سبب خالصه واما فائده والا من ان ايت مسافه فكله الله المجد والالاء والبرق  
ليس اكر اللغه واما فائده الاصلح بلحب الايطم انفا الا رسو كوسو واما اكر اكر اكر اكر

الغناء أو الالهة تجلب من عندك في كل حال فتدعوهم في كل وقت فليس في ذلك عيب ولا عيب في ذلك انما هو انهم

وَمِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَنْ سَمِعَ خَلْعَهُمْ وَلَا يَتْلُوهُ إِلَّا قَدْرَ الْكَافِرِ وَلَا يَرِيءُ إِلَّا نَوَافِلَ الْعَقْرِ قَوْمُ الْكُفْرِ

سورة الكهف الانعام

[illegible]

أَكْثَرُ مَا يَلْقَى رَقُولُوهُ خَشْيَ حَرْبِ اللَّهِ وَأَعْلَانِهَا، يَفْقَهُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَسْتَعِينُهُمْ

المحالات ثم من الصدد تأسر مستغربه بطباعه مستعجباً والتماريد ذاك بله فرايق يعلم  
والاعني كركرة اذا افرقته الحسنة كلها راعها ولا علم فالله هذه من الاعلى

الانسان في هذا العالم هو كمن يمشي على حبل ممدود فوق حفرة عميقة، وإذا انزله سقط في حفرة الموت. لذلك يجب أن يكون الإنسان حذرا في كل خطوة يخطوها، وأن يكون واعيا بخطر الموت الذي يهدده في كل لحظة. وهذا هو السر في حياة الإنسان، وهو السر في حياته.

فواصلها: "میرزا محمد حسین اگر کسی را در میان خود می بیند که در راه آلتسیر است"

1. The first part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

[illegible][illegible]

فأخبرني أوقات الأفاعيل من المرات والسنين

وہاں سے

**سنة الف**

والله اعلم بالصواب  
هذا الكتاب هو من كتب  
المسلمين للشيخ المرحوم  
الشيخ محمد بن عبد الله  
بن أحمد بن علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه

[illegible]

١٠

سور الف في اربع وعشرين آية  
الاعمال الكبير الا في القرآن كسورة سحر

فَوَيْفَ هَذِهِكَ وَإِذَا أَصْلَحُوا إِذَا أَفْضَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ سَمْعِهِمْ أَلَيْسَ خَلْقُكَ إِذْ جَعَلْتَكَ إِذَا تَنَاقَرُوا

[illegible]

کذا قالوا واما الذي يدعي انهم من اهل اعراسه فاما بقوله انك قالوا ان من اهل اعراسه  
من اهل اعراسه واما الذي يدعي انهم من اهل اعراسه فاما بقوله انك قالوا ان من اهل اعراسه

فليس ليك ذنباً من الذنوب العظام والاعذار التي بالفساد نزل العذاب على من أياها فذلك هو مخيئ له سعيراً فان مخيئ العاصين من قارئك له مخلصون امرضوا انما كنتم لتعلمي انهم

وہمہ کجعات صکین سکر رضا حنی شبنی کہ فی السبحة نکل والحق حیث تعلم من مامد  
من بقوا ذرنا من بقوا ربحا فلو قالوا ان الله اذک لیس فطر الکائنات لانی وکذا

بما جاء في نفسه فقال لهم الله موتوا قال لهم نعم فماتوا فلم يبق لهم من جسديهم الا هذه العظام كلها

من بزرگان یا قیوم بسوی عذراء بقدر ما بینا : به نام مستجاب

1

Figure 1. The effect of the concentration of the *Agrobacterium* suspension on the transformation efficiency of *Agrobacterium* strains. The concentration of the *Agrobacterium* suspension was 10<sup>6</sup> cells/ml (○), 10<sup>7</sup> cells/ml (□), 10<sup>8</sup> cells/ml (△), and 10<sup>9</sup> cells/ml (◇). The error bars represent the standard deviation of three independent experiments.



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، وأوضح فيه إلى الرشاد نهجاً، وجعله للمتقين نجومًا وسُرُجًا، ومن الغموم والكروب قَرَجًا ومخرَجًا. وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. إنه يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالنور الأبليج، وأيده بكتاب غير ذي عِوَج. صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه صلاةٌ تدوم على مرِّ الحَجَج.

قال العبد الضعيفُ الراجي رحمة ربِّه، أبو الفخر، محمد بن محمد بن الحسن، الحَاجِي، المَدِينِي، ثم السَّرْحَسِي. أصلح الله شأنه بفضلِه، وغفر له برحمته -: سألتني من العلماء - كثَرهم الله، وأبقاهم - أن أجمع لهم الوقوفَ اللازمة، مُجَرَّدَةً مَعِينَةً<sup>(١)</sup>؛ ليسهل حفظها على من أراد حفظها؛ فاستخرت الله تعالى، وأجبتهم مستعينًا به تعالى، وهو المستعان، وعليه التكلان.

## (( سورة البقرة ))

### ٨. قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقف لازم<sup>(٢)</sup>؛ لأنه لو وُصِلَ بقوله ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾<sup>٩</sup>، لصارت الجملة صفةً لقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٨</sup>، فانتفى الخداعُ عنهم، وتقرَّرَ الإيمانُ خالصًا من الخداع، كما تقول: ما هو بمؤمنٍ مخادعٍ. ومَرَادُ الله عزَّ وجلَّ نفْيُ الإيمانِ، وإثبات الخداع.

٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ما بعده صفةً له، وليس بصفةٍ. وإنَّما هو ابتداءٌ إخبارٍ من الله تعالى، جوابًا لهم.<sup>(٣)</sup>

١٢٠ - قوله تعالى: ﴿مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقف لازم عند بعضهم، وهو رأس العشرين والمائة.<sup>(٤)</sup>

(١) ضبطت في هذا النص هكذا (مُعِينَةً)، والصواب ما أثبتناه. جاء في لسان العرب: (والمُعِينُ من الجراد: الذي يسلك فتره أبيض وأحمر) لسان العرب، مادة (عين) ٧: ٦٧٩، وهذا هو الغرض من جمع الوقوف اللازمة مُجَرَّدَةً: بحيث تعرف أماكنها، وتتضح لمن أراد حفظها، ومعرفتها.

(٢) الوقف عند أبو عمرو الداني على هذا الموضع (كاف). والوقف الكافي عنده: (هو الذي يحسن الوقوف عليه أيضًا، والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده مُتَعَلِّقٌ به من جهة المعنى دون اللفظ). ينظر: المكتفى، ص ١٠٩، وص ١١٩.

(٣) يعني بذلك قوله تعالى في الآية نفسها: (يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً).

(٤) الوقف عند أبي عمرو الداني على هذا الموضع (تام)، والوقف التام عنده: (هو الذي يحسن القطع عليه، والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق شيء مما بعده به، وذلك عند تمام القصص وانقضائهم وأكثر ما يكون موجودًا في الفواصل ورؤوس الآي). ينظر المكتفى، ص ١٠٧، وص ١٢٨. ومرد ذلك أن تحديد مواضع الوقف، ونوعها أمر اجتهادي وليس وقفياً.



١٤٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وصل لصار ﴿الَّذِينَ﴾ ١٤٦، صفة لـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾، وخطر ظاهر. بل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ من الله تعالى في مدح عبد الله بن سلام، وأصحابه ﷺ أجمعين. (١)

٢١٢ - قوله تعالى: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

وقف لازم؛ لأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، مبتدأ، و﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، خبر. ولو وصل لصار ﴿فَوْقَهُمْ﴾، ظرفاً لـ ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾، أو حالاً لفاعل ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؛ وقبحه ظاهر.

٢٤٦ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وصل لصار ﴿إِذْ﴾ ظرفاً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ وهو محال.

٢٥٢ - قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وصل لصار الجار [والمجرور] (٢) صفة لـ ﴿بَعْضٍ﴾؛ فينصرف بيان تفضيل إلى ﴿بَعْضٍ﴾، فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره، لا من البعض المفضل على غيره بالتكلم.

٢٥٨ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ .

وقف لازم؛ لأن ﴿إِذْ﴾ ليس بظرف لإيتاء الملك.

٢٧٤ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

عند قوله ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ ٢٧٥ (٣)، وقف لازم عند أكثرهم، ودليله ظاهر.

٢٧٥ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وصل لصار ما بعده مفعول قوله ﴿قَالُوا﴾، وقد تم قولهم على قوله ﴿مِثْلُ الرِّبَا﴾، وقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ كلامٌ مبتدأ من الله تعالى.

(١) جاء في تفسير قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) البقرة/٤٦، (قال عبد الله بن سلام: لقد عرفته ﷺ حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد ﷺ أشد) ينظر: تفسير الجلالين، ص ٢٣.

(٢) زيادة اقتضاها النص، والمقصود بذلك الجار والمجرور في قوله تعالى في الآية نفسها: (منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات).

(٣) أشار المؤلف بقوله: (عند قوله ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ إلى أنه يقصد الآية (٢٧٤)؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ذكر في سورة البقرة في أكثر من موضع، فقد ذكر في الآيات (٣٨، ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧)، فقام بحصره في الموضع المقصود من خلال هذا التوضيح الذي ذكره بقوله هذا، إذ هو الموضع الوحيد الذي يأتي بعده قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾.

## (( سورة آل عمران ))

٧ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ١/ و /

وقف لازم في السُّنَّة؛ لأنه لو وُصِّلَ فُهِمَ أَنَّ الراسخين يعلمون تأويل المُنشأ به كما يعلمه الله تعالى. بل المذهب أَنَّ شرط الإيمان بالقرآن العمل بِمُحْكَمِهِ، والتسليم لِمُنشَأِ بِهِ. وقوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، بَيَانٌ مُبْتَدَأٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ عَلَيْهِمُ بِالْإِيمَانِ عَلَى التَّسْلِيمِ بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عِنْدِهِ.

وقال بعضُ أهل السُّنَّةِ، وأكثر المعتزلة بجواز الوصل؛ وجعلوا قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ معطوفاً. وفيه خطر؛ والقول الأول أصوب، وأحقُّ، وأطهر، وأقرب، من السُّنَّةِ والسَّلامَةِ. (١)

١٧٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وقف لازم؛ للآية، واستئناف العقل. إذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالاً للذين يحزنون. (٢)

١٨١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ فَخِيرٌ وَغَنٌ غَنِيَاءُ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصار ما بعده من قولهم. وقوله ﴿سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا﴾ إخبارٌ من الله مبتدأ.

## (( سورة النساء ))

١٧١ - قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصار الجار والمجرور صفةً له، فكان المنفي ولداً يملك السماوات والأرض، لا مطلق الولد.

## (( سورة المائدة ))

٢ - قوله تعالى: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصار ما بعده معطوفاً. أي: أَنْ تَعْتَدُوا، وتعاونوا؛ فَحَذَفَ إحدى التاءين. وإنما هو أمرٌ مستأنف.

٢٧ - قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ .

(١) قول أكثر أهل العلم من المفسرين، والقراء، والنحويين أَنَّ الراسخين لا يعلمون تأويله، ويعزز ذلك قراءة عبد الله بن مسعود: (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ) وفي رواية أخرى عنه: (وَأَنَّ حَقِيقَةَ تَأْوِيلِهِ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ). وعلى ذلك يكون (الراسخون) مبتدأ، والخبر قوله (يقولون آمنا به).

ينظر: إيضاح الوقف والابتداء، ص ٥٦٥، والمكتفى، ص ١٤٠، والكشاف: ٢١١/١، وتفسير ابن كثير: ٢٤٧/١. وللوقوف على قراءة عبد الله بن مسعود ينظر: قراءة عبد الله بن مسعود، ص ٩٥، والمصادر التي عاد إليها المؤلف .

(٢) ذلك أَنَّ قوله تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) الآية: ١٧١، عائد على الشهداء، وما هم فيه من الفرح، والاستبشار بالثواب من الله، والزيادة عليه. في حين أَنَّ ما قبله من قوله (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) عائد على الذين لم يلحقوا بهم من إخوانهم الذين ما زالوا أحياء؛ ولذلك تحتم الوقوف على قوله (ولا هم يحزنون)؛ لئلا ينصرف الذهن إلى الربط بين ما هو خاص بالأحياء من المؤمنين، وبين ما هو من أحوال الشهداء من البشارة بثواب الله. ينظر: في تفسير هاتين الآيتين: تفسير الجلالين، ص ٧٢.

وقف لازم؛ لأن ﴿إِذْ﴾ ليس بظرف لقوله ﴿وَأَتْلُ﴾، ولو وُصِلَ لا لتبسَ به وصار معنى الكلام مُحالاً. بل عامل ﴿إِذْ﴾ محذوف، أي: واذكره إذ.

٥١ - قوله تعالى: ﴿وَالنَّصْرَىٰ أُولِيَّةٌ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صارت صفة لـ ﴿أُولِيَّةٌ﴾ فيكون النهي عن اتخاذ أولياء صفتهم أن بعضهم أولياء بعض. وهو مُحال، وإنما النهي عن اتخاذهم أولياء على الإطلاق.

٦٤ - قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعُنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مفعول ﴿قَالُوا﴾. إنما هو إخبار من الله تعالى، مبتدأ.

٧٣ - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

وقف لازم؛ لأن قوله ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ ليس من قولهم.

١١٠ - قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور<sup>(١)</sup>، وجماعة معه؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾ ظرفاً لقوله ﴿أَذْكُرْ﴾. بل عامل محذوف، والتقدير: وأذكر إذ أيدتكَ.

### (( سورة الأنعام ))

١٩ - قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْ بِرَيْءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقف لازم عند بعضهم.

٢٠ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ نعتاً لأبناء عبد الله ابن سلام، وأصحابه المؤمنين ﷺ.

٨١ - قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقف لازم؛ للآية، ولتناهي الاستفهام إلى الانتهاء، ولو وُصِلَ أشبه بأن ﴿الَّذِينَ﴾<sup>٨٢</sup>، متصل بما قبله. بل هو مبتدأ، وخبره ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾<sup>٨٢</sup>.

### (( سورة الأعراف ))

٧٣ - قوله تعالى: ﴿وَالِإِنْ شِمُودَ أَخَاهُمْ صَدِيقًا﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأنه لو وُصِلَ صارت الجملة صفة له، ففهم أن صالحاً منكراً

(١) في المخطوط ( عند طيفور ) . والصحيح هو ( ابن طيفور ) وقد سبق أن عرّفنا به . ينظر : النشر : ٢٢٥/١ ، ٢٣٢ ، ومنار الهدى في الوقف والابتداء - المقدمة - ص ٨ ؛ للوقوف على صحة ما ذهبنا إليه، وما أثبتناه، وقد تكرر هذا الأمر مع (ابن طيفور) في المواضع كلها فأغنى هذا عن الإعادة .



من الصالحين، لا اسمَ عَلَمٍ لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ. بخلاف شعيب<sup>(١)</sup>، وغيره من العبرية؛ لأنه كما لا يتَّصِفُ بالجملة، لا تصيرُ الجملةُ صفةً له؛ فَيَصِيرُ منكراً .

١٤٨ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ .

وقف لازم؛ لثلاً تصير الجملةُ صفةً / ٢ ظ / للسبيل. فإنَّ ( الهاء ) ضميرُ العَجَلِ<sup>(٢)</sup>.

## (( سورة التوبة ))

١٩ - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأنه لو وُصِلَ صار ﴿الَّذِينَ﴾ ٢٠ صفةً لـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾، وقُبْحُهُ ظاهرٌ. بل هو مبتدأ من الله تعالى في مدح المؤمنين، وصفتهم.

٦٧ - قوله تعالى: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صارت الجملةُ صفةً للبعض. وهي صفة لكل المنافقين.

٧١ - قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .

وقف لازم؛ للعلَّة التي ذُكِرَتْ في ذكر المنافقين قبيل هذا.

## (( سورة يونس ))

٦٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ وقف لازم؛ لثلاً يصير ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ مقولاً للكفار.

٧١ - قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾ ظرفاً لقوله تعالى ﴿وَأَتْلُ﴾، وهو محالٌ. بل التقدير: وأذكرُ إذ قال لقومه.

## (( سورة هود ))

٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ .

وقف لازم لثلاً تصير الجملةُ صفةً لـ ﴿أَوْلِيَاءٍ﴾، فينتقي تضعيف العذاب عن الأولياء، ويثبت أنَّ لهم أولياء بإخبار مُستأنف.

٦١ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُهَا صَالِحًا﴾ .

وقف لازم؛ كما ذُكِرَ في الأعراف.<sup>(٣)</sup>

(١) وذلك في قوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيباً) الأعراف: ٨٥ .

(٢) وذلك في قوله تعالى: (عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ) في الآية نفسها، قبل موضع الاستشهاد.

(٣) الأعراف / ٧٢، وينظر ما قاله عن سبب الوقف هناك .

**(( سورة الحجر ))**

٥١ - قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾ ٥٢، ظرفاً لقوله ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، وذلك غير ممكن.

٧٩ - قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأن الواو للإبتداء <sup>(١)</sup>، فلو وُصِلَ أشبه الحال، وهو محال.

**(( سورة النحل ))**

٤١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه سواءً، لأن <sup>(٢)</sup> جواب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ محذوف. أي: لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة. ولو وُصِلَ لصار قوله ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ معلقاً بشرط أن لو كانوا يعملون، وهو محال.

**(( سورة بني إسرائيل [الإسراء] )) <sup>(٣)</sup>**

٨ - قوله تعالى: ﴿وَلِنْ عُدَّتُمْ عِدْنَا﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿وَجَعَلْنَا﴾ معطوفاً على ﴿عِدْنَا﴾، داخل تحت الشرط، وهو قوله ﴿وَلِنْ عُدَّتُمْ﴾. وليس كذلك.

١٠٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿وَقُرْءَانًا﴾ ١٠٦، معطوفاً، فاقترصر أن يكون الرسول قرآنًا. بل التقدير: وفرقنا قرآنًا فرقتنا. أي: أحكمناه.

**(( سورة مريم ))**

١٦ - قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وغيره؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾ ظرفاً لقوله: ﴿وَأَذْكُرْ﴾. وليس بظرف لذلك.

٨٦ - قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾.

(١) وذلك قوله تعالى: بعده ( وإنهما ليأمام مبين ) .

(٢) رسمت (لأن) هكذا ( لين ) بوضع الهمزة على كرسي على أنها همزة متوسطة، ثم خففها بحذفها، وترك ياء مكانها، ومثل ذلك ( الدنيا ) رسمت هكذا ( الدنى ) .

(٣) سماها المؤلف ( سورة بني إسرائيل، وهي إحدى تسميات ثلاث تطلق عليها، فتسمى كذلك ( سورة سبحان، والإسراء )، وقد أثرنا تسميتها (الإسراء)؛ لما هي عليه اليوم من شيوع هذا الاسم. ينظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ص ١٢ ( بنو إسرائيل )، و ١٧ ( الإسراء )، و ٢٥ ( سبحان ) .

وَقَفَّ لَازِمٌ؛ لئَلَّا يَشْتَبَهَ بَعْدَهُم بِالْوَصَفِ لَهُمْ. بل الجملة لنفي شفاعة معبوديهم، ردًّا لقولهم ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يونس: ١٨.

٨٧ - قوله تعالى: ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ؛ لَأَنَّهُ لَوْ وُصِّلَ لَانْعَطَفَ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨. وقبحه ظاهر.

### (( سورة طه ))

٩ - قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لَأَنَّهُ لَوْ وُصِّلَ لَصَارَ ﴿إِذْ﴾ ١٠، للإتيان، وليس بظرف له.

٣٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ عند [ابن] طيفور، وغيره؛ لَأَنَّهُ لَوْ وُصِّلَ لَصَارَ ﴿إِذْ﴾ ٤٠<sup>(١)</sup>

ظرفًا ﴿وَلَنُصَنِّعَ﴾، وليس بظرف له.

### (( سورة المؤمنون )) ٢ / و

٩ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ؛ لِيَعُودَ إِرْثُ الْجَنَّةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُوصُوفِينَ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، فَإِنَّهُ لَوْ وُصِّلَ ﴿أُولَئِكَ﴾ ١٠، بقوله ﴿يُحَافِظُونَ﴾، مع الوقف على قوله ﴿هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٧، أو ﴿غَيْرَ مُلْمِئِينَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٦<sup>(٢)</sup>، صَارَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ﴾ ٨، مبتدأ، و ﴿أُولَئِكَ﴾ ١٠، خبره؛ فاقتصرت الْجَنَّةُ عَلَى الْمَذْكُورِينَ فِي الْاِثْنَيْنِ.

١٩ - قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لَأَنَّهُ لَوْ وُصِّلَ اشْتَبَهَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ ﴿لَكَرَّ﴾<sup>(٣)</sup> بوصف ﴿وَأَعْنَبٍ﴾، وليس كذلك.

### (( سورة الشعراء ))

٦٩ - قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ بَنَاءَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وَقَفَّ لَازِمٌ؛ لَأَنَّهُ لَوْ وُصِّلَ لَصَارَ ﴿إِذْ﴾ ٧٠، ظرفًا لقوله ﴿وَأَنزَلْنَا﴾، وهو محال. بل التقدير: وَأَذْكُرُ إِذْ قَالَ.

### (( سورة القصص ))

٨٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

(١) زيادة اقتضاها السياق؛ ولا سيما أن الحديث عنها، فلعلها سقطت سهوًا.

(٢) رسمت في النص هكذا ( لمومنين )، وهو خطأ ظاهر؛ إذ ليس في الآيات ههنا ما يحتمل هذا الرسم، ولا سيما أن السياق يقتضي أن يكون اللفظ المراد ( ملومين ) .

(٣) زيادة اقتضاها النص.



وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، صفة لـ ﴿إِلَهَاءَ آخَرٍ﴾، وخطرُه ظاهر.

## (( سورة العنكبوت ))

٢٦ - قوله تعالى: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ، لُوطٌ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾، معطوف على ﴿فَأَمِّنْ﴾. وإنما آمن لوط، وقال إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٤١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾.

وقف لازم؛ لأنَّ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف. تقديره: لو كانوا يعلمون وهن الأوتان لما اتخذوها أولياء. ولو وُصِلَ لصار وهن بيت العنكبوت معلقاً بعلمه. بل هو مطلق ظاهر.

٦٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

[وقف لازم؛ لأنه وُصِلَ صار]<sup>(٢)</sup> معلقاً بشرط أن لو علموا ذلك، وهو محال.

## (( سورة يس ))

١٣ - قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأنَّ ﴿إِذْ﴾ ليس بظرف لقوله ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ﴾. بل التقدير: واذكُرْ إِذْ جاءها المرسلون.

٥٢ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾.

وقف لازم؛ لثلاث<sup>(٣)</sup> يصير قوله تعالى ﴿هَذَا﴾ صفة للمرقد، فيبقى ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ يلي مبتدأ<sup>(٤)</sup>.

٧٦ - قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

وقف لازم لثلاث يصير قوله ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ مقول الكفار، الذي يحزن النبي<sup>٢</sup>.

## (( سورة الصافات ))

٨٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور<sup>(٥)</sup>، وجماعة معه؛ لأنَّ التقدير: واذكُرْ إِذْ جاء ربُّه.

(١) وذلك لما هاجر من (كوثر)، وهي من سواد الكوفة إلى حران، ثم منها إلى فلسطين. ومن ثمَّ قالوا: لكل نبي هجرة، ولإبراهيم هجرتان، وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة، وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة. ينظر: الكشف: ١٨٩/٣.

(٢) سقط واضح في النص.

(٣) رسمت هكذا (لين لا). وهذه من جملة الملاحظات على الرسم.

(٤) هذا الموضع من مواضع السكت عند حفص عن عاصم، وثمة فرق بين الوقف، والسكت. فالوقف يشترط فيه التنفس مع المهلة، والسكت لا يكون معه تنفس. ينظر: النشر: ٢٤٣/١، وأحكام قراءة القرآن الكريم، ص ٢٦١.

(٥) رسمت (طيفور) هكذا (ضيفور)، وهو خطأ واضح.

## (( سورة ص ))

٢١ - قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ نَبَأَ الْخَصَمِ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه / ٣ ظ /؛ لأن ﴿إِذْ﴾، ليس بظرف للإتيان. و التقدير: و أذكرُ إِذْ. ولتناهي الاستفهام إلى الإخبار.

٤١ - قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾.

وقف لازم عند [ابن] طيفور، وجماعة معه؛ لأنَّ عامل ﴿إِذْ﴾ محذوف، ولو وُصِلَ لاشتبهَ ﴿إِذْ﴾ ظرفًا لقوله ﴿وَأَذْكُرْ﴾، وهو محال. بل عامله محذوف، أي: أذكرُ.

## (( سورة الزمر ))

٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

وقف لازم؛ لأن ﴿فَأَذَاهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ محذوف الجواب. أي: لو كانوا يعلمون ما إختاروا الأكبر على الأدنى<sup>(١)</sup>. ولو وُصِلَ لصار قوله ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ معلقًا بشرط أن ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وهو محال.

## (( سورة حم المؤمن [ غافر ] ))<sup>(٢)</sup>

٦ - قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ٧، صفة لـ ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾، وقبحه ظاهرٌ.

٦٢ - قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصارت جملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وصفًا له، وخطره ظاهرٌ.

## (( سورة الزخرف ))

٨٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار قوله ﴿فَأَصْحَابُ عَذَابٍ مُّقْتَرَنٍ﴾ ٨٩ من قول الرسول ﷺ لله تعالى، وهو محال. بل هو جواب الله تعالى للرسول ﷺ.

(١) وقيل: ( لو كانوا )، أي: المكذبون ( يعلمون ) عذابها ما كذبوا. ينظر: تفسير الجلالين، ص ٤٦١، وهذا التعليل هو نفسه المذكور في قوله تعالى في سورة القلم: ( كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) ٣٣/.

(٢) سَمَّاهَا المؤلف [ حم المؤمن ]، وهي إحدى تسميتين لها، والتسمية الأخرى هي ( غافر ) . ينظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، في ص ١٣ [ غافر ]، وفي ص ٣٢ [ المؤمن ] .

**(( سورة الدخان ))**

٧ - قوله تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ .

قال بعضهم: هذا من جملتها. <sup>(١)</sup>

١٤ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَعَهُ جَنُونٌ ۖ ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صار ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۖ ﴾ ١٥ من قول الكفار، وهو محال.

١٥ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۖ ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صار يومُ البَطْشِ ظرفًا لِعَوْدِهِمْ إلى الكفر، وهو يوم القيامة، أو يوم بدر، والعَوْدُ فيهما إلى الكفر غير ممكن. <sup>(٢)</sup>

٥٤ - قوله تعالى: ﴿ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۖ ﴾ .

وقف لازم لئلاَّ تصير الجملة صفة لهنَّ. بل هو إخبارٌ من الله تعالى عن المتقين.

**(( سورة الأحقاف ))**

٢١ - قوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ أَخَاعًا ۖ ﴾ .

وقف لازم؛ لأنَّ قوله ﴿ إِذْ أَنْذَرَ ۖ ﴾، لا يتعلق بقوله ﴿ وَأَذْكُرْ ۖ ﴾. بل يتعلق بـ: ( أذْكُرُ ) المحذوف.

**(( سورة الذاريات ))**

٢٤ - قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَنْكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۖ ﴾ .

وقف لازم؛ لأنَّ عامل ﴿ إِذْ ۖ ﴾ ٢٥ محذوف. أي: أذْكُرُ. ولو وُصِلَ لصار ظرفًا للإتيان، وهو محال.

**(( سورة الطور ))**

١٢ - قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۖ ﴾ .

وقف لازم، وَحُجَّتُهُ ظَاهِرَةٌ. <sup>(٣)</sup>

(١) أي: يرى قسم من العلماء أن هذا الموضع معدود من جملة مواضع الوقف اللازم. وليس ابن طيفور ممن يرى ذلك كما تدل على ذلك عبارة المؤلف.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٣١/٣.

(٣) ذلك أن اللعب كان في الدنيا، أما في الآخرة فهم يُدْعَوْنَ إلى النار، أي: يُدْفَعُونَ إلى النار دفعًا على وجوههم وزخًا في أفقيتهم. فمحال أن يكون ( اليوم ) ظرفًا للعب. ينظر: الكشف: ٣٣/٤.



## (( سورة القمر ))

٦ - قوله تعالى: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصارَ قوله ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾، ظرفاً للتوَلَّى عنهم، وليس كذلك بل هو ظرفٌ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ ٧، و ﴿خُشَعًا﴾ ٧<sup>(١)</sup>، حالٌ للضمير في ﴿يَخْرُجُونَ﴾ ٧. تقديره: يخرجون خاشعاً أبصارهم في يوم يدعو<sup>(٢)</sup> الداعي.

٤٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ .

وقف لازم؛ لأنَّ قوله ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ ٤٨، ليس بظرفٍ لضلالتهم، وإنما هو ظرفٌ لمحذوف، وهو أن يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٤٨.

## (( سورة الرحمن ))

٤٣ - قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصارَ قوله ﴿يَطْرَفُونَ﴾ ٤٤، حالاً للمجرمين. أي: يكونون طائفين بين النار، والحميم. وهو مُحال.

## (( سورة الواقعة ))

/ ٣ و /

٢ - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصارَ ما بعدها صفةً لها، أو بدلاً؛ فيختلُّ الكلام. وإنما قوله ﴿خَافِضَةٌ﴾ ٣ خبرٌ محذوف. أي: هي خافضة.

## (( سورة الحشر ))

٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ فُهِمَ أَنَّ شِدَّةَ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ. بل التقدير: هو للفقراء. يعني: في بني النضير، أو التقدير: أَلِحَّتْ الْغَنَائِمُ لِلْفُقَرَاءِ.

## (( سورة المنافقون ))

١ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِّلَ لصارَ قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، من مقول المنافقين<sup>(٣)</sup>. بل هو إخبارٌ من الله تعالى، مَبْتَدَأٌ.

(١) هذه قراءة الكسائي، وحزمة، وأبي عمرو من القراء السبعة، وقرأ غيرهم من السبعة، وهم: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم. وكذا خلف من العشرة (خُشَعًا). ينظر: النشر: ٣٨٠/٢.

(٢) رسمها المؤلف بالرسم العثماني (يَدْعُ) من غير واو، وقد رسمناها بالواو موافقة للرسم الاصطلاحي الحديث.

(٣) في الأصل (من مقول المنافقون) وهو خطأ نحوي واضح. وعذر الناسخ في ذلك الأخذ بالرسم العثماني تأسيساً بما جاء في اسم السورة (سورة المنافقون)، وهو أمر محمول على الحكاية، والمعمول به ما أثبتناه من الجر بالإضافة.

## (( سورة التحريم ))

١١ - قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾، ظرفاً لِضَرْبِ الْمَثَلِ. بل التقدير: وأذكرُ إذ قالت.

## (( سورة القلم ))

٣٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ .

وقف لازم؛ لأن ﴿لَوْ﴾، محذوف الجواب. أي: لو كانوا يعلمون لما إختاروا الأكبر على الأدنى. ولو وُصِلَ لصار قوله تعالى ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، مُعلّقاً بشرط أن ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وهو مُحال.<sup>(١)</sup>

٤٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ .

وقف لازم عند [ ابن ] طيفور، وجماعة معه؛ لأن ﴿إِذْ﴾، ليس بظرف لما تقدّمه. بل هو مفعول محذوف. أي: وأذكرُ إذ نادى.

٥١ - قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ .

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ما بعده من قول الكفار. بل هو إخبارٌ من الله تعالى، مُبتدأ.

## (( سورة نوح عليه السلام ))

٤ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ .

وقف لازم عند [ ابن ] طيفور، وغيره؛ لأن ﴿لَوْ﴾، محذوف الجواب. أي: لو كنتم تعلمون لما كفرتم.

## (( سورة النازعات ))

٥ - قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ .

وقف لازم عند [ ابن ] طيفور، وجماعة من المفسرين، وجماعة من أئمة القراء، لأن جواب القسم محذوف بعده. أي: أقسمُ بهذه الأشياء لتُبْعَثَنَّ<sup>(٢)</sup>. ولأنه لو وُصِلَ لصار ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾<sup>(٣)</sup>، ظرفاً<sup>(٤)</sup> للمدبرات، وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم. بل عامل ﴿يَوْمَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ﴾<sup>(٦)</sup>.

٩ - قوله تعالى: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ .

وقف لازم عند جماعة؛ لتناهي وصف القيامة، وإبتداء حكاية قولهم في الدنيا.<sup>(٧)</sup>

(١) ينظر التعليق الذي ذكره مع الآية (٢٦) من سورة الزمر فهو نفسه الذي ذكره هنا .

(٢) جاء في المكتنى ص ٢٧٦ : (( جواب القسم محذوف، كأنه قال : والنازعات لتُبْعَثَنَّ، وَلْتَحَاسِبُنَّ . فاكتفى بقوله (أثذا كُنَّا عظاماً نخرة) / ١١، من الجواب، كأنهم قالوا لما قيل لهم ( لتُبْعَثَنَّ ) : أُنْبِئْتُ إِذَا كُنَّا عظاماً نخرة ٩ ) ) وينظر كذلك حول هذا الأمر: إيضاح الوقف، ص ٩٦٤، وبيان غريب إعراب القرآن: ٤٩٢/٢، وتفسير الجلالين، ص ٥٨٣ .

(٣) في الأصل ( ظرف ) وهو خطأ نحوي واضح .

(٤) في الأصل رسمت هكذا ( الدنيا ) . وهو مخالف لما عليه رسمنا الاصطلاحي اليوم .

١٢ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

وقف لازم عند قوم؛ لتناهي قولهم بالإنكار، وإبتداء إخبار من الله ينقد ما أنكروا.

١٥ - قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ﴿إِذْ﴾، ظرفاً لإتيان الحديث، وهو مُحال. بل هو محذوف العامل، أي: اذْكَرْ إِذْ نادى.

### (( سورة عبس ))

١٢ - قوله تعالى: ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾.

قال بعضهم: وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صارت الصحف <sup>(١)</sup> محلّ ذِكرٍ مَنْ يشاء أن يذكر القرآن، وهو مُحال. بل التقدير: هو في صحف مُكرّمة.

### (( سورة الغاشية ))

١٢ - قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾.

وقف لازم عند بعض الأئمة؛ لأنه لو وُصِلَ لصار ما بعده صفةً لها ن على أن ما في العين / ءظ / الجارية سُررٌ مرفوعة، وهو مُحال.

### (( سورة البلد ))

٥ - قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

وقف لازم؛ لأنه لو وُصِلَ صار ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ ٦، وصفًا له، وهو مُحال. والله أعلم.

تَمَّ (( المَفْرَدُ فِي الْوُقُوفِ الْإِلَازِمَةِ )) <sup>(٢)</sup> بِمَنْ الله، وعونه، وحسن توفيقه؛ فله الحمد، وله الشكر. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان. ( بَلَّغْ مُقَابَلَةً ).

(١) المراد بذلك الصحف في قوله تعالى ( في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ) ١٣ .

(٢) في الأصل ( الأوقاف ) والصواب ما أثبتناه، وقد فصلنا القول في هذه المسألة في مقدمة التحقيق في مبحث العنوان، فينظر هذا الأمر هناك .



## - ثبت المصادر، والمراجع -

- - مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، بخط عثمان طه، نشره مجمع الملك فهد في المدينة المنورة لطباعة المصحف الشريف.
- - القرآن الكريم - برواية حفص عن عاصم - كتبه رضوان المخللاتي، طبعة تونس، ط ١٢٠٨هـ.
- - القرآن الكريم - برواية قالون عن نافع - كتابة عبد العزيز الخماسي، طبعة تونس.
- ١. أحكام قراءة القرآن الكريم، تأليف الشيخ محمود خليل الحصري (ت ١٤٠١ هـ)، ضبطه وعلق عليه محمد طلحة بلال منيار، ط١، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.
- ٢. الإضاءة في أصول القراءة، للشيخ محمد علي الضباع (ت ١٣٨١ هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٣. إيضاح الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ، لأبي بكر، محمد ابن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٢٢٨ هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩١ هـ.
- ٤. بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية، تأليف محمد بن شحادة الغول، دار ابن القيم، السعودية، ط٢، ١٤١٠هـ.
- ٥. البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ.
- ٦. التجويد الميسر، تأليف الشيخ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ط ١٤٠٢ هـ.
- ٧. تفسير الجلالين، للإمامين: جلال الدين، محمد أحمد المَحَلِّي (ت ٨٤٦ هـ)، و جلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- ٨. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، و محمد أحمد عاشور، وعبد العزيز غنيم، طبعة كتاب الشعب، مصر.
- ٩. تنبيه الغافلين، وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تأليف أبي الحسن، علي بن محمد النوري الصفاقسي (ت ١١١٨ هـ)، تقديم وتصحيح محمد الشاذلي النيفر، نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٧٤م.
- ١٠. حق التلاوة على روايات حفص، وقالون، وورش، تأليف حسني شيخ عثمان، دار العدوي، ومكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤٠١هـ.
- ١١. غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣ هـ)، طبع باعتناء برجستر أسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ١٢. فن الترتيل في أحكام التجويد، للأستاذ عبد الله توفيق الصباغ، عني بطبعه الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وعلى نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بدولة قطر.
- ١٣. في علوم القراءات، مدخل و دراسة و تحقيق، تأليف د. السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ١٤. قراءة عبد الله بن مسعود، مكانتها، ومصادرها، إحصاؤها، د. محمد أحمد خاطر، ط ١٩٩٠م، دار الإعتصام، مصر.
- ١٥. قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، تأليف عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ط٤، ١٣٩٩هـ.
- ١٦. الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم، جار الله، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- ١٧. لسان البيان في تجويد القرآن على رواية حفص بن سليمان، تأليف عبد الباقي عبد القادر رمضون، مطابع الشمال الكبرى بتبوك، السعودية، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٨. لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مُكْرَم بن علي الأنصاري (ت ٧١١هـ )، طبعة بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي.
١٩. لطائف الإشارات لفنون القراءات، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣هـ )، ج ١، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، والشيخ عامر السيد عثمان، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢هـ .
٢٠. معجم البلدان، لشهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ )، ط ٢، دار صادر، بيروت .
٢١. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، لأبي العلاء الكَرْماني (ت بعد ٥٦٣هـ )، دراسة و تحقيق د. عبد الكريم مصطفى مدلج، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ .
٢٢. المُقَصِّد لتلخيص ما في المُرشِد في الوقف والابتدا، لأبي يحيى، زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ )، دار المصحف، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ .
٢٣. المُكْتَفَى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو، عثمان بن سعيد بن عمر الداني (ت ٤٤٤هـ )، دراسة و تحقيق د. جايد زيدان مخلف، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، رقم (٥٤) ، لجنة إحياء التراث، العراق، ١٤٠٣هـ .
٢٤. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، مع كتاب النقط، تأليف أبي عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان، طبعة مصورة في عام ١٩٨٣م عن الطبعة الأولى في عام ١٩٤٠م، دار الفكر، دمشق، و دار الفكر المعاصر، بيروت.
٢٥. منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني (ت بعد ١٠٠٠هـ )، دار المصحف، دمشق، ١٤٠٣هـ .
٢٦. النشر في القراءات العشر، تأليف ابن الجزري، راجعه الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* هذا البحث تم دعمه من قبل برنامج دعم البحوث والباحثين بجامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية، برقم: (KKU\_S051\_33).

semantic analysis. The answers of the questions raised by the researcher using the question tool (why) show the eloquence in the literary text being analyzed. Impact of linguistic sounds is clear in analysis of the text depending on the linguistic levels. Thus the importance of one sound in a word or a text will be evident. So the characteristics of sound affect context and are affected by it as well.

## French civil rule in Algeria and its effects on Algerians

**Hayaat Sidi Salhi**

After Germany's victory over its neighbor France in 1870, there has been a conflict between the French settlers in Algeria and military commanders as to who will rule the colonized Algeria, which led to the overthrow of the government and was over taken by settlers. This research came to shed light on this period which is known for tightening and oppression on the Algerian people. While, on the other hand, French ruler and his entourage used to live a lavish and prosperous life on the account of Algerian people. And French government did nothing to lift the injustice from Algerians despite the large number of complaints and petitions which had been submitted constantly to the rulers in Algeria and rulers in Paris throughout the entire civilian rule which was in force in late 19th century. The researcher also discussed the advantages of the period of civilian rule in the political, economical and social sphere. So the research was complete, covering all aspects.

## “Al Mufrad fi Al Wuquf Al Lazimah Min Al Quran Al Azeem”

By. Abul Fakhr Mohammed Al Madini Al Sarakhsi

**Published and edited by:**

**Dr Mohammed Adil Shawk**

Compulsory pause is a term that refers to one of the pauses types in the Glorious Qur'an. Its mark is ”. Mohamed bin Taifour Alsegawendy, who died about the middle of the sixth century of Al Hijra, has coined this term. Others have named it in other different terms. They regard it as a minor branch of the other kinds of pauses not....

It is found in abundance at the end of the Ayat.... in the end of stories, in threats and intimidations, protest and repudiation and at the end of Surahs.

There were many debates among the members of the supervising committees that were in charge of the Mushaf printing in the Islamic and Arabian countries. Controversies concerning the mark used for this kind of pause or for any other kind of pauses make the matter more complicated and difficult.

Concerning the manuscript that I investigated and explored, it is one of those texts that I have gone through during one of my visits to Zabid city in Tehama/ Yemen. It is really a distinctive version. The intelligence of its author lies not only in exploring the places of Compulsory Pause in the Holy Qur'an, but also in explaining the reasons for such a kind of Pause grammatically and semantically.



## Poetry of Ali ibn Arram Aloswany (D 580 A.H)

**Prepared and introduced by:**

**Prof. Dr. Abd AL Razeek Heweizy**

No one can deny that the large amount of the heritage poetry has been lost, so this research must come to life. The researcher looked in some typed and manuscript sources aiming at collecting the poetry of Ali ibn Arram aloswany, poet of Ayyubid, whose poetry diwan has been lost and no one collected them up to now. Then the researcher tried to coordinate, punctuate, and interpret his poetry heritage after an introduction explaining his life and his poetry history.

### Prosodic Features in ancient syntactic and morphological studies and the theory of integrated science

**Dr. Ahmed Al Baibi**

The researcher tried to prove the integration of the knowledge of Arabic voice in dealing with issues related to it. And that includes prosodic features. In light of this integration, the researcher has concluded that the books of music and Arabic rhetoric have played a role of theorizing for prosody, and the syntactic, morphological and Quranic studies abbreviate and intensify those theories, forming wide and parallel practical field, which indicates that the ancient scholars generally and grammarians particularly did not overlook prosody. The researcher calls on students to search patiently and properly before passing judgments.

In this study the researcher has also tried to show some aspects of syntactic and morphological studies in which Prosodic Features have been dealt with. He also called student to put into account syntactic and applied morphological studies in the framework of “the theory of integration of heritage sciences”. Thus the status of prosody will be evident in our heritage in general, and especially in the heritage of syntax and morphology.

### (Why): is the key of semantic analysis. The prayer of the Prophet (PBUH) in Taif as an example

**Dr. Azzah Adnan Ahmed Izzat**

Text of hadeeth: “O Allah! I complain to You of my weakness, my scarcity of resources and the humiliation I have been subjected to by the people... To whom have you entrusted me? To a distant person who receives me with hostility? Or to an enemy to whom you have granted authority over my affair? So long as You are not angry with me, I do not care... I seek refuge in the light of Your Face by which all darkness is dispelled... lest Your anger or Your displeasure descends upon me. I desire Your pleasure and satisfaction until You are pleased. There is no power and no might except by You.”

It seemed clear through research that the question tool (why) is of great significance in

## Abstracts of Articles

### Quranic context in exegesis of Zamakhshari (Al Kashshaaf)

**Dr. Sana Abdul Rahim Abdullah Halwani**

Study of context has significant importance in the interpretation and clarification of meaning either at the level of word or at the level of sentence.

The research has come in four sections:

- 1) Semantic and historical evolution
- 2) Diversity in denotation and context
- 3) Contextual compatibility
- 4) Context of Quranic verses and chapters in Zamakhshari's exegesis.

In conclusion the researcher has pointed out many results; he sees that the study of the meaning is of the important studies and complex at a same time, as it relates to the various sciences. Owing to its importance many theories have been presented for the study of meaning. Including: the theory of context, Indicative and conceptual theories, behavioral theory, Semantic field theory, Analytical theory, and others.

With regards to Zamakhshari - the subject of the study - the researcher has tried to put a series of questions and answer them to reveal his method in the study. The objective of this research is rooting the idea of contextual significance.

### Aesthetic of imagery in the parables of prophet (PBUH)

**Dr. Leila Zyan**

Prophet Muhammad (PBUH) many times used to express his thoughts in the way of parables in order to visualize the meanings. So when a reader goes through these parables he finds them portraying the meanings in his mind and feels that he is in front of a lively image.

In this research first of all, the researcher has explained the meaning of imagery linguistically and idiomatically, then dealt with the Artistic Imagery in the Qur'an, afterword moving to Artistic Imagery in the parables of prophet (PBUH), dividing them into two categories; short parables that are used while giving commands regarding religion or worldly things, and long parables which encourage on taking exhortation and those induce hope and fear.

Prophet (PBUH) used the tool of imagery to express his thoughts in order to portray the clear images of what he is saying in the imaginations of the listener. As expression through images can be sensed and imagined by intellectual understanding, and by psychological state, and by sensory experience, and by visual scenes, and by human nature. And in this way it achieves the religious goal of captivating the listener and influencing him.

# INDEX

## **Editorial**

Baghdad mourns Prof. Dr. Hatem Saleh  
Al Dhamen, Arabs and Persians lamented  
over his demise

**Editorial Board** 4

## **Researches Titles:**

Quranic context in exegesis of  
Zamakhshari (Al Kashshaaf)

**Dr. Sana Abdul Rahim Abdullah Halwani** 18

Aesthetic of imagery in the parables  
of prophet (PBUH)

**Dr. Leila Zyan** 60

Poetry of Ali ibn Arram Aloswany  
(D 580 A.H)

Prepared and introduced by:

**Prof. Dr. Abd AL Razeek Heweizy** 70

Prosodic Features in ancient syntactic and  
morphological studies and the theory of  
integrated science

**Dr. Ahmed Al Baibi** 101

(Limaza i.e. Why) is the key of  
semantic analysis. The prayer of the  
Prophet (PBUH) in Taif as an example

**Dr. Azzah Adnan Ahmed Izzat** 134

French civil rule in Algeria and its effects  
on Algerians

**Hayaat Sidi Salhi** 155

## **Manuscripts' Verification:**

“Al Mufrad fi Al Wuquf Al Lazimah Min  
Al Quran Al Azeem”

By. Abul Fakhr Mohammed

Al Madini Al Sarakhsi

Published and edited by:

**Dr Mohammed Adil Shawk** 173

**Abstracts** 202





# 'Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Published by:  
The Department of Studies,  
Publications and Foreign Affairs  
Juma Al Majid Center  
for Culture and Heritage  
Dubai - P.O. Box: 55156  
Tel.: (04) 2624999  
Fax.: (04) 2696950  
United Arab Emirates  
Email: [info@almajidcenter.org](mailto:info@almajidcenter.org)  
Website: [www.almajidcenter.org](http://www.almajidcenter.org)

Volume 21 : No.81- Jumada 1 - 1434 A.H.- March 2013

## INTERNATIONAL RECORD NUMBER

**ISSN 1607 - 2081**

This Journal is listed in  
the "Ulrich's International  
Periodicals Directory" under  
record No. 349378

## EDITORIAL BOARD

### EDITING DIRECTOR

Dr. Azzeddine BenZeghiba

### EDITING SECRETARY

Dr. Ali Abdul Kader Al Taweel

### EDITORIAL BOARD

Dr. Hatim Salih Al-Dhamin

Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi

Dr. Asma Ahmed Salem Al-Owais

Dr. Naeema Mohamed Yahya Abdulla

### ANNUAL SUBSCRIP- TION RATE

|              | U.A.E.   | Other Countries |
|--------------|----------|-----------------|
| Institutions | 100 Dhs. | 150 Dhs.        |
| Individuals  | 70 Dhs.  | 100 Dhs.        |
| Students     | 40 Dhs.  | 75 Dhs.         |

Articles in this magazine represent the views of  
their authors and do not necessarily reflect  
those of the center or the magazine,  
or their officers.

## الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
  - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
  - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون الكتاب جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أي نحو كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون الكتاب سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون الكتاب مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية، مبيّناً اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون الكتاب تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.
- ١١ - تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمة للأمة ورفعاً لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

## ملاحظات

- ١ - ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي الناشر أو اتجاهه.
- ٢ - لا تُردّ الكتب المرسلّة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.
- ٤ - يُستبعد أي كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

# 'Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Juma Al Majid Center  
for Culture and  
Heritage - Dubai

Volume 21 : No.81- Jumada 1 - 1434 A.H.- March 2013



(الرامزة) - أو: القصيدة الخزرجية في العروض

المؤلف: عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ)

(Al Ramzah) – or: Al Qasedah Al Khazragiah

By: Abdullah ben Mohammed Al Khazragi Al Andalusi (D. 626 AH)

**Published by:**

**Department of Studies, Publications and Foreign Affairs  
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage**

